وجوب استنقاذ المستضعفين

من سجون الطواغيت والمرتدين

تأليف أبي جندل الأزدي

من بلاد الحرمين

أتسبى المسلمــات بكـــل ثغر	وعيــش المسلمين إذا يطيـــب
أمــا لله والإســـلام حــــق	يــدافع عنـــه شبــان وشيب
فقل لذوي الضمائر حيث كانوا	أجيبــوا الله ويحكــم أجيبـــوا

إهداء

إلى العالم المجاهد الأسير عمر عبد الرحمن في سجون أمريكا

والعالم المجاهد الأسير أبي محمد المقدسي في سجون الأردن

والعالم المجاهد الأسير أبي قتادة الفلسطيني في سجون بريطانيا

والعالم المجاهد الأسير رفاعي طــــــــه في سجون مصر

والعلماء المجاهدين الأسرى علي الخضير وناصر الفهد وأحمد الخالدي ووليد السناني في سجون آل سعود

والسفير المجاهد عبد السلام ضعيف في سجون أمريكا

والبطل المجاهد أبي هاجر العراقي في سجون أمريكا

والبطل المجاهد رمزي يوسف في سجون أمريكا

والبطل المجاهد أزمراي في سجون أمريكا

إلى المجاهدين والمسلمين المأسورين في غوانتانامو وأمريكا وبريطانيا وأوربا وإسرائيل. إليهم في سجون آل سعود ومصر وسوريا والأردن وفلسطين وباكستان والجزائر وتونس والمغرب وفي كل مكان ممن نعرفهم أو نجهلهم أهدي هذا الكتاب لعلي أن أكون قدمت بعض حقوقهم علينا كمسلمين نسأل الله أن يعجل بفكاك أسرهم. آمين. آمين.

أخي أنت حرٌّ بتلك القيود

أخي أنت حرٌّ وراء السدود   أخي أنت حرٌّ بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصما   فماذا يضيرك كيد العبيد
أخي ستبيد جيوش الظلام   ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروحك إشراقها   ترى الفجر يرمقنا من بعيد
أخي قد أصابك سهم ذليل   وغدرا رماك ذراعٌ كليل
ستُبترُ يوما فصبر جميل   ولم يَدْمَ بعدُ عرينُ الأسود
أخي قد سرت من يديك الدماء   أبت أن تُشلّ بقيد الإماء
سترفعُ قُربانها للسماء   مخضبة بدماء الخلود
أخي هل تُراك سئمت الكفاح   وألقيت عن كاهليك السلاح
فمن للضحايا يواسي الجراح   ويرفع راياتها من جديد
أخي هل سمعت أنين التراب   تدُكّ حَصاه جيوشُ الخراب
تُمَزقُ أحشاءه بالحراب   وتصفعهُ وهو صلب عنيد
أخي إنني اليوم صلب المراس   أدُكّ صخور الجبال الرواس
غدا سأشيح بفأس الخلاص   رءوس الأفاعي إلى أن تبيد
أخي إن ذرفت عليّ الدموع   وبلّلت قبري بها في خشوع
فأوقد لهم من رفاتي الشموع   وسيروا بها نحو مجد تليد
أخي إن نمُتْ نلقَ أحبابنا   فروْضاتُ ربي أعدت لنا
وأطيارُها رفرفت حولنا   فطوبى لنا في ديار الخلود
أخي إنني ما سئمت الكفاح   ولا أنا ألقيت عني السلاح
وإن طوقتني جيوشُ الظلام   فإني على ثقة.... بالصباح
وإني على ثقة من طريقي   إلى الله رب السنا والشروق
فإن عافني السَّوقُ أو عَقّني   فإني أمين لعهدي الوثيق
أخي أخذوك على إثرنا   وفوج على إثر فجرٍ جديد
فإن أنا مُتّ فإني شهيد   وأنت ستمضي بنصر مجيد
قد اختارنا الله في دعوته   وإنا سنمضي على سُنته
فمنا الذين قضوا نحبهم   ومنا الحفيظ على ذِمته
أخي فامض لا تلتفت للوراء   طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت ههنا أو هناك   ولا تتطلع لغير السماء
فلسنا بطير مهيض الجناح   ولن نستذل.... ولن نستباح
وإني لأسمع صوت الدماء   قويا ينادي الكفاحَ الكفاح
سأثأرُ لكن لرب ودين   وأمضي على سنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام   وإما إلى الله في الخالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيّئات أعمالنا من يهده الله فلا مضّل له و من يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلاّ الله و حده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله.

(يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حق تقاته و لا تموتن إلاّ و أنتم مسلمون) (يا أيّها النّاس اتّقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بثّ منهما رجالا كثيرا و نساء و اتّقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا) (يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله و قولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما)

أمّا بعد:

فإنّ أحسن الكلام كلام الله و خير الهدي هدي محمّد صلى الله عليه وسلم و شرّ الأمور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النّار.

فمما لاشك فيه أن أمم الكفر لم تجتمع على أمة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما اجتمعت عليه في مثل هذا الزمن (القرن الأخير) فقد تداعت الأمم الكافرة على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها ما بين عدو صليبي (الكافر الأصلي) وعدو عميل (الكافر المرتد) فاخترعوا من الوسائل والطرق الشيء الكثير لتقييد الأمة الإسلامية وتطويقها ومن خرج عن هذه القيود من العاملين لدين الله والمجاهدين تربصوا بهم الدوائر وحاكوا لهم المؤامرات ومكروا بهم ليثبتوهم أو يقتلوهم أو يخرجوهم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.وفي عالمنا العربي والإسلامي تعيش أمتنا تحت ضروب العسف والقهر والقمع وامتهان الإنسان، وإغراقه في بحر من اليأس بتكرار الأنظمة لرسالتها اليومية أنها جاءت لتبقى، ومدى الحياة، ولا تتعدى حركة الإصلاح والبناء الدعاية التي تتولاها الآلة الإعلامية التي لا تفتر عن التعظيم والتبجيل للإنجازات العملاقة وهي في حقيقتها أبسط حقوق الفرد!! ومحصلة إنجازات الأنظمة لا تتعدى في معظم الأحيان أن تكون كلاماً ساكتاً كما يقول التعبير السوداني الشائع وتتفق هذه الأنظمة جميعاً في إقصاء شريعة الله عن الحكم وعن العدل في الحكم بها إلا أنها تختلف في درجة فرعونيتها وتسلطها على الأمة ونحن إذ نكتب مثل هذا الكتاب ونبين بعض الواقع الذي نعيشه في السجن الصغير وإن كنا نسكن في سجن كبير اسمه العالم الإسلامي لا نريد استجداء الدموع ولا استرحام القلوب ولا التسلية بقراءة وعرض القصص والآهات ولكنا نريد به تحريض المؤمنين علي طلب ثأر دينهم وثأر إخوانهم وثأرهم من الطواغيت والمرتدين وجنودهم (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا

يهتدون سبيلا) ونريد به كشف الكفر والخسة والنذالة التي يتعامل بها الطواغيت والمرتدون وأعوانهم مع شباب الإسلام وجنود الإيمان، ونريد به استنصار كل من في قلبه ذرة إيمان لينضم إلى معسكر الإيمان ضد معسكر الشيطان ونريد به معرفة الحكم الشرعي في مثل هذه القضية العظيمة والتي غفل عنها غالب طلبة العلم والخطباء والتجار والله المستعان.

ويأتي هذا الكتاب والمنطقة العربية الإسلامية تمر بمنعطفات خطيرة يغفل عنها كثير من المسلمين بسبب التضليل الإعلامي الذي تمارسه القنوات الفضائية ووسائل الإعلام الأخرى المقروءة والمسموعة وتكميم الأفواه الصادقة التي تريد نشر الحق والخير وستصعَّد حملة الاعتقالات في كل جزيرة العرب والعراق والشام ومصر لكي تمر اتفاقية (بوش بلير) كما سماها إمام المجاهدين أسامة بن لادن نصره الله ولكي تنَّفذ خارطة الطريق التي تريد وأد كل نفس لمقاومة يهود المسماة (إسرائيل) وتريد لدولة يهود الكبرى أن تقوم يقول أبو عبيد القرشي وفقه الله[1]: (يمكن القول أن احتلال العراق من قبل العدو الصليبي أحدث تغييرا في الميزان الاستراتيجي للمنطقة العربية والإسلامية ولمناطق أخرى من العالم كأوروبا ووسط آسيا. وهذه بعض الآثار المترتبة:

المنطقة العربية الإسلامية

1ــ التهديد الصريح الذي وجهه الأمريكيون لسوريا بالالتزام التام بما يملون عليها وإلاّ ستواجه عواقب وخيمة. وللعلم فإن سوريا قامت بكثير من الخطوات للتقرب من أمريكا خلال العقود الماضية كتصفية الوجود الفلسطيني في لبنان، والإجهاز على الحركة الإسلامية في سوريا، والمساهمة في حرب الخليج الثانية ضد العراق، وأخيرا المشاركة في الحملة الصليبية ضد المجاهدين بحماسة منقطعة النظير، إضافة إلى أن الحدود السورية مع الكيان الصهيوني لم تشهد توترا قط منذ أزيد من ثلاثين سنة. وإذا كانت القيادات السورية قد دأبت في الماضي على إطلاق تصريحات قومية رمانة، أو استضافة مكاتب للمجاهدين الفلسطينيين فإن ذلك يدخل في نطاق ذر الرماد على العيون. كل هذا لم يشفع لسوريا أمام أمريكا، ليس كرها في النظام السوري الذي قَدَّمَ مرارا خيانات جليلة للأسياد، وإنما كرها في الشعب السوري المسلم، الذي شكل عبر التاريخ حجرة عثرة أمام الغزاة. ومن الواضح أن الحملة الصليبية ستعرج على سوريا عاجلا أو آجلا، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإزاحة إرادة المقاومة ضد الكيان الصهيوني لفترة طويلة، بعد أن تكون الشعوب العربية الأساسية في المنطقة قد استنزفت تماما.

2ــ التهديد الصريح الذي وجهه الأمريكيون لإيران بأن تنصرف عن الشؤون العراقية. لقد باتت إيران في وضع استراتيجي لا تحسد عليه بعد أن خنقها التطويق من حدودها الغربية (مع العراق) وحدودها الشرقية (التواجد الأمريكي في أفغانستان - باكستان) والشمالية (الحالفات الأمريكية في بحر قزوين) والجنوبية (القواعد الأمريكية في الخليج العربي)، إضافة إلى أن أوضاعها الداخلية غير مستقرة نظرا للخلافات العميقة بين الإصلاحيين والمحافظين، مما جعل مراكز القرار الإيرانية متعددة ومتنافرة ومتوزعة الولاءات ما بين خامنئي ورفسنجاني وخاتمي. وإذا كانت إيران تملك (إلى حد ما) ورقة شيعة العراق لتحريكها في الوقت المناسب، إلا أن أمريكا باحتلالها العراق حصلت

[1] كتاب الأنصار العدد الثالث (**25ــ28**).

على أوراق جديدة تمكنها من تهديد الحكم الإيراني في الصميم، كالسعي لفرض مرجعية جديدة للشيعة في النجف تنافس مرجعية قم وتكون مناوئة للحكم الإيراني، وتشجيع المعارضة الإيرانية (الإصلاحيون، القوميات الإيرانية المضطهدة الخ)، إضافة إلى التحكم في أسعار النفط عبر الضخ المتزايد للنفط العراقي مما سيكون له بالغ الأثر على القدرات الاقتصادية الإيرانية.

3ــ مطالبة تركيا بالاعتذار على تخلفها عن الحملة الصليبية حينما وجّه نائب وزير الدفاع الأمريكي ولفيتز انتقادات حادة لتركيا خلال مقابلة تلفزيونية الثلاثاء 6-5-2003 مع شبكة "سي إن إن" الأمريكية. ومعلوم أن أداء النظام التركي خلال الغزو الصليبي للعراق صَعَّبَ الأمور كثيرا على الغزاة الأمريكيين، مما وتر العلاقة بين الطرفين. ولذلك فإن النظام التركي دعا في مقابل التصريحات اللاذعة للإدارة الأمريكية إلى استرجاع قاعدة إنجرليك التركية الاستراتيجية من يد الأمريكيين، وهو ما لا يحبذه الأمريكيون إطلاقا.

4ــ القرار الأمريكي بنقل القواعد العسكرية من السعودية إلى قطر، والذي لم يأت نتيجة لسوء العلاقات بين البلدين بقدر ما جاء ليكرس مخططا أمريكيا هدفه مساعدة الأمراء السعوديين المفضلين على تجاوز مشاكل خلافة الملك فهد، وترتيب الوضع السعودي الداخلي وفق الأوامر الأمريكية. فخطة علمنة أرض الحرمين كانت في لمساتها الأخيرة، والحملة الإفسادية الشاملة التي أراد لها مخططوها استحداث تغييرات جذرية في المنظومة الفكرية والثقافية والتعليمة، لاجتثات القيم الإسلامية وتعويضها بالقيم الأمريكية (أو على الأقل قيم أخرى هجينة)، كانت ستنطلق مع انتهاء غزو العراق واحتلال أراضيه. وبالفعل ظهرت بوادر هذه الحملة الإفسادية سريعا في أداء الوسائل الإعلامية السعودية، التي شنت حملة إعلامية مركزة لتمهيد الجو للفساد المقبل، وسحب أشكال التعاطف الإسلامي الفطري رضوخا لاستحقاقات ما بعد احتلال العراق، و استغلالا لجو الإحباط الشعبي الذي ساد في الجزيرة بعد احتلال العراق. لكن يبدو أن الهجوم الضخم الذي شهدته الرياض مؤخرا جاء ليبين ــ حسب بعض المراقبين ــ أن المس بالثوابت الإسلامية في أرض الحرمين لن يمر مرور الكرام، وأن ثمن ذلك سيكون بالتأكيد باهظا.

5ــ تنصيب (البهائي) محمود عباس أبو مازن على رأس الحكومة الفلسطينية تمهيدا للهجوم على الحركات المجاهدة في فلسطين ونزع أسلحتها بالقوة بأيدي فلسطينية ومصرية، حتى ينتهي الجيش الصهيوني من هذا الصراع الذي استنزف قدراته، ويستعد لأداء مهماته التوسعية المستقبلية بعد أن تولت أمريكا بنفسها توطئة المنطقة للصهاينة.

6ــ العداء الشعبي العربي لأمريكا زاد بمعدلات صاروخية بعد الإذلال المريع الذي يعيشه المسلمون القابعون تحت الاحتلال الصليبي في العراق، ولا شك أن هذا العداء سيتمخض عن ازدياد العمل الجهادي في المنطقة العربية والإسلامية، ما دام قد تبين للجميع أن المعادلة بين أمريكا والإسلام هي معادلة صفرية، لا يمكن لأحدهما البقاء دون فناء الآخر.

وخلاصة الوضع الاستراتيجي الجديد أنه ليس تماما في مصلحة الولايات المتحدة نظرا لأن المُعامِلات المجهولة في المعادلة كثيرة، فلا أحد يعرف كيف ستتحرك إيران بعد فترة الترقب الحذر التي تعيشها الآن، ولا أحد يعلم كيف يمكن للعلاقات السيئة مع تركيا أن تتطور، ولا كيف سيتصرف النظام السوري الذي خالف أصلا كل التوقعات بمساندته للنظام العراقي قبل وخلال الحرب. إن التحالف السوري ــ الإيراني قائم منذ زمن، لكن إذا حصل تجاوز

للخطوط الحمراء التركية من طرف الأكراد، فإن تركيا ستنحاز أكثر للتحالف السوري ـــ الإيراني، مما يعني أن الاستعمار الأمريكي للعراق قد يواجه امتحانا صعبا يجعل مكوثه طويلا ضربا من المستحيلات. وقد بدأت المخاوف تجاه هذا الاحتمال تنهمر من مراكز الدراسات الغربية.

بموازاة ذلك فإن الغضب العربي والإسلامي قنبلة موقوتة، ولذلك فإن أمريكا تحاول استباق الزمن عبر علمنة أرض الحرمين، و تُخَطِّط بالليل والنهار للقضاء على المجاهدين في كل مكان، لعلها تتمكن من تكبيل المارد الإسلامي... ولكن هيهات).

كتبه العبد الفقير إلى الله

أبو جندل الأزدي

1424/4/18هـ

تعريفات مهمة للبحث

أولاً: تعريف الأسرى[1]:

1 - الْأَسْرَى جَمْعُ أَسِيرٍ ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى أُسَارَى وَأَسَارَى . وَالْأَسِيرُ لُغَةً : مَأْخُوذٌ مِنْ الْإِسَارِ ، وَهُوَ الْقَيْدُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشُدُّونَهُ بِالْقَيْدِ . فَسُمِّيَ كُلُّ أَخِيذٍ أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يُشَدَّ بِهِ . وَكُلُّ مَحْبُوسٍ فِي قَيْدٍ أَوْ سِجْنٍ أَسِيرٌ . قَالَ مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) الْأَسِيرُ : الْمَسْجُونُ .

2 - وَفِي الِاصْطِلَاحِ : عَرَّفَ الْمَاوَرْدِيُّ الْأَسْرَى بِأَنَّهُمْ : الرِّجَالُ الْمُقَاتِلُونَ مِنْ الْكُفَّارِ ، إذَا ظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ أَحْيَاءً . وَهُوَ تَعْرِيفٌ أَغْلَبِيٌّ ، لِاخْتِصَاصِهِ بِأَسْرَى الْحَرْبِيِّينَ عِنْدَ الْقِتَالِ ، لِأَنَّهُ بِتَتَبُّعِ اسْتِعْمَالَاتِ الْفُقَهَاءِ لِهَذَا اللَّفْظِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يُظْفَرُ بِهِمْ مِنْ الْمُقَاتِلِينَ وَمَنْ فِي حُكْمِهِمْ ، وَيُؤْخَذُونَ أَثْنَاءَ الْحَرْبِ أَوْ فِي نِهَايَتِهَا ، أَوْ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ فِعْلِيَّةٍ ، مَا دَامَ الْعَدَاءُ قَائِمًا وَالْحَرْبُ مُحْتَمَلَةٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ : أَوْجَبَتْ الشَّرِيعَةُ قِتَالَ الْكُفَّارِ ، وَلَمْ تُوجِبْ قَتْلَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، بَلْ إذَا أُسِرَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي الْقِتَالِ أَوْ غَيْرِ الْقِتَالِ ، مِثْلُ أَنْ تُلْقِيَهُ السَّفِينَةُ إلَيْنَا ، أَوْ يَضِلَّ الطَّرِيقَ ، أَوْ يُؤْخَذَ بِحِيلَةٍ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِهِ الْإِمَامُ الْأَصْلَحَ . وَفِي الْمُغْنِي : هُوَ لِمَنْ أَخَذَهُ ، وَقِيلَ : يَكُونُ فَيْئًا . وَيُطْلِقُ الْفُقَهَاءُ لَفْظَ الْأَسِيرِ أَيْضًا عَلَى : مَنْ يَظْفَرُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ الْحَرْبِيِّينَ إذَا دَخَلُوا دَارَ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ، وَعَلَى مَنْ يَظْفَرُونَ بِهِ مِنْ الْمُرْتَدِّينَ عِنْدَ مُقَاتَلَتِهِمْ لَنَا . يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : وَمَنْ أُسِرَ مِنْهُمْ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ . كَمَا يُطْلِقُونَ لَفْظَ الْأَسِيرِ عَلَى : الْمُسْلِمِ الَّذِي ظَفِرَ بِهِ الْعَدُوُّ . يَقُولُ ابْنُ رُشْدٍ : وَجَبَ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَفُكَّ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . . . وَيَقُولُ : وَإِذَا كَانَ الْحِصْنُ فِيهِ أُسَارَى مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطْفَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ . . . الَخْ .

[1] انظر لهذه التعريفات في الموسوعة الفقهية المرتبة على الحروف.

الأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَة :

أ - الرَّهِينَةُ : وَاحِدَةُ الرَّهَائِنِ وَهِيَ كُلُّ مَا اُحْتُبِسَ بِشَيْءٍ ، وَالْأَسِيرُ وَالرَّهِينَةُ كِلَاهُمَا مُحْتَبَسٌ ، إلَّا أَنَّ الْأَسِيرَ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ إنْسَانًا ، وَاحْتِبَاسُهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُقَابِلَ حَقٍّ .

ب - الْحَبْسُ : ضِدُّ التَّخْلِيَة ، وَالْمَحْبُوسُ : الْمُمْسَكُ عَنْ التَّوَجُّه حَيْثُ يَشَاءُ ، فَالْحَبْسُ أَعَمُّ مِنْ الْأَسْرِ.

والْحَبْسُ فِي اللُّغَة : الْمَنْعُ وَالْإِمْسَاكُ ، مَصْدَرُ حَبَسَ . وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَوْضِع ، وَجَمْعُهُ حُبُوسٌ (بِضَمِّ الْحَاءِ) . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَحْبُوسٌ وَحَبِيسٌ ، وَلِلْجَمَاعَة : مَحْبُوسُونَ وَحُبُسٌ (بِضَمَّتَيْنِ) ، وَلِلْمَرْأَة : حَبِيسَةٌ : وَلِلْجَمْع : حَبَائِسُ ، وَلِمَنْ يَقَعُ مِنْهُ الْحَبْسُ : حَابِسٌ . أَمَّا فِي الِاصْطِلَاحِ فَالْحَبْسُ هُوَ : تَعْوِيقُ الشَّخْص وَمَنْعُهُ مِنْ التَّصَرُّف بِنَفْسه وَالْخُرُوج إلَى أَشْغَاله وَمُهِمَّاته الدِّينِيَّة ، وَالِاجْتِمَاعِيَّة . وَلَيْسَ مِنْ لَوَازِمه الْجَعْلُ فِي بُنْيَانٍ خَاصٍّ مُعَدٍّ لِذَلِكَ ، بَلْ الرَّبْطُ بِالشَّجَرَة حَبْسٌ ، وَالْجَعْلُ فِي الْبَيْت أَوْ الْمَسْجِد حَبْسٌ .

وَبِمَعْنَى الْحَبْسِ السَّجْنُ بِفَتْحِ السِّين مَصْدَرُ سَجَنَ . أَمَّا بِكَسْرِ السِّين فَهُوَ مَكَانُ الْحَبْسِ ، وَالْجَمْعُ سُجُونٌ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ) قُرِئَ بِفَتْحِ السِّينِ عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَبِكَسْرِهَا عَلَى الْمَكَان ، وَالْأَشْهَرُ الْكَسْرُ .

وَبِمَعْنَى الْحَبْسِ أَيْضًا الِاعْتِقَالُ . يُقَالُ اعْتَقَلْت الرَّجُلَ حَبَسْته ، وَاعْتَقَلَ لِسَانُهُ إذَا حُبِسَ وَمُنِعَ مِنْ الْكَلَام .

ثانياً: تعريف الفداء:

1 - الْفِدَاءُ - بِكَسْرِ الْفَاءِ وَالْمَدِّ ، وَبِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مَعَ الْقَصْرِ - فِي اللُّغَة : فَكَاكُ الْأَسِيرِ ، يُقَالُ : فَدَاهُ يَفْدِيه ، وَفَادَى الْأَسِيرَ : اسْتَنْقَذَهُ مِنْ الْأَسْرِ ، وَفَدَتْ وَافْتَدَتْ وَفَادَتْ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا : بَذَلَتْ لَهُ مَالًا لِيُطَلِّقَهَا ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ نَقْلًا عَنْ الْوَزِيرِ بْنِ الْمَعَرِّيِّ : يُقَالُ : فَدَى : إذَا أَعْطَى مَالًا وَأَخَذَ رَجُلًا ، وَأَفْدَى : إذَا أَعْطَى رَجُلًا وَأَخَذَ مَالًا ، وَفَادَى : إذَا أَعْطَى رَجُلًا وَأَخَذَ رَجُلًا ، وَالْفِدَاءُ وَالْفِدْيَةُ وَالْفَدَى كُلُّهُ بِمَعْنًى ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْفِدْيَةُ اسْمٌ لِلْمَالِ الَّذِي يُفْتَدَى بِه الْأَسِيرُ ، وَنَحْوُهُ .

وَلَا يَخْرُجُ الْمَعْنَى الِاصْطِلَاحِيُّ عَنْ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ .

الأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَة:

أ - الْفَكَاكُ : - بِالْفَتْحِ وَقَدْ يُكْسَرُ - مِنْ فَكَكْت الشَّيْءَ فَانْفَكَّ . وَفَكَّ الشَّيْءَ : خَلَّصَهُ ، يُقَالُ : فَكَّ الرَّهْنَ يَفُكُّهُ فَكًّا ، وَالْأَسِيرَ : خَلَّصَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَطْلَقْته فَقَدْ فَكَكْته . وَبَيْنَ الْفِدَاء وَالْفَكَاك عُمُومٌ وَخُصُوصٌ وَجْهِيٌّ .

ب - الافْتِدَاءُ لُغَةً : الِاسْتِنْقَاذُ بِعِوَضٍ ، كَالْفِدَاء ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْعِوَضِ الْفِدْيَةُ أَوْ الْفِدَاءُ وَهُوَ عِوَضُ الْأَسِيرِ . وَمُفَادَاةُ الْأَسْرَى : أَنْ تَدْفَعَ رَجُلًا وَتَأْخُذَ رَجُلًا ، وَالْفِدَاءُ : فَكَاكُ الْأَسِيرِ . وَيُطْلَقُ الافْتِدَاءُ فِي الاصْطِلَاحِ عَلَى مَا يَشْمَلُ الْمَعْنَى اللُّغَوِيَّ وَهُوَ : الِاسْتِنْقَاذُ بِعِوَضٍ ، وَعَلَى مَا يَكُونُ جَبْرًا لِخَطَأٍ ، أَوْ مَحْوًا لِإِثْمٍ أَوْ تَقْصِيرٍ .

قصص وآهات من سجون الطواغيت والمرتدين

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى[1]: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلاّ بنوعين من الفهم:

1ــ أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والإمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

2ــ والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر)أ.هــ.

وهذه القصص التي سنذكرها من سجون الدول المرتدة وغيرها[2] تبين النوع الأول وهو (فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والإمارات والعلامات حتى يحيط به علماً) ثم نذكر بعد ذلك النوع الثاني من أنواع الفهم وهو (فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر) وسنبدأ بذكر دولة آل سعود المرتدة التي يتشدق مشايخها بذكر محامدها ويسبحون بحمد آل سعود صباح مساء ويدعون دائماً في كل محفل وعلى كل منبر للالتفاف حولهم ويسمونها (بدولة التوحيد)!!!.

ولعلنا قبل الدخول في القصص نسرد أنواع ووسائل التعذيب المختلفة التي تستخدم ضد المعتقلين من التيارات الإسلامية وهي كالآتي في الغالب وإلا فالطواغيت يخترعون كل يوم نوعاً جديداً ولكن نحن نقول لهم أين المفر غداً سنقتلكم غدا:

1ــ اعتقال الوالد والأقارب لإكراه المتهم على الاعتراف.

2 - اعتقال الأقارب مع هدم المنازل واقتحام المساجد.

3 - التهديد بانتهاك أعراض الزوجات والأقارب.

---

[1] إعلام الموقعين (**1/87-88**).

[2] لعل البعض يعتب علينا عدم ذكر بعض قصص إخواننا الأسرى في غوانتانامو ونحن نقول إن إخواننا هناك قد كُتبت حولهم عدة بحوث وأُلقيت عشرات الخطب والمحاضرات وأُنشئت لهم عدة مواقع على الشبكة العنكبوتية إلى غير ذلك أما سجون الدول العربية المرتدة فلم يذكرها إلا القليل وما يجري فيها أشد مما يواجهه إخواننا في كوبا ولكن كثيرا من الناس يتحرك لقضايا الكفر الأصلي ولا يعمل ذلك عند كفر الردة وذلك بسبب الخلل العقدي (عقدة التفريق بين العدو الخارجي والعدو الداخلي) مع أن كفر الردة أعظم وأغلظ من الكفر الأصلي بالإجماع قال ابن تيمية رحمه الله: (وقد استقرّت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة منها: أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه جزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي، ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي). مجموع الفتاوى (**28 / 534**).وقال أيضاً: (وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) مجموع الفتاوى(**47/28**).

.

4- الضرب.

5- الحرق بالسجائر.

6- الاعتداء الجنسي.

7- الصدمات الكهربائية.

8- نتف شعر اللحية.

9- تعليق المعتقلين.

10- الإرغام على الاستماع لصراخ المعذبين الآخرين.

11- الحبس الانفرادي لفترات طويلة.

12- التهديد بالقتل.

13- التهديد بالسجن لأمد غير محدود.

14- عصب العينين.

15- التجريد من الملابس.

16- القيد بالسلال لفترات طويلة.

17- الوقوف لفترات طويلة في أوضاع شاذة ساعات طويلة متصلة مع مد الذراعين والرجلين في أحياناً كثيرة ويضرب المعتقل إذا تحرك.

18- الاحتجاز في زنزانات قذرة تحتوي على البراز وغيره من القاذورات ومملؤة بالحشرات.

19- المنع من الذهاب لدورة المياه.

20- القتل الجماعي.

21- الاغتيال في الشارع.

22- اختفاء المعتقل.

23ـــ الشنق.

أ ـــ قصص من سجون آل سعود:

1ـــ ذكرت الحركة الإسلامية للإصلاح في نشرتها رقم 31 بتاريخ 14 أكتوبر 1996م التالي:

(جريمة كبرى في سجون آل سعود)

في تطور غريب وخطير، قد يترتب عليه آثار وخيمة جداً، اخترق النظام السعودي حاجزا لم يخترقه من قبل، وتجاوز فيه كل حدود الدين والأخلاق والأعراف والقيم، وقرر فيه المجازفة بالتبعات التي تترتب عليه.

لقد أقدمت فرق التعذيب في جهاز المباحث المكلفة من قبل وزير الداخلية، والموجهة من قبل المستشارين المستوردين لوزارة الداخلية، بتجاوز الحاجز الأخلاقي الذي ترددت في تجاوزه مرارا، واقترفت تلك الفرق الجريمة الكبرى التي لا يمكن أن يتصور أبناء الجزيرة حصولها في أنفسهم وأبناءهم وإخوانهم بالطريقة التي نفذتها تلك الفرق الوضيعة.

لقد ثبت لدى الحركة من مصادر مطلعة داخل الجهاز الأمني أن فرق التعذيب اقترفت الجرم الأثيم، المتمثل في هتك أعراض عدد كبير من المعتقلين وتكرار الاعتداء الجنسي عليهم، في محاولة لسحق شخصياتهم والقضاء على نفسياتهم العالية.

لقد أفادت المعلومات القادمة من داخل السجون أن الذين طالهم الاعتقال بسبب ماضيهم الجهادي يتعرضون لسلسلة من الضغوط تنتهي بتلك النهاية المشينة والعياذ بالله، حيث يطلب من كل من له علاقة بذلك التيار بالإقرار (كرها) بأنه يؤمن بتكفير الحكام والمجتمع والعلماء، وإذا لم يوافق عُذب تعذيبا شديدا بشتى أنواع التعذيب النفسي والجسدي، فإن أصر على الرفض، يهدد بالاعتداء الجنسي ويحاط نفسيا بظروف وأوضاع يعيش فيها هذا التهديد القذر، فإذا أصر على الرفض فحينئذ لا تتورع الكلاب البشرية عن تنفيذ ذلك التهديد وارتكاب الجريمة القذرة ولربما تم تصويره في هذا الوضع المشين إمعانا في إهانته وابتزازه إلى أقصى حد ممكن.

ولقد علمت الحركة أن هذه الجريمة الحقيرة التي تحصل في قلب جزيرة العرب وعلى يد زبانية (دولة التوحيد)!!!، إنما تأتي تنفيذا للبرنامج الذي اقترحه مستشاروا وزارة الداخلية القادمون من شمال أفريقيا، والذين نجحوا في إقناع وزير الداخلية بفعالية هذا الأسلوب في تحقيق الجزء الهام من تجفيف المنابع، من خلال تحطيم شخصية أولئك الشباب والقضاء على معنوياتهم ونفسياتهم.

نعم لربما حصل شيء من التهديد بالاعتداء في الماضي لمن يعتقد أنهم ممن ليس لهم ظهر يحميهم، بل ربما استغل المحققون صلاحياتهم في حالات فردية شاذة ونادرة دون علم رؤسائهم، لكن لم يخطر ببال أحد من أن تتحول هذه الممارسات إلى عمل روتيني بعلم وتوجيه وإقرار الرؤساء الكبار وعلى رأسهم وزير الداخلية شخصياً.

نعم لم يتردد آل سعود عن استخدام أي نوع من أنواع التعذيب القديم والجديد، النفسي والجسدي، لكن لم يكن هذا الأسلوب الأخير إلى عهد قريب من ممارساتهم ولا سياستهم، ولم يكن تجنبهم لهذا الأسلوب بدافع العفة وحسن الخلق، بل كان لأنهم أكثر إدراكا في الماضي لمصلحة الحكم وسلامة العرش، فلقد كانوا يعلمون أن أبناء الجزيرة العربية بالإمكان أن يتحملوا الاعتقال والتعذيب النفسي والجسدي، بل ربما يتأثرون حقيقة وتتغير قناعاتهم ببعض

الأساليب النفسية الخاصة التي يتقنها آل سعود، لكنهم لا يمكن بحال أن يتصوروا أنفسهم أو أقاربهم أو أي عزيز عليهم وقد هُتكَ عرضه بتلك الطريقة المقززة.

إن خطورة هذه الممارسات من قبل النظام لا تقع على من وقع ضحية لها فحسب، بل إن أثرها الحقيقي على المجتمع كله، الذي سرعان ما ينتشر فيه خبر هذا الاعتداء، لأنه ليس اعتداء على (فرد) و (شخصية) فلان، بل هو اعتداء على عائلة (فلان) وقبيلة (فلان) وفصيلته وطائفته ومنطقته وقريته، وإذا لم تتحرك البواعث الدينية تحركت هنا البواعث العصبية والقبلية. وهذا يعني أن العلاقة بين الفرد ورجال الأمن تنقلب تماما، فحين يستسلم الفرد المطلوب لرجال الأمن الذين يحضرون لاعتقاله بسهولة، اعتقادا منه أن التعذيب فيما دون الاعتداء الجنسي، هو معاناة في سبيل الله، ودفعا لفتنة أكبر في مواجهة شاملة مع النظام، فإن هذا الفرد ليس مستعدا للاستئسار والاستسلام إذا كان الاعتداء الجنسي وما يصاحبه من تصوير وابتزاز واردا في مخيلته بعد هذا الاعتقال، حتى لو أدى صدامه مع قوات الأمن إلى قتال، بل حتى لو أدى إلى قتله. وفي الحقيقة فإن هذا هو الذي أخرج ظاهرة عدم الاستسلام في البلاد التي تحولت فيها المواجهات مع الأنظمة إلى مواجهات شاملة، وقتال مستمر. فلقد كانت بداية ذلك هي تلك الاعتداءات الجنسية إما للفرد نفسه أو لأفراد من عائلته، ولا غرابة فالعربي الأبي بإمكانه أن يتصور نفسه وقد ضُرب وُحرِّق ونشر بالمناشير، لكنه لا يتصور نفسه وقد تعرض لاعتداء جنسي بتلك الطريقة المشينة.

المعلومات الواردة من وزارة الداخلية تدل على أن نايف قد أخذ بكل التوجيهات التي قدمها خبراء الوزارة المستوردون، بل إن هذه المعلومات تقول أن نايف أعطاهم دورا شبه مباشر في تنفيذ ومتابعة تنفيذ تلك البرامج، بدءاً بقوائم الفصل والتسفير والإيقاف، وانتهاء بسياسة الاعتداء الجنسي على المعتقلين بهدف تحطيم شخصياتهم.

إن هذا يدل على أن نايف وإخوانه متهورون في تقييم الأوضاع وتقدير قوتهم وإمساكهم بزمام الأمور، فلقد تصاعدت أساليب النظام خلال السنتين الماضيتين بسرعة عجيبة من مجرد الاعتقال إلى التعذيب العنيف إلى القتل ثم أخيرا إلى الاعتداء الجنسي والتصوير. ولا يوجد أبدا ما يمنع حسب عقلية نايف أن تعمم التجربة وتطبق على كل المعتقلين حتى يمكن استخراج ما يمكن استخراجه منهم، وإطلاق سراحهم بعد أن يتم ابتزازهم بالكامل. إن الحكام يعتقدون أن رد الفعل الذي يردعهم عن المضي قدما في ذلك ليس له قيمة إلا أن يكون ثورة شعبية عارمة تقضي عليهم، ولا يفهمون أن مجموعة الأحداث التي حصلت وخاصة انفجاري الرياض والخبر هي بمثابة مقدمات لردود فعل عنيفة تجاه النظام، وها قد حصل الآن من قبل النظام ما يشجع على تحويل الأحداث إلى منعطف خطير لا نظن أن آل سعود ينوءون بحمله[1].

إن تحمل نايف مسؤولية هذه الجريمة لا يعني أبدا إعفاء إخوته من المتنفذين، فكل صاحب قرار في سياسة هذه الدولة مسؤول عن هذه الجريمة القذرة، ويتحمل تبعاتها مثلما تحملها نايف، ويستحق ما يترتب على ذلك في الحاضر والمستقبل، ولا ولن يعفيه كونه خارج وزارة الداخلية. وإذا كان نايف لا يقيم وزنا للعرض ولا للشرف ولا للغيرة

[1] لاحظ أن هذا الكلام بعد أحداث الرياض والخبر القديمة في عام 1416هـ و1417هـ وانظر ماذا فعل شباب جزيرة العرب من أحداث غيَّرت مجرى التاريخ ولا زالوا يمضون قُدما إلى الأمام.

كما فعل في حياته الشخصية، فإن هذا سيندرج بعد هذه الجريمة على أخوته وسيكونون جميعا متهمين بما اتُهم به نايف.

بل إن المسؤولية تتجاوز المتنفذين من آل سعود إلى أولئك الذين يضفون عليهم وعلى أعمالهم الشرعية وصفات التوحيد، ويمعنون في تزكية هذا النظام وحرصه على الدين والدعوة وخدمة الإسلام وأنه قد حُقِقَ على يديه (من النعم ما لا يحصيه إلا الله). فهؤلاء لا نعتبرهم مقصرون فحسب في إنكار المنكر الصريح والمعلن، والذي يستحقون به ما جاء في سورة البقرة من وعيد للمتخلف عن البيان، بل إنهم في الحقيقة، ـــ ونقولها بكل قناعة وعلم ومعرفة ـــ شريكون في الجريمة، نعم شريكون فيها وسيحاسبون عليها يوم القيامة كما لو كانوا قد مارسوها بأنفسهم، فإنهم من أقوى الأركان التي يتكئ عليها النظام في استقراره، وأقوالهم ومواقفهم من أقوى الحجج التي يحتج بها النظام في ممارساته، بل إن جريمتهم أعظم كونهم لبسوا لباس العلم وتحملوا مسؤولية الفتيا، فلم يتورعوا بعد ذلك عن الكذب على الله وعلى رسوله والحيدة عن الحق الذي استأمنهم الله عليه. والمصيبة أنهم يعلمون كل ذلك من خلال معرفتهم بسيرة علماء السلف من أمثال الإمام مالك والإمام أحمد وابن تيمية وغيرهم، يعلمون أنهم ليسوا مجرد أعوان للظلمة بل هم الظلمة أنفسهم، يعلمون هذا كله، ويعلمون أن إثم وجرم ومآل العالم الذي يدافع عن الظالم ويزكيه أعظم من جرم وإثم ومآل الظالم نفسه، ولا ندري حقيقة لماذا يصر بعض الساذجين على الفزعة إليهم والشكوى عندهم وهم يرون تزكيتهم للكفر والشرك والظلم والفسوق والعصيان، بل وتنافسهم وتحايلهم في الحصول على مخرج وتفسير لكل جريمة للنظام مهما عظمت، بطريقة لا يمكن أن تخطر ببال أساطين النظام نفسه. وإذا كان الناس قد انبهروا بنصوص ومتون محفوظة فقد وصف القرآن الحفاظ من علماء بني إسرائيل الذين لا يعملون بعلمهم (كالحمار يحمل أسفارا). بل إن كثيرا من علماء المستشرقين أعداء الإسلام لم يقصروا في حفظ النصوص والمتون والقيام عليها وخدمتها وتصنيفها وترتيبها رغم عداءهم للإسلام وحربهم له.

إننا نقولها مرة أخرى، أن العلماء الرسميين شريكون في هذه الجريمة القذرة، ونشهد أمام الله ثم أمام الناس أن الحجة قد قامت عليهم علما بالشرع وعلما بالواقع.

أما أولئك الشباب من دعاة الإسلام سواء من التيارات الجهادية أو غيرها، فليعلموا أنهم إذا استأسروا واستسلموا للاعتقال فإنهم جميعا معرضون لأن تقع عليهم تلك الجريمة القذرة بتفاصيلها المشينة، وإذا كانت هذه الممارسة تقع الآن على شباب الجهاد فإنها حتما ستتجاوزهم قريبا إلى غيرهم من المعتقلين بعد نجاح التجربة ومحدودية رد الفعل كما يظن النظام.

ومعنى ذلك أن يعيد الجميع النظر في المصلحة من الاستسلام والاستئسار للاعتقال مادام ينتهي عاجلا أو آجلا بتلك النتيجة المهينة. بل إننا ننصح الشباب المطلوب والمعرض للاعتقال في أي لحظة أن يبادر بالخروج من هذه البلاد الظالمة إلى أرض الله الواسعة، والبحث عن ملاذ أمن يحمي فيه دينه ونفسه وعرضه وشرفه. وبالمناسبة فإن هؤلاء الذين تعرضوا للاعتداء لم يكونوا متهمين بالمشاركة بأي عمل (تخريبي) أو صلات بجماعات (إرهابية) بل كانت جريمتهم (العظمى) هي مجرد مشاركتهم بالجهاد في أفغانستان في يوم من الأيام. ولم يشفع لهم كونهم استقروا في البلاد وعادوا إلى معايشهم وقطعوا علاقاتهم بأفغانستان منذ سقوط الشيوعية هناك. وإنما الهدف من تنفيذ هذه

الجريمة هو مسخ شخصياتهم وإطفاء روح الجهاد فيهم إلى الأبد، كبديل عن تصفيتهم الجسدية التي لا يريد النظام حاليا تحمل تبعاتها. وفي نفس الوقت الاحتفاظ بالتسجيلات ضدهم والوثائق التي تدينهم ـــ كذبا وبهتانا وزورا ـــ بالانحراف العقدي والفكري والاضطراب النفسي وتبني مذهب الخوارج والتكفير حتى تكون أداة فعالة في ابتزازهم بل حتى وتجنيدهم.

إن استخدام هذه الأساليب مع هؤلاء الشباب الذين لم يعملوا شيئا سوى أنهم استغلوا الفرصة في تنفيذ الشعيرة العظيمة حين سهلت الدولة نفسها الظروف لذلك، دليل على أن النظام عنده كامل الاستعداد لتعميم التجربة على الشباب من التيارات الأخرى. وقد تجددت لدينا معلومات عن عزم النظام على بداية حملة جديدة تستهدف تلك التيارات، حتى تستأصل الدعوة استئصالا كاملا، وتمسخ شخصيات الدعاة وتنتهي مشكلة آل سعود مع (الإسلام)، ويدوم حكمهم إلى يوم القيامة!!!.

إن الشعب كله بكل فئاته وشرائحه مطالب أن يساهم في إيقاف هذه الجريمة، التي وإن كانت تنفذ خلف الأسوار وتحت ظروف غاية في السرية والكتمان، إلا أن آثارها قطعا ستكون ملء السمع والبصر، وسيكون الشعب كله ضحية تلك الآثار السيئة، إذا لم يساهم في استدراك الأمر والأخذ على يد الظالم.

أما المنظمات والمؤسسات التي تدافع عن حقوق الإنسان فإنها مطالبة الآن أن تضيف اسم المملكة العربية السعودية إلى قائمة الدول التي تستخدم الاعتداء والابتزاز الجنسي بشكل منتظم. والمطلوب من هذه المنظمات أن تصعّد هذه القضية حتى تساهم بما تستطيع في إيقاف هذه الجريمة.

وأخيرا فإننا نطالب كل العقلاء ممن يهمهم هذا الأمر من داخل البلد وخارجه، بسرعة التدخل كل بطريقته الخاصة لإيقاف هذه الجريمة التي يترتب عليها من الآثار ما يضر الجميع.

2ـــ تسليم الدولة السعودية المجاهدين الليبيين لمعمر القذافي[1].

ما علمه القاصي والداني، وسمع به العدو والصديقُ من قيام من تنعت نفسها بدولة الإسلام، وتحتكر لقب دولة التوحيد !! بتسليم ثلة من خيار شباب المسلمين المعروف بطهره، والتزامه بدينه، وغيرته على حرماته وشعائره، إلى طاغية ليبيا معمر القذافي المعروف بحقده على الإسلام وأهله، واستهزائه بآيات الله، وتحريفها، وإنكاره للسنة المطهرة، وغيرها، مما هو شائع ذائع، ومعلوم لدى الخاصة والعامة، ولم تقتصر الحكومة السعودية الخبيثة التي تحرص في كل مناسبة أن تتقمص ثوب الإسلام، وتظهر بمظهر حامي حماه، وداعي حقوق أهله، والقائم على حل قضاياهم، ومشكلاتهم، لم تقتصر على ما ذكر فحسب، بل تعدته إلى ما هو أخبث وأشنع وأقذع إذ قامت بتسليم النساء الطاهرات العفيفات زوجات هؤلاء الشباب المسلم، بل قد وصلت دناءتها وحقارتها إلى ترويع الأطفال الأبرياء وتسليمهم كذلك إلى الطاغوت معمر القذافي وزبانيته المجرمين فتأمل هذا الحقد الدفين والعداء المبين، الذي يكنه طواغيت آل سعود لأهل الإسلام، وقارنه بتدخل طاغوتهم الأرعن وشيطانهم الأكبر لإطلاق سراح السجينتين

[1] انظر (الأسرى بين تنكيل الطغيان وقوة الإيمان).

البريطانيتين الكافرتين لتنكشف لك سوءاتهم ويتبدى عورهم وينفضح تدجيلهم. فصار دم المسلم وعرضه أهون عند هؤلاء ممن لا وزن لهم في دين الله، فلعل ذلك من مبادئ التوحيد التي يعلمها طواغيت آل سعود للعـــالم أجمـــع !! وفضائحهم ومجاريهم ما تزال مستمرة ولا ينقضي منها العجب، ألم يكن القذافي بالأمس عند هؤلاء مرتداً عن دين الإسلام وخارجا عن ملة التوحيد ؟ فما الذي قلب الموازين وبدل الحال فصيره أخا وقائدا وصديقا حميما يجب على طواغيت آل سعود مآزرته ومناصرته في حربه للإسلام وأهله[1] ؟ قال الله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) . إن الحرب الخفية الحاقدة التي يقوم بها طواغيت آل سعود وأساليبهم الخسيسة التي ينتهجونها في حرب الإسلام والمسلمين صارت أمرا ظاهرا لا يحتاج تقريره أو إثباته إلى براهين أكثر مما يشاهده كل صادق متجـــرد نـــاء عـــن الأهواء

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

فهؤلاء الطواغيت الذين أسرتهم شهواتهم، وقيدتهم أهواءهم، واستعبدهم أسيادهم من اليهود والنصارى وأعمت أبصاره صورة الحكم بصائرهم، كم من زهرات شباب ذبلت في سجونهم ؟ وكم من طفل برئ أدمعوا عينيه الصافيتين وأدموا قلبه الصغير لوعة على فراق أبيه وحزنا على فقدان حنانه وحنوه ؟ وكم من أسرة هادئة هانئة في عيشتها روعوها ؟ وكم من امرأة طاهرة عفيفة فجعوها وفرقوا بينها وبين زوجها بل وصل الأمر بهؤلاء الطغاة غلاظ الأكباد قساة القلوب بل أمواتها إلى أن يحولوا بين العروسين في عرسهما[2] إن هؤلاء الطغاة لا خلاق لهم من دين ولا خلق، بل هم عراة عن المروءة والنخوة والشرف التي قد توجد في بعض بني البشر، وكم من سجون بنوها بأموال المسلمين التي غصبوها منهم وتركوهم يتضورون جوعا ويعانون حاجة وعوزا ويقاسون بؤسا وشقاء ؟وكم من منابر أسروها وكمموا أفواه دعاتها الصادقين ورجالاتها الناهين الصادعين بالحق ؟ وحتى مساجد الله لم تسلم من أسرهم فكم من مسجد لله عطلوه ومنعوا أن يذكر فيه اسمه، قال الله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم).الآية.

---

[1] من عجائب هذا الزمن أن مشايخ آل سعود أصدروا فتوى بعنوان (البيان الشافي في كفر معمر القذافي) لما اختلف أسيادهم وأربابهم مع طاغوت ليبيا ومن العجيب أيضاً أن هذا الطاغوت (القذافي) اصطلح مع آل سعود في نفس الأسبوع فجاء إلى بلاد الحرمين وأدخله آل سعود إلى جوف الكعبة ولم ينطق هؤلاء الشيوخ العُجز بكلمة واحدة فأصبح الدين ألعوبة بأيدي آل سعود يحركون المشايخ كيف شاءوا فيفتون لهم بما يريدون وفي الوقت الذي يعجبهم وزاد شيوخ آل سعود سبباً جديداً من أسباب التكفير ألا وهو(سب آل سعود)!!.

[2] وها هي القصة تتكرر بسجن الأخوات المغربيات في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مع علماء ومجاهدين ففرقوا بينهن وبين أزواجهن وأولادهن والمسلمون والعلماء والشيوخ لا يتحركون ولا يتكلمون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)أخرجه أحمد (413/5) والترمذي (1566) وهذا في السبايا فكيف بالتفريق بين المسلمة وأولادها وأمها وأبيها وزوجها اللهم إنا نبرأ إليك من فعل هؤلاء الطواغيت الكافرين ومن علماء السلاطين علماء الزور والبهتان الخائنين اللهم فرِّق بين هؤلاء الطواغيت وأهليهم وأولادهم في الدنيا قبل الآخرة اللهم متعنا بالانتقام منهم يا رب العالمين.

ولو نظرنا إلى السبب الحقيقي والدافع الذي يهيج الطواغيت على شباب الإسلام واضطهادهم لوجدناه عين السبب الذي يدفع الكفار دوما وعلى امتداد التاريخ لأسر أهل الدين الحق، ألا وهو العداء المستحكم بين عقيدتين ومنهجين، فالكفار لا يطيقون أن يروا عقيدة أو منهجا آخر غير عقيدتهم ومنهجهم، بل هم لا يرضون ممن سار على سبيل الله وتمسك بالدين الحق إلا بردته عن دينه ولا يفتئون أن يستخدموا ما لديهم وما بين أيديهم من أساليب لتحصيل هذا الغرض، ولأجل الوصول إليه، قال الله تعالى (ود الذين كفروا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقال تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) وقال تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) وقال تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).الآيات.

ثم هم يظهرون عداءهم للمسلمين بحسب أحوالهم وظروفهم، فتجدهم تارة يأسرون المسلمين لمجرد إسلامهم، ولمجرد نطقهم بالشهادتين، وتارة يأسرونهم إذا صدعوا بالحق الذي يدينون به، وتارة يتركونهم يقولون ما يشاءون وإذا ما بدءوا بمواجهتهم بالسيف والسنان أو الإعداد له بذلوا كل ما في وسعهم للقضاء عليهم واستئصال شأفتهم، وتخليتهم لهم حينا من الوقت وإفساح المجال لهم لا يعني رضاهم عنهم، وقناعتهم بما عندهم بل إن ما يكيدونه في الخفاء أعظم وأخبث مما يبدونه في العراء، وإنما هو تحين للفرصة وتشويش وتشويه لدى العامة حتى تستحكم الخطة وتتصل الحلقة ثم هم بعد ذلك يأسرون ويقتلون ويشردون بلا هوادة (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة).الآية.

وأسر الموحدين، وقهرهم في أقبية الزنازين، ومطاردتهم، والكيد لهم إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء الأسرى إنما يسلكون طريق الحق الذي أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بإتباعه، وهذا مما يزيد المؤمنين يقينا فهنيئا لمن كان سائرا على درب الرسول صلى الله عليه وسلم، وسحقا لمن كان مقتفيا آثار كفار قريش متبعا لسنة أبي جهل وأبي لهب وغيرهم من أئمة الكفر في حربهم لأولياء الله الموحدين ألا فلينتظر هؤلاء الطغاة المحاربين لأولياء الله حربا من الله ورسوله (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) رواه البخاري وإن وقوع هؤلاء الموحدين في الأسر سوف يجعل إخوانهم المجاهدين يجعلون من كلمة (أسر) طريقا لخلاصهم، وبابا للإثخان في الطغاة الكافرين إلى أن يشفي الله صدور المؤمنين. فالألف: إرهاب وإثخان والسين: سيف مسلط، والراء رصاص ورهبة ورعب يدب في قلوب الطغاة وأوصالهم.

وإن مما يدمي القلب ويقطع الأوصال أسر المسلمات الطاهرات العفيفات في سجون آل سعود وتسليمهن لطاغية ليبيا القذافي وزبانيته الطغاة الغلاظ الأجلاف.

إن الحديث عن أسرهن وتسليمهن هو حديث الحزن الذي لا ينقطع، الأسى الذي لا ينصرم، وهل يملك القلب حزنه وأساه أن يبوح به إن علم بمأساتهن ؟ وهل تملك العين دمعها أن ينسكب حسرة ولوعة عليهن ؟وهل يملك البدن رجفته إن رأى حالهن، والجلد قشعريرته إن سمع أخبارهن

كيف بامرأة سمعتها الطهر والعفة، ودثارها الحياء والورع، وفيها ضعف النساء وانكسارهن، يتعمد الطغاة أصحاب القلوب المتجبرة والنفوس الكاسرة من أن يأخذوها عنوة وقهرا، وإذلالا وقسرا، فيسوقها إلى محل الأسر كما ساقوا من قبلها الرجال

أتسبى المسلمــات بكـــل ثغر وعيـــش المسلمين إذا يطيــــب
أمـــا لله والإســـلام حـــق يـــدافع عنــــه شبـــان وشيب
فقل لذوي الضمائر حيث كانوا أجيبـــوا الله ويحكـــم أجيبــــوا

ثم هي على ضعفها وانكسارها لا تنجوا من بطشهم وقسوقم وجبروقم فإن هذه الأمور غدت طعامهم وشرابهم (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة). فهم لا يتورعون عن ضربها وإسقاط جنينها الذي لم تكتمل حياته فيخرج مكرها لا يصيب له في الحياة، ولا يكفون عن شتمها وخدش حيائها وإهانة أنوثتها، بل قد يتعدى الأمر إلى ما يعجز القلم عن تسطيره ويستحي من ذكره، ولندع الأمر إلى ساحات الخيالات يحتدم فيها الفكر ويكفيه أن يتصور وقوع نساء طاهرات في أيدي طغاة جفاه عتاة، ولا حول وقوة إلا بالله.

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي
القائلات إذا خشين فضيحة جهد المقالـــة ليتنـــا لم نولـــد

ويا ترى لأي سبب من الأسباب سجنوا هؤلاء النسوة الشريفات إلا لأنهن قلن ربنا الله، والتزمن بدينهن ورضـــين بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. وقد تكون جريرة إحداهن وذنبها أنها زوجـــة أو أخت أو بنت لرجل موحد أبى أن يعطي الدنية في دينه واستعلى بإيمانه أمام طغيان الطغاة وتجبرهم (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). فمن لإنقاذ هؤلاء النسوة العفيفات وغيرهن من قيود الطغاة وهـــن يصـــرخن صباح مساء، وقد عبثت بهن الأيدي النجسة، والنفوس الخبيثة قال الله تعالى (وما لكم لا تقـــاتلون في ســـبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لـــدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا).الآية

يقول سيد قطب رحمه الله[1]: (وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين مـــن الرجـــال والنساء والولدان ؟ هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم ، وكرامة المؤمن ، ولعاطفـــة الرحمـــة الإنسانية على الإطلاق هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدقم ، والفتنة في دينـــهم ، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والعرض لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنســـاني ، الـــذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض)أ.هـــ.

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

[1] انظر في ظلال القرآن (708/2).

3ـــ عملية فرار المجاهدين من سجن الرويس أظهرت عفن آل سعود إلى السطح:

في حوار مع الشيخ أبي الليث القاسمي أحد الفارين من سجن الرويس أجرته معه مجلة الفجر:

كل أنواع التعذيب التي قامت بها محاكم التفتيش في الأندلس ضد المسلمين، رأيتها في السجون السعودية أو سمعت من فعل فيه مثلها عند الساعة الثامنة من صباح الرابع والعشرين من شهر رمضان الماضي تلقى النظام السعودي ضربة قاسية وصفعة قوية هزت وبشدة أسطورته الأمنية، إذ تمكن ثلاثة من أبناء الجماعة الإسلامية المقاتلة من الفرار من سجن الطاغوت بمدينة جدة والمعروف باسم (سجن الرويس) بعدما كان يُضرب به المثل في إجراءاته وتدابيره الأمنية ورغم كل ما اتبعته السلطات الأمنية السعودية من جهود أمنية مكثفة للقبض على هؤلاء الإخوة بعد فرارهم إلا أنهم تمكنوا بفضل الله من مغادرة الأراضي السعودية، والوصول إلى بر الأمان وبعد وصولهم إلى مكان آمن التقى مندوب (الفجر) بهؤلاء الإخوة وهم الشيخ (أبو الليث القاسمي) والأخ (بشير عبد الكريم) والأخ (أبو محمد الزاوي).وكان هذا اللقاء الذي أجرته (الفجر) مع الشيخ (أبي الليث القاسمي) وتحدث فيه عن ظروف السجن وما يلاقيه الموحدون على أيدي زبانية آل سعود وكيفية هروبهم

وفيما يلي نص الحديث

س:كيف تمكنتم من الهروب برغم الإجراءات الأمنية المشددة في سجن الرويس؟.

ج: الحمد لله كما أمر والصلاة والسلام على خير البشر ابتداء في عقيدة المسلم أن الله عز وجل يأمره بأن لا يعجز عن فعل المأمور، والله امرنا بأن لا نعطي الدنية في الدين وان لا نمكن الكافرين من رقـــاب المسلمين، قال تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فمن منطلق هذا الأمر الرباني اجتهد الإخوة في سجن (الرويس) بمدينة جدة في محاولة البحث عن طريقة للهروب والخروج من ربقة الطاغوت فكانت لنا عدة محاولات للهروب منذ الأيام الأولى، حيث فشلت محاولتان، ثم كانت المحاولة الثالثة وهي التي قام بها الأخ (بشير) منفرداً وتمكن حتى من الخروج من السجن بينما في المحاولتين الأولى والثانية لم نستطع أن نخرج من السجن، حيث قمنا برسم الخرائط ولكن نظراً لإصابته بكسر في رجله لم يستطع مواصلة الهروب وانكشف أمره.

س:كيف تم هذا الهروب ؟.

ج:كان الأخ (بشير) في زنزانة انفرادية، وفي هذه الزنزانة ممر في بدايته باب، فاستغل (بشير) فرصة دخول عربة الأكل حيث تفتح لها الأبواب، فعندما فتح له باب الزنزانة وكان باب ممر الزنازين مفتوحاً أيضاً فاستطاع الأخ (بشير) أن يفلت من العسكري وعريف السجن، ووجد نفسه في بهو السجن فركض مسافـــة 300 متر إلى أن وصل إلى طرف السجن بالقرب من غرف التحقيق، واستطاع أن يعتلي السور بدون مساعدة علما بان ارتفاعه يصل إلى ثلاثة أمتار، إلى أن وجد نفسه على حافة السور فقفز بعدها إلى الخارج، والسور من الخارج ارتفاعه ما بين 6 إلى 7 أمتار، فعندما قفز سقط على رجله فانكسرت وكان حراس السجن يلاحقونه فامسكوا به بعد أن ابتعد عن السجن مسافة 300 - 400 متر.

س:وبالنسبة لعملية هروبكم الأخيرة ؟.

ج:كنا كثيراً ما نبحث عن وسائل للهروب، حتى تحصلنا على عدة أشياء تسهل لنا طرقاً عديدة للهروب وحقيقة يظهر للناظر من بعد أن هناك تحصينات ولكنها هشة.

س:ما هي هذه الأشياء التي تحصلتم عليها؟.

ج:بعض الأشياء مثل مفاتيح قيود الأيدي والأرجل، تحصلنا عليها بطرق خاصة، وكانت هناك أفكار كثيرة للهروب لكن غالباً ما يكون هروباً فردياً، ونحن كنا مقررين أن يكون الهروب بأكبر عدد ممكن من الأفراد فأهملنا هذه الخطة وجعلناها احتياطية إذا فشلت الخطة الأخرى أما عن كيفية الهروب، فالمكان الذي كنا محتجزين فيه، كان عبارة عن عنبر فيه ثماني غرف يفتح بعضها على بعض، في إحدى زوايا العنبر توجد ست حمامات، ونوافذ هذه الحمامات تطل على ممر يفتح على ساحة التشميس المغطاة بسياج من الحديد فعندما تحصلنا على مناشير حديدية كانت الفكرة أن نخرج من إحدى شفاطات الهواء التي تكون في الحمامات، بحيث يكون الأخ في الممر الذي لا يفتح إلا في أوقات التشميس حيث يخرج المساجين، بحيث يخرج الأخ من الشفاطة وينزل في الممر وبعد ذلك يكون بينه وبين ساحة التشميس باب واحد، وهذا الباب كان مقفلاً بقفل فتمكنا ــ ولله الحمد ــ من مخادعة الحرس وأفسدنا هذا القفل فصار هذا الباب مشرعاً، وبعد أيام أعطينا المناشير للأخ (بشير) وصار يخرج من الشفاطة ثم يعيدها كما هي، فيكون في الممر ثم يخرج من الباب فيكون في ساحة التشميس، بعد ذلك يوجد باب يدخلك على ممر يلف على الغرف، فباشر الأخ (بشير) في قص الباب، ثم دخل هذا الممر فصار خلف الغرف، وصعد على احد مكيفات الغرف وأصبح على السطح ولم يفصله عن الخارج سوى السياج الحديدي، فقص مربعاً بقياس خروج شخص واحد، وتمت هذه العملية خلال ثلاثة إلى أربعة أسابيع بسبب الظروف والحراسة التي كانت تعيق أحياناً سير العمل، فكنا نتخير الفرص ونخادع الحرس وحدثت لنا عمليات كثيرة من قبل العسكر كدنا أن نكشف فيها لكن الله كان يصرفهم فأصبحنا ننتظر ونترقب يوم الهروب وحددنا يوم الأربعاء 24 رمضان الماضي، واخترنا هذا الموعد بالذات لان العشر الأواخر من شهر رمضان تعتبر إجازة رسمية لكل القطاعات العاملة في السعودية، ويوم الأربعاء عادة يكون دوام العمل إلى الظهر فقط، والخميس والجمعة عطلة نهاية الأسبوع، فاخترنا هذا الوقت لهدوء الوضع فيه تماماً وكذلك مع فترة الصباح حيث يكون الناس نياماً فالحمد لله كانت الأمور مرتبة ترتيباً جيداً، حيث كان الأخ (أبو محمد الزاوي) في المقدمة فخرج من فتحة الشفاطة ثم لحقته أنا ثم لحقنا الأخ (بشير) حتى وصلنا إلى حافة السور الخارجي وقفزنا من ارتفاع ستة إلى سبعة أمتار على الأرض.

س: أين ذهبتم بعد ذلك؟.

ج: الحمد لله.. نظراً لبقائنا مدة طويلة في ارض الجزيرة لدينا نوع من المعرفة بطرق البلاد، فأخذنا طريقاً بعيداً عن الحركة الدائبة إلى أن وصلنا (مكة)، ومع ذلك يقدّر الله عز وجل أن نلتقي في الطريق بأحد حراس السجن وكان يعرفنا، فرأينا الدهشة في وجهه لاستغرابه وجودنا في ذلك المكان وكان هذا في الطريق بين (جدة) و (مكة)، ووصلنا (مكة) ولله الحمد وبعد ذلك سهل الله علينا أمر المأوى.

وكنا في (مكة) و (جدة) نسمع ونرى زبانية الطاغوت يبحثون عنا حتى أن مدير السجن رآه احد الإخوة في الحرم المكي وهو يبحث عنا وقد بدا وجهه شاحباً

س: يعني ذلك أنكم دخلتم الحرم المكي؟.

ج: نعم الحمد لله.. وصلينا فيه.

الخروج من الجزيرة

س: متى وكيف استطعتم الخروج من أرض الجزيرة ؟ برغم كل الإجراءات الأمنية التي اتخذت بعد هروبكم حيث وُزعت صوركم على المنافذ الحدودية والبوابات ووصل الأمر إلى توزيعها على شرطة الحرمين؟.

ج: وأكثر من هذا أنهم صاروا يوزعونها حتى على المدنيين، بل تمت اعتقالات في أوساط من أفرج عنهم ممن كانوا معنا في سجن (الرويس) قبل هروبنا، اعتقاداً منهم أننا قد نذهب إلى هؤلاء الإخوة وبقينا في ارض الجزيرة بعد هروبنا من السجن ما يقارب الشهر، والحمد لله كنا نصول ونجول في ارض الجزيرة، ومرة اكتشف الأخ (أبو محمد الزاوي) ولكنه فر منهم مرة أخرى، حيث شك احد أفراد الشرطة في أمره وعرف صورته، لكن الحمد لله تمكن (أبو محمد) من الفرار منه وكان ذلـــك في مكـــــــة، وبعد ذلك سهل الله عز وجل علينا طريقاً للخروج من ارض الجزيرة وخرجنا.

س: كل من يسمع هذه القصة يستغرب كيف خرجتم من ارض الجزيرة، هل يمكن أن تشرح للقاري ذلك؟.

ج: بعد تردد ــ الحمد لله أولا وآخراً، أما عن كيفية الخروج التفصيلية فتوجد فيها جوانب كثيرة يصعب الحديث عنها لأجل الملابسات الأمنية التي تحدث في هذا الموضوع ــ كما لا يخفاكم ــ لكن كان الخروج عن طريق (...) حيث قطعنا المسافة من (مكة) إلى (...) في (...) عن طريق البوابات بسواتر وأقنعة أذهبت شخصياتنا وصورنا الحقيقية والحمد لله تمكنا من الوصول إلى (...) وبعد ذلك تمكنا من الخروج من هذه (...) إلى (...) عبر المنافذ.

ظروف الاعتقال

س: لنعد إلى الوراء قليلاً.. ما هي ظروف وملابسات اعتقالكم من قبل السلطات السعودية ؟ ومتى كان ذلك؟.

ج: بعد حادثة تفجير الرياض في نوفمبر **1995** م بما يقارب أسبوعا وصلت الحكومة السعودية إلى قناعات وإلزامات من الاستخبارات الأمريكية أن المنفذين إسلاميون، فقامت السلطات السعودية بحملة اعتقالات واسعة في صفوف الإسلاميين بصفة عامة ثم هناك مسألة أخرى وهي أن الحكومة السعودية كانت تبحث عن ذريعة بعد اعتقال الشيخين (سفر الحوالي) (وسلمان العودة)[1] وإخوانهما لكشف حقيقة وأصناف الإسلاميين وتمييزهم ومعرفة هل هناك من الإسلاميين من يفكر في العمل ضد الحكومة السعودية ؟ فكانت هذه فرصتها، حيث بدأت الاعتقالات العشوائية، ويقدر الله عز وجل أثناء ذلك أن يحدث لنا حادث مروري في الطريق تعرض على إثره احد الإخوة للاعتقال، وعند القبض عليه كانت هناك في احد البيوت أشياء متعلقة بالجماعة وفيها أغراض لو كشفت فإنها تدين

[1] هؤلاء الشيوخ تغيروا تغيراً جذرياً وأصبحوا ألعوبة في أيدي آل سعود وقد كانت أحداث نيويورك وواشنطن كاشفةً وممحصة لكثير من الرموز ونحن لا زلنا نقول لهم لا تكونوا مع العدو ضدنا.

الأخ المعتقل، فحاولتُ الذهاب إلى هذا البيت لتنظيفه من أجل إنقاذ الأخ، فقدر الله أن اصطدم بالأمن والشرطة في داخل البيت فتم اعتقالي فيه.

س: ثم حملوك مباشرة إلى الرويس؟.

ج: نعم مباشرة.. حملوني مغمى عليّ.

س: ثم ماذا حدث؟.

ج: الله المستعان. ابتداء باشروا بالتعذيب مباشرة بدون أسئلة ومقدمات، وعندما عرفوا هويتي الإسلامية أرادوا أن يسقطوا الوازع الديني الذي قد أظنه فيهم، فصار اللواء الذي كان يباشر تعذيبي واسمه (أمين زق زوق) وهو مصري الأصل ويعتبر المدير العام للسجن، فبدأ الكلام معي بسب الدين، فعرفتُ أن المسألة استفزازية فأظهرتُ عدم الاكتراث، ثم اتبع ذلك بسب الجلالة فأظهرتُ عدم المبالاة ثم واصل ذلك بأن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعندما وجد مني اللامبالاة قال لي بالحرف الواحد (لو كان ابن باز والعثيمين ـــ وسمى عدة مشايخ[1] ـــ لو كانوا هنا لفعلت فيهم) وذكر ذلك بدون كناية باللفظة السوقية قاصداً الفاحشة، وبعد ذلك بدأ التعذيب معنا.

س: هل تعرضت في التحقيق للسؤال عن انفجار الرياض؟.

ج: في الحقيقة أهم ما كانوا يريدون منا سوى أن نعترف بمسؤوليتنا عن هذا الانفجار، واستمر التعذيب بالنسبة لي قرابة شهر ونصف إلى أن تم القبض على الإخوة السعوديين الأربعة وألبسوهم قضية تفجير الرياض.

س: قبل مرحلة إلقاء القبض على الإخوة السعوديين الأربعة كيف تم التعامل معكم بالنسبة لانفجار الرياض؟.

ج: كانت توجد لجنة من المحققين يرأسها المدير العام اللواء (أمين زق زوق) ويشرف عليهـــا المدعـــو (الخصيفـــان) يومياً والذي يعتبر نائباً لوزير الداخلية السعودي (نايف بن عبد العزيز) وكان طاقم التحقيق مكوناً من تسعة محققين مصريين وعشرة محققين سعوديين ولكن المحققين السعوديين ليس لهم دور كبير، لأنهم بسطاء ولا يتقنون مهنة التحقيق وعندما وجدوا عندنا أغراضاً تدل على انتمائنا إلى (الجماعة الإسلامية المقاتلة) ربطوا بين المنهجية والعمل فقالوا انه لا يفعلها إلا أنتم، وخاصة أن بعض المعتقلين السعوديين قالوا أثناء التحقيق عند سؤالهم عن توقعاتهم عمن يفعل هذا العمل، قالوا: نتوقع أن يفعله الأجانب الموجودون في ارض الجزيرة أتباع الحركات الإسلامية الجهادية ، فبهذا كان الاتهام الأول موجهاً لنا في قضية تفجير الرياض.

إبر.. وأقراص مهلوسة

س: هل أجبروكم على الاعتراف بهذا الاتهام ؟ باعترافات خطية مثلاً ؟.

ج: طبعاً.. بل وأكثر من ذلك اعترافات مصورة مع استخدام الإبر والأقراص المهلوسة ، فاعترفنا تحت ضغط هذه الأمور.

س: بعد هذه الاعترافات المصورة، هل تم تهديدكم بالتحويل إلى القضاء أو اتهامكم علناً ؟.

ج: عندما قاموا بتصويرنا كان ذلك على أساس أننا نحن منفذو التفجير خاصة شخصي أنا، حيث أعطوني خطة ـــ

[1] هذا وهؤلاء شيوخ آل سعود المعتبرين.

حسبما اذكر ـــ بأن ألبسوني التهمة بعد هذه الإبر والأقراص، حتى أنني اذكر أنهم كانوا يضعون لي تحت شاشة الكاميرا ورقة مكتوب عليها بالخط العريض الكلام الذي يريدون مني أن أقوله أو اعترف به، وكانت خطة متكاملة بالخريطة وكيف قمت بتنفيذ التفجير اذكر أن هذا كله حدث لي.

س: هل تتشابه هذه الاعترافات مع الرواية التي قدمها الإخوة الأربعة ؟.

ج: بالضبط أنا لا أذكر ما كنتُ أقوله **100%** لكن عندما رأيت في التلفاز ما قاله الإخوة الأربعة تقريباً كان نفس الكلام.

س: هل التقيتم بالإخوة الأربعة أثناء وجودكم في السجن ؟.

ج: كنا معاً. كنا نحن نعذب في غرفة، وهم يعذبون في غرفة أخرى، فيبدو أن الإخوة الأربعة اعترفوا أن لهم نوايا حقيقية على أنهم كانوا يفكرون في عمل مسلح، وبعد ذلك ألبسوهم تهمة تفجير الرياض، وأنا التقيت بواحد منهم وهو الأخ (مصلح الشمراني) لكن الظروف لم تسمح لنا بالحديث، فأشار إليّ بإصبع السبابة أن اثبت لا إله إلا الله، ثم أعدتُ إليه الإشارة ذاتها، ولكننا كنا نسمع أخبارهم حيث كانوا بجانبنا في الزنازين ونسمع نداءاتهم وقراءتهم للقرآن.

س: كيف كانت أوضاعهم المعنوية قبل تنفيذ حكم الإعدام فيهم ؟.

ج: حقيقةً.. بطولتهم التي ظهرت في السجن تحتاج إلى أن تسطر بأروع من هذا الكلام الذي سأقوله، لكنها كانت فعلاً من اكبر أسباب الثبات للإخوة الآخرين الذين كانوا يعذبون، أخبار ومواقف هؤلاء الإخوة الأربعة، فكانوا يعذبون عذاباً لا يوصف ولا يصدق ولا يتصور مهما وصف، كانوا يتعرضون لعذاب شديد جداً حتى انه في يوم التصوير اضطر الزبانية لاستخدام الماكياج على وجوه الإخوة ليخفوا آثار التعذيب واذكر من المواقف البطولية أن الأخ (مصلح الشمراني) عندما هدده مدير السجن بالقتل قال له باللفظ الدارج بعد أن أشار إلى رقبته: (ما يطير الرقبة غير اللي خلقها، أما أنت زفت ما تسوى شيء) والأخ (رياض الهاجري) أيضاً كانت بطولته يضرب بها المثل حيث كان يتناقلها العساكر ويقولون إن هؤلاء يعرضون على القتل ويكون حالهم بهذه الصورة فهؤلاء في قلوبهم شيء اكبر من الخوف من القتل.

تدجيل القصيبي

س: ذكرت لنا أنكم تعرضتم لتعذيب شديد حتى قبل مباشرة التحقيق، ما هي أنواع التعذيب التي تستخدم في سجن الرويس ؟.

ج: أنا قرأت كثيراً عن أنواع التعذيب في السجون منذ محاكم التفتيش في الأندلس إلى غيرها، فما قرأته وجدته ورأيته أو سمعت من فعل فيه ذلك، لا يوجد ضابط أو مانع قانوني أو عرفي أو دستوري يمنعهم من استخدام أي نوع يرون انه يوصلهم إلى اعتراف السجين بما يريدون، فأنواع التعذيب عندهم كثيرة ومخترعة الكهرباء أنواع، والقيود التي تعلق في السطح والصلب والمنع من النوم ومنع السجين من الجلوس لمدة تصل إلى أسبوعين يظل خلالها واقفاً، مع الحقن بالإبر المهلوسة والمخدرة، فمع هذه الحالة أظن الإنسان يصل إلى حالة جنونية فعلاً، أنا شخصياً كنت أظن أنني فقدت عقلي أما أخبث أنواع التعذيب فهي انتهاك الأعراض حيث يطلبون من السجناء أن يفعلوا في بعضهم

الفاحشة بالقوة، لكن الحمد لله قل أن تجد من يسقط في هذه الإكراه أما أنواع الكهرباء المستخدمة فهي ثلاثة: الأول عبارة عن تابوت يدخل فيه الشخص ممدداً ثم يغلق عليه بواسطة سلاسل تلف على سائر جسده، بعد ذلك تفتح الكهرباء، والنوع الثاني: السوط الكهربائي الذي ما أن يلامسك حتى تشعر أن دماغك يغلي، والنوع الثالث: السلك الكهربائي وهذا غالباً ما يصنع في طرفه مماسك تمسك بها الخصيتان أو الأذنان أو الصدر ثم تشغل الكهرباء وأثناء التحقيق غالباً ما يكون السجين عارياً مجرداً من كل ملابسه، وغيرها من أنواع التعذيب الكثيرة وبهذه المناسبة أحب أن أقول للمدعو (غازي القصيبي) السفير السعودي في بريطانيا الذي خرج علينا من إذاعة بريطانية يقول في لقاء معه: انه لا يوجد تعذيب ولا ضرب ولا إكراه في المملكة فأحب أن أقول له:أننا كنا نعاني أبشع أنواع التعذيب في تلك الفترة، وكان المحققون يتداولون كلامه المنقول في (مجلة المجلة) باستهزاء وسخرية، ويتذاكرون كيف انه كان هو نفسه (القصيبي) يوماً من الأيام عندما غضب عليه أسياده في ذلك السجن، وتحت وطأة السياط حتى فر إلى البحرين ثم توسطت له حكومة البحرين وأعادته إلى ساحة البلاط الملكي.

س: سبق أن ذكر احد المفرج عنهم من سجن (الرويس) لــ(الفجر) أن احد المحققين الشيعة كان يتبول على الإخوة المساجين أثناء التحقيق ؟.

ج: هذا الأمر من الأمور العادية الذي تراه يومياً في التحقيق، بل وصل الأمر ــ أكرمكم الله ــ إلى المني نفسه.

س: وبالنسبة لزوجات المعتقلين كيف كانت ظروفهن ؟.

ج: كان معنا احد الإخوة في قضيتنا جاءوا له بزوجته عندما أنكر ما اهم به، وقالوا له: إن لم تعترف فسنفعل بها أمامكم، فما كان من الأخ إلا أن وقع على ما كتبوا، والتهديد بهذا الأمر حدث لكثير من السجناء أضف إلى ذلك أن كثيراً من الإخوة وخاصة غير السعوديين تكون زوجاهم معهم في السجن فيستخدمونهن كوسيلة ضغط على الإخوة، وهذا أمر مشهور عندهم، وأما مباشرة هذا الأمر أي انتهاك أعراض الأخوات فقد سمعت من بعض العساكر يقولون انه وقع، لكن لم أر ذلك ولم اسمعه من ثقة.

س: هل كنتم قبل هروبكم على علم بزيارة وزير الداخلية السعودي (نايف بن عبد العزيز) إلى ليبيا حيث قيل انه كان يساوم على الشباب الليبي في (الرويس) ؟ وهل هي السبب المباشر في اتخاذكم قرار الهروب أو التعجيل به؟.

ج: فترة زيارته إلى ليبيا صادفت فعلاً هروبنا، لكن لا حظنا أن الإعلام السعودي صار لا يتكلم عن (نايف) مع انه كان يومياً على التلفاز تكرر نفس الاسطوانة: استقبل ..والتقى.. وبعث.. وذهب.. وهكذا فغيابه أثار استغرابنا ؟.

س: إذاً كانت الزيارة سرية ؟.

ج: نعم.. كانت كذلك في بدايتها لكن بعد انتهائها أعلنوا عنها.

س: ماذا ترتب على هروبكم من السجن ؟ هل تم اتخاذ إجراءات أمنية أكثر تشدداً ؟.

ج: العارف بأحوال النظام السعودي يعرف انه نظام مترد جداً جداً وانه لا يتحمل أن يظهر بصورة الضعيف إن فرار سجناء أجانب بطريقة أظنهم إلى الآن لم يكتشفوها، شيء يهز كيانهم كله.

وبالمناسبة هم لم يكتشفوا هروبنا إلا بعد أن اخبرهم السجناء عن اختفاء ثلاثة أشخاص حتى لا يُتهم السجناء، فقيدوا كل السجناء ثم وضعوا العسكري الحارس في وقت هروبنا في السجن، وكذلك العريف المناوب، وطردوا

من الخدمة العسكرية المسؤول عن السجناء وهو برتبة رائد ويدعى صالح المطيري (أبو ياسر).
س: تضفى على سجن (الرويس) هالة كبيرة، خاصة وأن وزير الداخلية السعودي كان يقول أنه آمن على من في الرويس أكثر من الذين في سجن الحاير بالرياض...ما هي كيفية ترتيب هذا السجن من الداخل ؟.
ج: يقع السجن في حي سكني في وسط مدينة جدة، وتوجد فيه خمسة عنابر متنوعة، منها ما هو مخصص للنساء وأخرى مغلقة، وتوجد فيه زنازين وهي ثلاثة أقسام :زنازين ضيقة جداً وهي للحالات السيئة في بداية التعذيب البدني والنفسي، وتوجد زنازين كبيرة نوعاً ما، عندهم تقريباً أربعون زنزانة وخمسة عنابر وإدارة التحقيق في جهة أخرى.
س: كم كان عدد السجناء في سجن الرويس ؟.
ج: يختلف من فترة إلى أخرى، ففي الأزمات يمتلئ ويصل تقريباً إلى **300** سجين.
س: ما هي تداعيات انفجار (الخُبَر) عليكم في السجن ؟.
ج: عندما حدث انفجار (الخُبَر) أعادونا للتحقيق من جديد وأعيد التعذيب من جديد نظراً لوجود أشخاص طلبوا منا التعرف عليهم، وماذا نعرف عن الشيعة.
س: إذاً كان هناك توجه لديهم منذ البداية لاتهام الشيعة ؟.
ج: حقيقةً. عندهم خوف من الشيعة ظاهر جداً، حتى إن المحققين عندما يسألونك عن الشيعة يضربونك كثيراً لو أخبرت أنهم مثلاً ــ في ظنك ــ قد يفعلونها ، لكن عندما تظهر انك لا تعرف عن الشيعة شيئاً فيكون حالك أهون، لكن نظراً إلى أن الفعل الحقيقي اسند إلى أطراف شيعية، فاضطروا إلى السؤال عنهم.
الشرع المزعوم
س: هل كان معكم سجناء شيعة في السجن ؟
ج: أبداً .. بل الشيعة مكرمون حتى وإن كانوا في قضايا غير قضايا التفجير لذلك لم يكن معنا أي شيعي في السجن.
س: عندما لم تتم إدانتكم بانفجار الرياض ما هي القضايا التي بقيتم مدانين فيها ؟ وهل صدرت في حقكم أحكام قضائية ؟.
ج: بعد قضية الرياض وإلباسها للإخوة الأربعة، فتحت لنا قضايانا الخاصة وهي قضية الانتماء لتنظيم (الجماعة الإسلامية المقاتلة) متواجدة في أراضي الحجاز، والجماعة لها نشاطات دعوية خاصة في صفوف المعتمرين والحجاج الليبيين، ففتحت لنا هذه القضايا وتم إدانتنا بها، ثم أخذونا إلى المحاكم وجالسنا القضاة وأدانونا كذلك في قضايانا ولكن لم يصدر في حقنا أي حكم، فقالوا لنا: سوف تسمعون أحكامكم من إدارة السجن، والحمد لله خرجنا ولم نسمع أحكامهم الجائرة
واذكر هنا ما حدث لي شخصياً مع القاضي المزعوم زوراً وبهتاناً انه يحكم بالشرع حيث قلت له بعد أن اخبرني: هل عندك اعتراض على ما كتب في مذكرة التحقيق ؟ وهل أكرهت على قول شيء لم تفعله ؟ فقلت له: أريد أن أسألك سؤالاً :لو أنني أجبتك أننا اكرهنا على كتابة كل حرف فيها فهل تستطيع أن تفعل لنا شيئاً في الحكم ؟ فقال: لا.. ولكن ما عليك إلا أن تتكلم، فقلت له: هل أحكامكم هذه شرعية مستندها الكتاب والسنة فنناقشكم

فيها حتى نطمئن أننا حُكمنا على وفق الشريعة ؟ فقام دعيٌّ آخر وقال : بعد أن فعلت كل هذه الأفعال تسأل عن حكم الشرع في أمثالك ، أنت تستحق القطع عضواً عضواً.

س: كيف كانت أوضاع السجناء المعنوية برغم هذا الجو النفسي الرهيب الذي كانوا يعيشونه ؟.

ج: الحالة النفسية التي تصاحب الإنسان في حال سجنه بكل تأكيد هي غير حالته أثناء حريته، فالنفس البشرية يحدث فيها الضيق والقلق، لكن المشاهد لأوضاع السجناء يجد أن هذه كلها دوافع تقود الإنسان إلى السؤال :لماذا يفعل بنا هؤلاء كل هذا لأن الصورة الحقيقية للأنظمة تظهر في هذه الأماكن.. حقيقتهم الكفرية وعدم اعتبار إنسانية مواطنهم وأما عن علاقات السجناء بعضهم ببعض فكانت شبه أخوية وممتازة جداً ويحدث الترابط بينهم، ويعرف كل أخ انه في هذه الظروف بأمس الحاجة إلى العلاقات الأخوية بينه وبين إخوانه في السجن، وقد قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك يرحمهم الله إن الله عزيز حكيم).الآية).أ.هـ.

ب ــ قصص من مصر:

أُلفت عدة مؤلفات عن التعذيب في مصر وما فعله جلادوها بالمسلمين هناك منذ عقود من الزمن كان من أبرزها كتاب (البوابة السوداء) لأحمد رائف والذي ذكر فيه قصص وآهات السجون في عهد الطاغوت المجرم جمال عبد الناصر لعنه الله وكذلك كتاب (الكتاب الأسود) للشيخ المجاهد أيمن الظواهري نصره الله وثبته على الحق والذي ذكر فيه قصص وآهات من سجون مصر في عهد الطاغوت حسني مبارك قتله الله وسأذكر هنا بعض القصص الواردة في الكتاب الأخير فقط لعدم توفر كتاب البوابة السوداء بين يدي أثناء كتابة هذه السطور.

1ــ قال الشيخ أيمن نصره الله[1]:(محمد خلف يوسف قال عنه تقرير لمنظمة العفو الدولية: (مدرس في التاسعة والعشرين قبض عليه في منزله في أسيوط ليلة **15** أو **16** كانون الأول (ديسمبر) **1990**، ووصف المعاملة التي لاقاها قائلاً: (نقلنا إلى المستشفى التابع لفرق الأمن وهو المكان الذي يتلقى فيه ضباط الشرطة فيما أعتقد الرعاية الطبية ولكنه يستخدم في التعذيب، وطلب منا هناك أن نملأ استمارات نكتب فيها معلومتنا الشخصية واستغرق ذلك نحو ساعة ونصف ساعة، ثم سمعت من ينادي على اسمي ومن ثم أتى أحدهم بمنديل وعصب عيني وأوثق يدي خلف ظهري بقطعة أخرى من القماش ثم ضربوني في كل أنحاء جسدي بطريقة عشوائية .. صفعات ولكمات وركلات في مختلف أجزاء جسدي ومؤخرة رأسي....جردوني من كل شيء إلا ملابسي الداخلية ثم هددوني بإحضار زوجتي وتعذيبها، وسألوني أسئلة مثل: هل تصلي؟ هل تلقي خطبة الجمعة في المسجد؟، وهددوني بالاعتداء الجنسي على زوجتي، ثم سمعت الباب يفتح وإذا بآخرين يدخلون ويجردونني حتى من ملابسي الداخلية، وقالوا لي إنني إذا لم أقدم لهم معلومات فلن أرى الشمس مرة أخرى ولن أعيش حياة طبيعية بعد اليوم، وقالوا إنني إذا

[1] الكتاب الأسود (17).

غادرت ذلك المكان حياً فسوف أنسى حتى اسم زوجتي، وأخذوا يضربونني من جديد واستخدموا جهازاً مشحونا بالكهرباء على جسدي وركزوا على عيني وشفتي ورأسي والمناطق الحساسة الأخرى في جسدي وظلوا يكررون أنني سأنسى جميع من أعرف، واقموني بأنني من الإخوان المسلمين.

وفي يوم الاثنين جاءوا مرة أخرى عند الظهر تقريبا وعادوا بنا إلى المستشفى ووضعوا قطعة من الصوف على عيني وبدأ العرق يتصبب مني، وقالوا لي إن علي أن أقف وذراعاي مرفوعتان وممدودتان وقدماي منفرجتان ولكن قدمي ظلتا تتعثران، وكلما تعثرت ضربوني أو ركلوا رجلي، واضطررت إلى البقاء في ذلك الوضع فترة طويلة، كان وضعا مرهقا وكنت في مسيس الحاجة لتغييره ولكنهم كانوا يضربونني بعصا كلما تراخيت في وقفتي ولو للحظة الواحدة، واقتادونا من الغرفة واحداً واحداً لإنزال مزيد من التعذيب بنا، وعندما عُدنا كان علينا أن نعود للوقوف في نفس الوضع السابق، كانوا يجبروننا على القفز أو الجلوس أو على مد أذرعنا ويضربوننا طوال الوقت بعصا بصورة عشوائية.

ولم تتغير المعاملة يوم الأربعاء عن اليومين السابقين وسألوني ما رأيك في عبد الناصر؟، وما رأيك في سيد قطب؟، ثم وجهوا الصدمات الكهربائية مرة أخرى إلى عيني ورأسي وفمي والأماكن الحساسة في جسدي، وأحضروا كرسياً وربطوا يدي ورجلي إليه وهددوني بإحضار زوجتي بعد **10** دقائق كي أسمع صرخاها، وقالوا إنهم سوف يفعلون ما يريدون بها، وأنني لن أعرفها بعد أن ينتهوا مني، وقالوا إنهم سيضعونني في مكان لا أعود منه مطلقاً، وقالوا إن الإخوان المسلمين ليس بوسعهم أن يفعلوا شيئا لمساعدتي، وإنني في النهاية لن أكون قادراً على أن أسمع أو أتكلم أو أرى أو أفهم شيئاً وإن كل ما أستطيعه سيكون المكوث في المترل عاجزاً عن الحركة وعاجزاً عن الخروج.

وحكمت إحدى المحاكم بالإفراج عن محمد خلف يوسف في **3** شباط فبراير **1991**، وقد أفرج عنه في الواقع في يوم **9** شباط فبراير**1991**).

2ـــ قال في موضع آخر[1]: (فتاة عمرها **17** عاماً تعتقل بسبب أخيها يقول عنها تقرير لمنظمة العفو الدولية: هناء علي فرج، كانت طالبة في السابعة عشرة عندما قبض عليها في مترلها في المنيا في أواخر تموز يوليو**1990**، قالت: أخذوني إلى قسم الشرطة ووضعوني في غرفة وسألني ثلاثة منهم عن مكان اختفاء أخي، لابد إن الساعة كانت قد قاربت منتصف الليل وظللت أقول لهم إنني لا أعرف مكانه وأمر رئيس مباحث أمن الدولة الآخرين بأن يعلقوني فأطاعوه، ومن ثم وضعوا قضيبا حديديا تحت ركبتي وجعلت أتأرجح في وضع مقلوب منه، ثم بدأوا يضربونني على باطن قدمي بعصا خشبية غليظة، وهم يكررون نفس الأسئلة: هل حملت إليه طعاما؟، هل ذهبت لرؤيته؟، أين يختبئ؟، وفيما بعد قدمنا شكوى رسمية بخصوص اعتقالي ومعاملتي ولكن أحداً لم يحقق فيها على الإطلاق ولم يكن أخي سيد مطلوباً بسبب ارتكاب أي جريمة ولكنه كان الاعتقال المعتاد، لقد قبض عليه حتى الآن حوالي ست مرات، قبض على سيد في أيلول سبتمبر**1990** وكان ما يزال معتقلاً حتى شهر حزيران يونيو**1991**).

---

[1] الكتاب الأسود (**18**).

3ـــ قال أيضاً[1]: (ممدوح علي يوسف ذكر عنه تقرير لمنظمة العفو الدولية: أجرى أحد الأطباء الشرعيين عدة فحوص طبية على ممدوح علي يوسف في نهاية تشرين الأول أكتوبر وتشرين الثاني نوفمبر**1990** وذكر الطبيب في تقاريره عن الفحوص التي أجراها يومي **29** و **31** تشرين الأول أكتوبر**1990** في أول الأمر , أنه كان في حالة إعياء نسبي وإرهاق ثم ذكر بعد ذلك أنه كان في حالة إعياء وإنهاك شديد وعند إجراء الفحص الطبي التالي في **10** تشرين الثاني نوفمبر**1990** كانت حالته قد تدهورت إلى الحد الذي جعل الطبيب يكتب في تقريره إنه كان في حالة إعياء شديد فاقد القدرة على الوقوف على قدميه أو الجلوس على الكرسي.

وروي ممدوح على يوسف أنه تعرض للضربات واللكمات وأن لفائف التبغ أطفأت في صدره وأنه تعرض للتعليق من معصميه بعد ربطهما خلف ظهره وأن الصدمات الكهربائية وجهت إلى مناطق حساسة في جسده، ويذكر تقرير الطب الشرعي أن الكدمات الموجودة بشتى أنحاء جسده عادة ما تنشأ من آثار الاصطدام بجسم أو أجسام صلبة أو من أثر الضرب، كما سجل الطبيب أيضا وجود ندوب وبؤرات دقيقة بنية اللون داكنة في حجم رأس الدبوس وانتشارها حول حلمة الثدي الأيمن وأسفل ثمرة القضيب... تلك الندوب ومثلها عادة ما تحدث من مثل تقريب جسم أو أجسام مكهربة من سطح الجسم وما ينجم عنها (من) حدوث نقط نزفية وتأثيرها على الشعيرات الدموية الدقيقة المنتشرة تحت سطح الجلد).

4ـــ ونقل الشيخ أيمن بارك الله فيه هذه الرسالة[2]:(رسالة مهربة من تأديب ليمان أبي زعبل:

هذه الكلمات نسطرها إلى العالم أجمع ونحن في الرمق الأخير من الحياة حتى يعرف العالم ما يحدث في سجون مصر... لا نقول إنه انتهاك لحقوق الإنسان ولكن يعلم الله أنه انتهاك حتى لحقوق الحيوان... ويكفى وصف أحد الضباط بأننا أصبحنا شبه آدميين، قد تتساءل ما هي الأسباب التي تجعل إدارة سجن أبي زعبل الصناعي تذهب بالمعتقل إلى التأديب في الليمان... لعلكم تعجبون إذا علمتم أن شكل المعتقل إذا لم يعجب الضباط يقول يذهب إلى التأديب.

وتبدأ الرحلة بعد استقبال المعتقل السياسي عند بوابة السجن حيث يتم نزع ملابسه كما ولدته أمه، أي والله كما ولدتنا أمهاتنا والزحف على البطن وصب الماء عليه أثناء الزحف مع الضرب بالعصي والهراوات والأحذية وحلق شعر الرأس واللحية والحواجب وإطلاق أسم أنثى، عليه تبدأ الرحلة زحفا من الصناعي إلى الليمان ولا ينقطع الضرب عبر ساحات السجنين وقد تمر ساعات وساعات حتى تلوح بوابة عنبر التأديب بليمان أبي زعبل و عند الدخول فكأنما فتحت أبواب الجحيم... والاستقبال هناك يفوق الوصف إلا أنه في النهاية يلقي بك في زنزانة مغمي عليك وأنت عبارة عن كتلة من اللحم مختلطة بالدماء والتراب. يلقي في زنزانة ليس فيها طعام أو شراب أو غطاء وعندما ينتبه المعتقل بعد يوم يحظر عليه الطعام والشراب ثلاثة أيام وتصوروا معنا أن يحدث هذا في شهر رمضان

---

[1] الكتاب الأسود (**21**).

[2] الكتاب الأسود (**24ـــ25**).

المعظم فلقد حدث هذا ورب الكعبة على أكثر من خمسين معتقلاً نقلوا من سجن العقرب إلى الصناعي في نهار رمضان وفى اليوم الرابع ألقى لكل واحد منهم رغيف من الخبز الجاف.

ومع أول يوم يفيق فيه المعتقل من الغيبوبة يمر عليه زبانية التعذيب بقيادة طارق إلياس قائد عنبر التعذيب ويتنوع التعذيب اليومي فالضرب على القدمين تارة وعلي الظهر تارة وعلي اليدين تارة وعلى أصابع ظهر اليد تارة وعلى الرأس تارة، هذا مع التلذذ بتعذيب الفريسة والاستهزاء بالإسلام (فالجنة بعشرة عصى).

أما النقيب هاني رشاد فهو يمر بالعصا الكهربائية ضرباً بها وصعقا بالكهرباء في الأذان والأماكن الحساسة للفريسة.

وأما الرائد مصطفى جابر ضابط مباحث السجن الصناعي فهو يتفنن في إذلال الضحية يقول للمعتقل (قبل يدي) (قبل قدمي) (اركع لباشاوات مصر).

وبعد مرور أسبوع تُزاد كمية الطعام وهو عبارة عن خبز وقليل من الفول الأسود أو العدس مع الرمل، وأما الشراب فيسمح للفرد بزجاجة مياه كل أربع وعشرين ساعة على الرغم من ارتفاع الحرارة الشديدة داخل الزنزانة وهذه الكمية يشرب منها، ويقضي حاجته في علبة البلاستيك يخرجها المعتقل يومياً لتفريغها تحت وابل من السباب والضرب، وبعد فترة يعطي للمعتقل بدلة من الخيش تظل على جسمه بدون تغيير أو غسيل أو استحمام حتى يشاء الله له بالخروج من هذا العنبر وقد مكث البعض منا أكثر من ستة أشهر بدون استحمام بالطبع تنتشر بين المعتقلين الأمراض الجلدية والقروح والدمامل، أما عن أسراب القمل والحشرات الزاحفة الأخرى فحدث ولا حرج).

5ـــ ونقل أيضاً[1]: (نشرت صحيفة الأهالي عن دراسة المنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن سجون منطقة طرة:بالنسبة للحبس الانفرادي تفيد الشكاوى التي تلقتها المنظمة إلى حبس المعتقلين الجدد حال وصولهم للسجن حبساً انفراديا لمدة شهر كنوع من التكدير وتحطيم المعنويات حيث تنقطع صلته بالعالم ولا تفتح الزنازين عليه طوال اليوم إلا لمدة عشر دقائق فقط للتخلص من جردل البول، توقع عقوبة الحبس الانفرادي دون أي تحقيق مع المسجون أو توقيع الكشف الطبي عليه، كما يتم الحبس الانفرادي أحياناً في عنابر التجربة بالمخالفة للقانون، وقد وصلت مدد الحبس الانفرادي لبعض المسجونين في قضية الجهاد إلى **3** سنوات منذ يوليو **88**).

6ـــ وذكر تحت العنوان التالي[2]: اختطاف الفتيات المنقبات (ذكرت صحيفة الشعب نقلا عن التقرير السابق:

(اختطاف طالبة منقبة)

نصرة فتحي إبراهيم طالبة منقبة بمدرسة السلام الثانوية بحدائق القبة خرجت من منزلها بحي الوايلي متجهة إلى مدرستها وهى لا تدري ما هو مصيرها؟، اختطفها الأمن ولم يكتف بذلك بل استدعى المقدم مصطفى محمود بمباحث أمن الدولة الأسرة وقام بالتحقيق معها وطالبهم بمعلومات دقيقة عن تصرفات نصرة داخل المترل وأثار جواً من الرعب في الأسرة وحتى الآن مازالت نصرة في غياهب ودهاليز السجون لا تعرف عنها شيئا).

---

[1] الكتاب الأسود (**28**).

[2] الكتاب الأسود (**49**).

7ــ ذكر الشيخ أيمن عن هؤلاء الجلادين أُهم يمنعون العلاج عن المساجين في كثير من الأحيان حتى يشارف بعضهم على الموت دون أدنى رحمة[1]: (من أبرز الأمثلة حالة الأخ نبيل المغربي، فقد ذكرت الوفد الخبر التالي:
منظمة حقوق الإنسان تطالب وزير الداخلية بالتدخل لإنقاذ حياة سجين سياسي بطرة
كتب حمدي شفيق: طالبت أمس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان اللواء عبد الحليم موسى وزير الداخلية بالتدخل لإنقاذ حياة السجين السياسي نبيل محمد المغربي التريل الحالي بسجن ليمان طرة... أكدت المنظمة في استغاثة عاجلة ضرورة تقديم الرعاية الصحية للسجين المغربي فوراً لإنقاذ حياته من عدة أمراض خطيرة بالقلب والمعدة والشرايين، وإصدار عفو صحي عنه.. واستنكرت المنظمة عدم تقديم الرعاية الصحية اللازمة للسجين.. وطالبت وزير الداخلية بإجراء تحقيق إداري مع المسئولين عن وصول السجين نبيل المغربي إلى هذه الحالة المتردية، وأعربت عن خشيتها من وفاته مثلما حدث مع المعتقل شحاته عبد الحميد الذي تعمد المسئولون بسجن طرة تركه بدون علاج لأمراضه الخطيرة، وقبل وفاته بيوم واحد تم إخراجه من السجن هرباً من المسئولية... وبعثت المنظمة المصرية ببلاغات عاجلة إلى نقابة الأطباء وعدد من المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان حول الإهمال المتعمد لأطباء السجون).

8ــ يقول الشيخ أيمن رفع الله ذكره[2]: (هذه القصة البشعة نسوقها بتفاصيلها كما أوردها صحيفة الشعب حتى يدرك القارئ أي نظام هذا الذي يحكم مصر: مأساة شاب اختلف مع ضابط فأمر المحتجزين بانتهاك رجولته.
دخل مبنى جريدة الشعب شاب في مقتبل العمر أحمد محمود محمد تبدو ملامح الحزن والانكسار وطلب أن يتحدث مع أحد محرري الجريدة وتساءل هل تستطيعون أن تنشروا مأساتي دون خوف من زبانية الداخلية؟، فأكدنا له أن محرري جريدة الشعب لا يخشون في الله لومة لائم ولا يخافون؟، فبدأ يروي مأساته ومعاناته داخل قسم شرطة باب الشعرية: ومأساتي بدأت منذ ثلاثة شهور عندما حدث خلاف بسيط بيني وبين ضابط بمباحث قسم باب الشعرية يدعى زكي بيه.. وتم إنهاء الخلاف وتصالحنا ونسيت الموضوع تماما ولكن القدر كان يحمل لي مالا أتوقعه ففي مساء 10/22 كان القدر قد حدد موعده لألتقي بزكي بيه من جديد ولأرى على يديه ما لم يره إنسان في مصر، حيث تم إلقاء القبض علي بدون أي تهمة وتم اقتيادي إلى قسم باب الشعرية.. وكانت أولى أدوات التعذيب تسمى بــ (لولو)، وهو ثعبان أخرجه من كيس قماش ووضع رأسه في فمي ثم وضعه داخل ملابسي.. ثم وضعوني على الفلكة والكرباج، وتم مدي على قدمي وأشبعوني ضربا ولكن كل هذا يهون لما حدث لي بعد ذلك.
تلامذة صلاح نصر !!، حيث قام كل من زكي وحسام معاونه بترع ملابسي تماما ووقف كل منهما في طرف الحجرة وأجبروني على تقبيل حوائطها أكثر من عشرين مرة بسرعة فائقة وتواعدوني بالويل إذا تأخرت عن تقبيل أي منهم فكنت أجري من هنا إلى هناك حتى أتلاشى الضرب، وتعرضت لصنوف التعذيب التي أكدت لي أن زكي بيه وحسام باشا هما تلميذان لصلاح نصر، وأن أيامه عادت من جديد، أين نعيش؟، واستمر أحمد يحكي قصته إلى

[1] الكتاب الأسود (52).
[2] الكتاب الأسود (50ــ51).

أن جاء إلى هذه اللحظة المزعجة لتنطلق دموعه وتنحبس أنفاسه وتغير وجهه تماما وهو يتذكر أسود ما يمكن أن يحدث فيقول : أن كلاً من زكي وحسام قاما بفك بنطلونيهما وأجبروني على الفاحشة وتقبيل قضيبيهما ولم يكتفيا بذلك !!، بل قام زكي بيه بإحضار ثلاثة من حجز القسم وبدأ الرجال الثلاثة في التناوب على انتهاكي والويل لأي منهم إذا تأخر عن أداء مهمته القذرة ويبكي أحمد بحرارة ويسائل: أين نعيش؟، بكل صدق لا أعرف!، وبعد ذلك قام زكي بيه بالطبل على كرسي وأمرني بالرقص والغناء بالكلمات الآتية: (أنا حميدة والنهار ده خلاص استكفيت..مش عايزة تاني).

الفلكة داخل الحجز... وبعد ذلك رماني مثل الكلب داخل حجز القسم وأقسم أن أبقى واقفاً على قدمي ورافعاً يدي إلى أعلى وكل عشر دقائق كان زكي يدخل إلى الحجز ليتأكد من تنفيذي للأمر وإذا وجدني قد أنزلت يدي يقوم بضرب جميع من بداخل الحجز... ونظراً لما تعرض له أحمد فقد تقدم رفعت خميس المحامي بمذكرة للمستشار المحامي العام يطالبه باتخاذ اللازم قانونياً ووقف ما يتعرض له أحمد من تعذيب. وأصدر المحامي العام قراراً في **1991/10/24** لنيابة باب الشعرية لاتخاذ اللازم قانونياً.. وحيال طلب النيابة يخرج أحمد من السلخانة ويذهب إلى نيابة باب الشعرية لتأخذ أقواله وبعد ذلك تم تحويله إلى مستشفى سيد جمال وسط حراسة مشددة، وفي المستشفى رفض أحد أمناء الشرطة المكلفين بحراسته طلبه بإجراء أشعة على رأسه لتوضيح مدى ما تعرض له من إصابات وبعد ذلك توجه إلى مستشفى جامعة عين شمس التي قامت باحتجازه لمدة يومين وتوجيه إشارة إلى قسم باب الشعرية توضح فيها تعرض أحمد للاعتداء الوحشي إلا أن القسم رفض استلامها، ويوضح تقرير المستشفى إصابة أحمد باشتباه ما بعد الارتجاج واحتياجه للراحة لمدة أسبوعين.

مصر يا بلد المظالم ورغم كل ذلك يكشف لنا أحمد عن مفاجأة أفظع مما حدث فقد صدر قرار النيابة بإدراج القضية إدارياً !!، وليس جنحة بعد كل ما تعرض له من تعذيب وامتهان للكرامة لآدميته، وقد أثار هذا القرار حفيظة أبناء المنطقة الذين تكاتفوا مع أحمد كما أعرب عدد كبير من المحامين عن رغبتهم في الدفاع عنه، وصل عددهم إلى عشرة محامين ويتزايد عددهم يوما بعد آخر.. إلا أن هذا الجمع الكبير من المحامين فشل في الحصول على صورة من المحضر الخاص بتحقيقات النيابة !! بل وعندما حاول أحمد مقابلة وزير الداخلية في مبنى الوزارة قالوا: اكتب له شكوى فالوزير ليس لديه وقت لمشكلتك).

9ـــ نقل الشيخ أيمن التقرير التالي عن صحيفة الوفد[1]: (مذبحة عين شمس:

ونتنقل الآن إلى منطقة عين شمس التي شهدت خلال **5** شهور فقط مذبحتين مروعتين أسفرتا عن مصرع **9** من المواطنين وإصابة المئات برصاص زبانية زكي بدر الذي اعترف مؤخراً بإصراره على تصفية أعضاء الجماعات الإسلامية جسدياً بل ذهب الوزير في تصريحاته لمجلة الوطن العربي منذ أسبوعين فقط إلى حد القول بأنه لا يؤمن بالحوار مع الجماعات الإسلامية وإنما الحل الوحيد هو ضربهم في المليان وفي سويداء القلب!! أيضاً اعتقلت أجهزة

---

[1] المصدر السابق (**62ـــ64**).

الأمن أكثر من **900** شخص خلال أحداث أغسطس ثم ديسمبر الماضيين وكان من بين المعتقلين عدد كبير من زوجات وأمهات أعضاء الجماعات الهاربين والمطلوب اعتقالهم وأطفال المتزوجين منهم كرهائن لإجبار الآباء على تسليم أنفسهم !! ويمكننا أن نوجز أحداث أغسطس الدامي في السطور التالية وطبقا لما جاء بتحقيقات نيابة أمن الدولة العليا حول الأحداث وأقوال المواطنين المصابين وشهود العيان.

البداية اقتحام مسجد آدم:

عقب صلاة المغرب يوم الجمعة **12** أغسطس عقدت الجماعة الإسلامية بعين شمس ندوتها الأسبوعية وسط حصار أمني مفاجئ شاركت فيه آلاف من القوات التابعة لمختلف أجهزة الأمن وبدا واضحاً أن قيادات وزارة الداخلية تعتزم فعل شيء ما، يؤيد ذلك أن مسجد آدم بالذات سبق اقتحامه عدة مرات خلال العامين الماضيين وأن ندوة **12** أغسطس تأتي في أعقاب حادث مصرع الهاربين من ليمان طرة عصام القمري ثم خميس مسلم وإصابة ثالثهما محمد الأسواني برصاص الشرطة وقد اعترف وزير الداخلية فيما بعد في تصريحاته للصحف الحكومية بوجود محضر تحريات عن بعض الموجودين بالمسجد، وطلبت الشرطة من النيابة الإذن بضبطهم وهكذا انتهزت الشرطة فرصة الندوة الأسبوعية لتحاول اقتحام المسجد والقبض على أعضاء الجماعة الإسلامية الموجودين داخله فرفض الموجودون بالمسجد الخروج وأغلقوا أبواب المسجد لمنع الضباط والجنود من اقتحامه بأحذيتهم كعادتهم في المرات السابقة، فلجأت القوات إلى أخس الوسائل وأشدها جرماً وتحديا لقداسة بيت الله وحرمته وحطمت نوافذه وألقت من خلالها عددا من القنابل المسيلة للدموع والقنابل الحارقة داخل المسجد لإجبار الموجودين به على الخروج وبالطبع اضطر هؤلاء إلى فتح الأبواب لمغادرة المسجد خشية الاختناق بالغاز، وبمجرد فتح الأبواب اندفع الضباط والجنود داخل المسجد بأحذيتهم الغليظة وقلوبهم المتحجرة وأطلقوا الرصاص على الموجودين بالداخل بلا تمييز وكان هذا العمل الإجرامي كافيا لإثارة أهالي المنطقة الذين انضموا تلقائياً إلى أعضاء الجماعة الإسلامية ضد عدوان الشرطة فاتسع نطاق الاضطرابات حتى شمل المنطقة بأسرها وجن جنون كلاب السلطة فصدرت الأوامر بإطلاق الرصاص والضرب في المليان في جميع الاتجاهات وعلى جميع الأهالي بلا تمييز وتساقط الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب وامتلأت الشوارع والبيوت بالجرحى والقتلى الغارقين في دمائهم كما امتلأت لوريات الشرطة بمئات المعتقلين وكان من الطبيعي أن يرد الأهالي على العدوان الغاشم، فألقت النساء والأطفال الحجارة على قوات الاحتلال المركزي من شرفات ونوافذ المنازل وأصيب ضابطان وأربعة جنود وتوفي الضابط محمد زكريا متأثراً بإصابته بحجر في رأسه ألقته أم ثائرة من أعلى سطح منزلها لأنها شاهدت طفلها الوحيد على الأرض يتلوى من الألم وسط بركة من الدماء لإصابته برصاص أحد الضباط كما أحرق بعض الثائرين سيارتين للشرطة انتقاما للمذابح الوحشية التي تعرض لها المواطنين الأبرياء... وبالطبع فرضت أجهزة الأمن حظر التجول في جميع شوارع المنطقة ودفعت وزارة الداخلية بأعداد هائلة من القوات التابعة لمختلف أجهزتها لتأديب المنطقة بأسرها كالعادة !!!.

أذاقت القوات على مدى أسبوع كامل أهالي المنطقة كل ما يخطر على البال من أنواع البطش والانتقام والتنكيل وتعرض المعتقلون لمذابح وحشية داخل أقسام الشرطة والسجون المختلفة التي تم توزيعهم عليها).

10ـــ ونقل أيضاً عن صحيفة الشعب تحت عنوان:آخر خبر الآتي[1] (قالت: أكد أحدث تقرير للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان ارتفاع عدد من تعرضوا للتعذيب في معسكرات الأمن المركزي بالصعيد إلى **315** مواطناً وأن شهر يوليو فقط شهد تعذيب **125** مواطناً، وأشار التقرير إلى وجود ثلاثة معسكرات لقوات الأمن المركزي يجري فيها التعذيب بصورة وحشية وهى معسكرات أبنوب بأسيوط ومعسكر قنا ومعسكر الفيوم بالإضافة لمعسكرين محدودين في الغردقة وبني سويف، وتناول تقرير المنظمة نماذج من ضحايا هذه المعسكرات حيث تعرض محمد بكري الشيخ والذي اعتقل عام **1990** للتعذيب على مدار أسبوع بأساليب تتراوح بين الضرب بالأسلاك والكابلات الكهربائية، وذكر التقرير حالة المواطن أسامة بهي الدين محمود والذي اعتقل في نوفمبر **1991** واحتجز في زنزانة مظلمة ليس بها أي منافذ للتهوية وتعرض للصعق بالكهرباء في أجزاء حساسة من جسده (**1992/12/15**)).

11ـــ وقال نصره الله[2]: (حملات الرعب في ملوي:

في يوم **94/6/25** قتل مجهولون (ظريف أنور متى) وهو تاجر أقمشة متجول أثناء وجوده في قرية تندا، وعلى الفور قامت حملات أمنية كثيفة لتمشيط المنطقة بحثا عن الجناة، وكعادة أهل القرية حاولوا التعاون مع الضباط ولكنهم فوجئوا بالحملات التفتيشية التي ألقت أثاث منازلهم في الطريق وأخذت تستجوب النساء والأطفال أما الرجال فتم اقتيادهم إلى مقر مباحث أمن الدولة واستمر الوضع حتى يوم **28** يونيو عندما قام الملازم أول رفعت عبد الحميد من مباحث أمن الدولة في المنيا بالذهاب إلى أحد المساجد التي تعقد بها الجماعات الدينية لقاءاتها الأسبوعية وأصر على تفريق المجتمعين وهددهم بإطلاق النار عليهم جميعاً، وعندما رفضوا أخبرهم بصدور قرارات اعتقال ضدهم جميعاً، ولم يأت المساء حتى صدرت قرارات عشوائية باعتقال **12** مواطناً من المنيا ومنها قرار باعتقال الدكتور جمال محسب الذي يقضي عقوبة الحبس **15** سنة في قضية سياسية واستمرت الحملات التفتيشية حتى فجر اليوم التالي عندما أصابت قوات الأمن المحاسب رجب عبد الحكيم سعد بثلاث رصاصات في الفخذ والساق والركبة وقامت الإسعاف بنقله إلى مستشفى ملوي العام حيث تركه الأطباء بلا عناية لاستكمال تحقيقات أمن الدولة حتى ساءت حالته وعندما أوشك على الموت تم نقله إلى مستشفى أسيوط حيث توفي في الطريق.

وخشيت مباحث أمن الدولة قيام أهل القتيل بأخذ الثأر فقبضت على أخيه وقامت بترحيل أسرة المتوفى من القرية. ولم يكتف الضباط بهذا بل قاموا بحصار جامع الفتح وإطلاق أعيرة نارية أدت لقفز بعض المصلين في الماء مما أدى لوفاة أشرف ناجي غرقاً وعادت بعد ذلك قوات الأمن إلى قرية تندا، وأوجا ومحرص و جلوبا، بحجة البحث عن الهاربين.

بعد عودة الضباط من مركز ملوي إلى قرية تندا، تغيرت الصورة تماماً فالشوارع خاوية والسكان يفرون إلى منازلهم لمجرد سماع صوت أي سيارة قادمة خوفاً من الشرطة أما الرجال فأصبحوا سجناء المنازل لا يخرجون منها إلى أعمالهم خوفاً من التجوال أو الوقوع في يد أحد الضباط.

---

[1] الكتاب الأسود (**67**).

[2] الكتاب الأسود (ص**69**).

يقول محروس عبد التواب 21 عاماً ويعمل حداداً: عندما حضرت قوات الشرطة إلى منزلي واستأذنت الأسطى ولكنه رفض وطلب مني الذهاب لمركز ملوي لإحضار بعض مستلزمات الورشة وعندما حاولت الذهاب قبض علي العساكر وأخذوني للضابط الذي قام بضربي بالعصا على رجلي ثم وضعوني في سيارة كبيرة بها أكثر من خمسين رجلاً من القرية وذهبوا بنا إلى السجن وهناك وضعونا في صف كبير وعندما يشعر أحد بالتعب ويجلس ينهالوا عليه بالضرب وسألني الضابط عن السنيين وأين يختبئون ولكني أجبته أنني لا أعرف فأخذ يضربني لمدة ثلاثة أيام ثم أعادوني إلى القرية وقالوا إذا رويت لأحد ما حدث سوف نأخذك مرة أخرى.

ويضيف محمد علي مزارع: أن الحملات الأمنية لم تنقطع عن القرية من يوم 25 يونيو ولكنها لم تتحول إلى هذه الدرجة إلا بعد أحداث جامع الفتح.

ويضيف: إنهم اعتادوا يومياً قيام قوات الأمن والضباط بإخراجهم من منازلهم ونصب الفلقة في الشوارع بحجة أننا نخفي قيادات الجماعات الإسلامية ولا نريد أن ندلهم عليهم.

ويؤكد علي طه محمود بائع خضار: أن الضباط أضاعوا رأس ماله عندما ألقوا بعربة البطيخ في الطريق وقاموا بضربه وإجباره على انتحال اسم سيدة لكي يتركوه وهو منذ ذلك الوقت لا يغادر منزله خوفاً من أن يقوم الضباط بإجباره مرة أخرى على ترديد اسم والدته أو جعله يرتدي ملابس السيدات مثلما حدث مع كثيرين.

أما صابر عبد الرحمن والذي نال بشهادة أهل القرية أكبر نصيب من الضرب على يد الشرطة فيؤكد أن قوات الشرطة قامت بالقبض عليه هو ورمضان قطب ومحمد شرف ومحمد فتحي لمجرد أنهم تأخروا عن ميعاد حظر التجوال حيث كانوا داخل محل الحلاقة ونصبوا لهم الفلقة في الطريق وانهالوا على أقدامهم ضرباً بالعصا منذ السابعة مساء وحتى الثانية صباحاً وقيدوهم في السيارات حتى تركوهم للعودة لديارهم بعد أن أصبحوا عبرة لكل من يخالف قرارات الحظر.

ويضيف أحد المواطنين لم يذكر اسمه خوفاً من اضطهاد الضباط: أن قوات الشرطة قامت بنهب محله حيث قاموا بهجمة تتارية على الشاي والسكر والمواد التموينية والأرز والسمن وتركوا المحل خاوياً دون أن يدفعوا مليماً، واحداً لهذه البضاعة، ويتساءل من أين له بسداد ثمن هذه البضاعة إلى أصحابها بعد أن التهمتها قوات الشرطة ولم يعد له سوى أن يبيع أثاث منزله لسداد ثمنها)

12ـــ ونقل شهادة أخصائية للطب النفسي عن آثار جرائم الشرطة ضد النساء والفتيات[1]:

(أرسلت الدكتورة سوزان فياض أخصائية الطب النفسي ومديرة مركز النديم الرسالة التالية لجريدة العربي نقتطف منها ما يلي: نرسل إليكم بشهادتنا الطبية المحزنة عن بعض أساليب التعذيب التي اتبعت في عدد من أقسام الشرطة وعن المشاكل الطبية والاجتماعية المستعصية التي ترتبت على ذلك، بل وعن الأسباب الواهية التي تدفع بعض الضباط لاستخدام أعنف الأساليب وأكثرها بشاعة.

---

[1] الكتاب الأسود (ص73).

نتوقف بشكل خاص عند حالات النساء (الأمهات)، ففي عدد من هذه الحالات جرى تعذيب الأمهات بتجريدهن الكامل من ثيابهن أمام جمع من المخبرين الرجال بالطبع وطرحوا أرضا وعذبوا باستخدام الصعق الكهربائي في أماكن حساسة من الجسد بل وجرت السخرية منهن ومن شرفهن وهددن بالاغتصاب بل وصل الأمر أنه قد جرى استجواب طفلة يقترب سنها من مرحلة عمرية حرجة 13 سنة وهي عارية تماماً لمدة ساعتين، وفي هذه الحالة المحددة قام الضباط بإدخال خال الطفلة وعدد من الرجال سكان نفس الحي الذي جرى استجوابهم وتعذيبهم بنفس الطريقة علي السيدة العارية المطروحة أرضا كالذبيحة.

وفي حالة ثانية قام جمع من الرجال بإجبار سيدة صعيدية في الغالب لم ير زوجها نفسه جسدها حتى الآن قاموا بترع ثيابها كاملة وضربوها وعذبوها عارية تماماً هي وابنها وزوجة ابنها وطفله.

أما الضرب والتعليق فهو يعتبر أحد الوسائل التقليدية المعروفة وكان من نتائجه في إحدى الحالات شرخ أمامي في الجمجمة وكدمات حول العينين وارتجاج بالمخ وكدمات بالفصين الصدغيين ونزيف داخل سائل العين وهذا بخلاف الآلام المبرحة بالجسد والجاري فحص سبب استمرارها للآن وأيضاً بخلاف الأمراض النفسية والعاهات المستديمة التي حدثت في تلك الحالة.

أما عن الأسباب الواهية التي يتعرض بسببها المواطنون للتعذيب فهي تتراوح بين الرغبة في معرفة مكان هروب أحد المتهمين بسرقات صغرى وهم عادة شباب صغير السن، ويجري تعذيب أمه وأبيه أو أفراد أسرته للحصول على اعترافهم بمكان هروبه، رغم أن القانون يعطي الأب والأم الحق في عدم تقديم المعلومات في هذه الحالة، أو أن يقوم الضباط تحت ضغط أحد الشخصيات الهامة اجتماعياً بالانتقام من مواطن عن طريق تعذيبه وتدميره نفسياً.

وأخص بالذكر هنا حالتين نتج عن الأولى كسر بالفك وتبول ليلي وعجز جنسي بعد التعذيب بالكهرباء، والحالة الثانية لسيدة فلاحة مكافحة تعزق الأرض وتزرعها بنفسها لإعالة أسرتها المكونة من ستة أفراد وأسرة ابنتها التي توفى زوجها وترك لها طفلين ومترلاً صغيراً وقطعة أرض صغيرة جداً.

والقصة أن عم الأطفال يصر على أخذهم وأخذ الأرض والمترل وطرد أرملة أخيه لتذهب وتقيم مع والدتها، ولما رفضت الأرملة ووالدتها ترك الأطفال والأرض أبلغ أصدقائه في قسم البوليس فقاموا بالانتقام منها بضربها وبوضعها في خيار نفسي مستحيل وهو أن تخلع ملابسها بنفسها قطعة قطعة أو أن يرسل بها للحبس في زنزانة الرجال.

أما عن التبعات الطبية المترتبة على استخدام هذه الأساليب من الاعتداءات الجسدية فهي تتعدى الخيال، ففي الحالة الأولى أصيبت السيدة التي جرى عرضها عارية على رجال الحي بحالة نفسية حادة وامتنعت عن الخروج إلى الشارع كما أن أخوتها وأبنائها أصبحوا محملين بالشعور بالخجل والمرارة والرغبة المشروعة في الانتقام، كما أصيب شقيق هذه السيدة بحروق شديدة وتقرحات في أماكن الصعق بالكهرباء أدت إلى دخوله في حالة تسمم وارتفاع شديد في درجة الحرارة أما الطفلة فأصيبت بصدمة نفسية لا يعلم إلا الله الآثار المترتبة عليها في المستقبل.

وفي حالة السيدة الصعيدية فقد أصيبت بحالة ذهول ومرض نفسي اضطررنا معه لإدخالها أحد مستشفيات الطب النفسي للعلاج وهي تستكمل العلاج الآن بمترلها، أما زوجها الذي لم يترك صحيفة إلا واشتكى لها وهو يبكي طوال الوقت فقد أصيب بجانب الاكتئاب النفسي بارتفاع فجائي في ضغط الدم وشلل بالجانب الأيسر.

وفي الحالة التي أصيبت بكسر في الجمجمة وارتجاج في المخ، فبعد أن أدخل المريض أحد المستشفيات الحكومية لمدة عشرة أيام فقد خرج وهو مصاب بشلل في العصب الدماغي السادس وزغللة دائمة في العين وصداع شبه دائم وقلق يصل للعصبية وصعوبة في النوم ونسيان كامل ليوم الحادث والفترة السابقة واللاحقة له.

أما في حالة كسر الفك والتبول الليلي والعجز الجنسي فهذا المواطن يعاني من الشعور الدائم بالاكتئاب والمرارة والخجل ولا يستطيع الانتظام في عمله ويتشاجر مع زوجته وأبنائه لأتفه الأسباب.

أما السيدة الفلاحة فهي الوحيدة برغم شعورها بالاكتئاب وشعورها الدائم بالذنب بسبب قيامها بخلع ملابسها بنفسها فهي لازالت تعمل وتعول أسرتها وهي أحد الحالات المتكررة التي أمر وكيل النيابة بغلق ملف تحقيقها بعد أن رفضت الصلح مع الخصم.

13ـــ أخيراً نقل حفظه الله القصة التالية: (تعذيب مصاب بشلل الأطفال:

ذكرت نفس الصحيفة السابقة ما يلي:

واقعة تعذيب جديدة حدثت داخل قسم منشية ناصر ضد مواطن مصاب بشلل الأطفال، القصة بدأت يوم 12 أكتوبر الماضي داخل موقف سيارات الميكروباص أسفل كوبري منشية ناصر عندما حاول المواطن محمد بخيت أحمد الموظف بمستشفى سيد جلال الجلوس في المقعد الأمامي للميكروباص نظراً لظروفه الصحية إلا أن سائق السيارة رفض جلوسه بسبب رغبة أحد أمناء الشرطة في الجلوس في المقعد الأمامي وعندما أصر الشاب على الجلوس قام أمين الشرطة (أشرف السيد جاد) بالاعتداء عليه رغم إعاقته، واشترك معه بعض اللصوص والبلطجية حتى سقط المواطن مغشياً عليه، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد قام أمين الشرطة بمساعدة عدد من البلطجية باقتياد المواطن إلى قسم منشية ناصر وواصلوا الاعتداء عليه وشاركهم ضابط القسم النقيب عماد طاحون حيث قام بتجريد المواطن من ملابسه تماماً وحرض بعض المحتجزين داخل القسم على وضع آلات حادة في أماكن حساسة في جسده، ونتيجة التعذيب البشع أصيب المواطن في وجهه وصدره بجرح غائر وفقد القدرة على الحركة).

يقول الشيخ أيمن الظواهري بعد ذكره لما سبق[1]: (هذا، ونحن لم نذكر هنا جميع الأحداث التي وقعت من إرهاب الحكومة للشعب، فليس غرضنا الحصر، وإنما ذكرنا بعض ما وقع من أحداث للدلالة على أن امتهان الشعب وتعذيبه وإذلاله هي سياسة ثابتة لحكومة مصر في عهد الفرعون حسني مبارك، وعهد من سبقه من الفراعنة، فهذه الأنظمة الحاكمة المرفوضة شرعاً والمرفوضة من الجماهير لا تستطيع أن تبقي يوماً واحدا في الحكم إلا بالإرهاب، الإرهاب القانوني باختراع القوانين الكافرة التي تقنن تعذيب الحكومة للشعب، والإرهاب المادي الذي يقع على رقاب أبناء الشعب وظهورهم).

[1] الكتاب الأسود (ص75).

ج ــ قصص من سوريا:

لطواغيت سوريا تاريخ أسود مع المسلمين هناك سواء في عهد الطاغوت حافظ الأسد (النعجة) لعنه الله أو في عهد الطاغوت بشار قتله الله وقد أُلفت المؤلفات الكثيرة عن ما عاناه المسلمون هناك منها كتاب هبة الدباغ (خمس دقائق وحسب !)[1] تسع سنوات في سجون سورية من ديسمبر 1980 – ديسمبر 1989 وأيضاً كتاب (محمد سليم حماد)[2](قضى 11 عاماً في سجن تدمر) وغيرها من الكتب والرسائل واللقاءات التي تحدثت عن صنوف التعذيب والقهر والإذلال للمسلمين في سوريا وسنذكر نماذج من تلك القصص والآهات لعل الكثير يستيقظ من غفلته عن هؤلاء الطواغيت المرتدين[3].

1ــ تقول هبة الدباغ موضحةً كيفية اعتقالها[4]: (كنت على سبيل المثال قبل يومين قد اصطحبت صديقتي المقربة وزميلتي في الكلية ماجدة ل . إلى سوق الحميدية لنشتري هدية ملائمة لعمتي المريضة، فشعرت وكأن ثمة من يتبعنا من محل إلى محل ومن شارع إلى آخر. . فلما ركبنا الباص إلى (الخيم) حيث تسكن عمتي تأكدت أن الشخص نفسه قد ركب وراءنا فتملكني الخوف جدا. . وهمست وأنا لا أكاد أقدر على تحريك شفتي بمخاوفي لماجدة. . فتبسمت وقالت: أنت موهومة وحسب ! وصباح هذا اليوم. . وعندما كنت أدخل الكلية كالعادة استوقفني عناصر الأمن فأخذوا بطاقة هويتي ودققوا فيها كما يفعلون كل يوم ثم أعادوها. . لكنني ولما انتهت المحاضرات وقفلت راجعة إلى البيت مع ماجدة شعرت ثانية وكأن أحدا ما يلحق بنا. . فلما أخبرتها بما أحس عادت فأكدت لي أنني موهومة. . وأن الأمور كلها طبيعية من حولنا ولا داعي للقلق. لكن القلق ها هو لا يزال يتملكني. . وسكون الليل البارد كأنما يزيده فيه ويؤججه. . ولم يطل الأمر بي أكثر من ذلك بعد ذاك. . فخبطة أبواب السيارات المفاجيء في الشارع أسفل منا. . والجلبة التي تميز وصول رجال المخابرات مكانا ما، كانت كافية لتطرد كل وهم عن ذهني، وتدفعني وقد حسبت أن مداهمة جديدة أو اعتقالا لأحد المطلوبين سوف يشهده الحي الذي نحن فيه. . تدفعني لأهرع إلى النافذة أشع الخبر وأستجلي الحقيقة، لكنني لم أكد أبلغها حتى بلغ مسمعي طرق على باب بيتنا أشد ما يكون. . وبينا كنت ألقي نظرة خاطفة من النافذة فألمح عددا أصعب من أن أحصيه ساعتها من سيارات المخابرات تملأ الشارع. . أتاني الصوت على باب البيت يصيح: إذا لم تفتحوا فسنكسر القفل بالرصاص ! وبحركة آلية تناولت غطاء صلاتي فوضعته على رأسي وركضت باتجاه الباب بادئ الأمر. . لكنني لم أعرف ما أفعل ! أأفتح لهم والبنات كلهن نائمات ؟ أصابني الاضطراب بالحيرة. . ثم وجدتني أهرع إلى فاطمة أكبرنا سنا وهي معلمة

---

[1] تقول هبة الدباغ في آخر كتابها وهي تبين سبب تسمية كتابها:(وعدت بالذاكرة إلى ليلة رأس السنة في بيتنا بالبرامكة قبل تسع سنوات بالتحديد. . ليلة أن اصطفت سيارات المخابرات على طول الشارع في منتصف الليل. . وسألني رئيسهم أن أذهب معه خمس دقائق وحسب، فانتزعوني من الحياة تسع سنوات كاملات. . دون أن أعرف سببا لذلك إلى اليوم !).

[2] محمد سليم حماد، أردني، قضى 11 عاماً في سجن تدمر الصحراوي في سورية، وذاق ورأى خلالها صنوف العذاب والهوان، الذي تُمارسه أجهزة القمــع السورية بحق أبناء شعبها، محمد سليم حماد لم يكتم شهادته، بل أصدرها في كتاب، لتكون شهادة على وحشية هذا النظام.

[3] هناك ألفاظ كثيرة باللهجة السورية الدارجة فتنبه عند قراءتها.

[4] خمس دقائق وحسب (9ــ).

تشاطرنا السكن، فأيقظتها أولا وأنا أقول لها بلا وعي: هيا. . كأن المخابرات أتوا عليك ! ثم لمح في خيالي أن شريكة أخرى في البيت معنا اسمها سوسن س. (خريجة كلية طب الأسنان وتكمل سنتها التدريبية في دمشق) قد نفذوا حكم الإعدام بأخيها صباح اليوم في سجن تدمر كما بلغها وأبلغتنا، فظننت أنهم إنما أتوا من أجلها. . خلال ذلك كان رجال المخابرات قد بدأوا بخلع الباب والضرب عليه بالبواريد، فأسرعت فاطمة إلى حجابها فوضعته على رأسها وفتحت لهم. . ودخلوا يا لطيف ! شيء غير معقول ! قفز واحد منهم إلى السقيفة فورا يفتشها. . واندفع آخر إلى الشباك. . وثالث في المطبخ. . ورابع. . وعاشر. . ولم نجد إلا أحدهم يقتحم الغرفة علينا، وما أن رأى مصحفا معلقا على الجدار حتى انتزعه ورماه على الأرض وصار يدوسه بقدميه كالمهووس. . فيما راح آخرون ينبشون أمتعتنا وينقبون كل زاوية في خزائننا ونحن لا نكاد نستوعب لماذا أو ما الذي كانوا عنه يبحثون ! وفي غمرة المفاجأة سمعت واحدا منهم يصيح من الصالة: وهيبة دباغ. فتقدمت وكأنني أجر كابوسا مرعبا بالرغم عني وقلت له: ما عندنا هذا الاسم.

لكن قلبي انقطع من الرعب، وتأكدت ساعتها أنهم أتوا علي. . فقال لهم رئيس المجموعة: أرجعوا كل واحدة إلى غرفتها وفتشوا الهويات. فامتثلنا للطلب. . ودخلنا غرفنا ونحن نرتعد. . وتقدم عنصر مني وكأنه عسكري في الخدمة ليفحص هويتي، فلما نظر إلى اسمي فيها ثم إلى وجهي اغرورقت عيناه بالدموع، وقال بتأثر وهو يبكي: أنت بنت بلدي. . والله يعين. سألته: لماذا ؟هل هناك شيء ! أجاب : الله بيصبر . . ماذا يمكن أن تفعلي ؟ الله بيعينك. سألته وكأنني أهوي في بئر مظلم: لماذا ؟ هل أتوا من أجلي ؟ قال وهو يشيح بناظريه عني: نعم. . وذهب وأعطى الهوية لرئيس الدورية الذي كان ينادي (وهيبة دباغ). . فنظر هذا إلي بحنق وقال: بتقولي بكل عين وقحة أنه لا يوجد لديكم هذا الاسم ! والتفت إلى عنصر آخر وقال له: خذها إلى غرفة لوحدها وفتشها جيدا).

2ـــ تقول هبة الدباغ في الفصل الثاني كفر سوسة: رحلة خارج الزمن يناير **1981** - **1**أكتوبر **1982**[1]:(بين يدي الجلاد !

كان كل ما حولي يثير الفزع والاضطراب: هذا داخل وذاك خارج. . باب يقفل وآخر من أين لا أدري يفتح. . وكل قادم أو عابر يحمل بيده جهاز لاسلكي أو كبلا أو أداة أخرى للتعذيب. . وفي البداية أدخلوني على مكتب رئيس الفرع ناصيف خير بك، فأحسست وكأنني انتقلت إلى عالم آخر. . فالغرفة واسعة دافئة أنيقة التأثيث، يمتد السجاد الفاخر على أرضهما بمهابة وقد توزعت عليه كنبات وثيرة ومكتبة ومكتب فاخر يحتل تمثال لرأس الرئيس الأسد ركنا منه، بينما ينتصب في زاوية الغرفة القصوى تمثال برونزي آخر لرأس الرئيس بالحجم الطبيعي. وأما المقدم ناصيف الذي كان منهمكا بمحادثة لاسلكية وقتها فلم يعرني أكثر من نظرة ازدراء بطرف عينه، وأومأ للعنصر أن يعيدني إلى مكاني وأكمل حديثه. . ولم ألبث أن اقتادني ذاك ثانية إلى غرفة أخرى مقابل مكتب ناصيف، فوجدت مجموعة أشخاص مجتمعين على شاب مقيد يعذبونه ويحققون معه، وناصيف ممسك جهاز اللاسلكي بيده

---

[1] خمس دقائق وحسب (**18ـــ22**).

يتحدث فيه مرة ومع الشاب المسكين والعناصر مرة. ولم يلبث أن أشار بيده إلى العنصر الذي أحضرني فجذبني ذاك من منكبي وأمرني أن أنتظر خارج الغرفة من جديد، وأنا كالنائمة لا أكاد أقدر على متابعة المشاهد المتجددة والوجوه المتعاقبة والأصوات التي تختلط الشتائم فيها بالاستغاثات والآهات ! وسرعان ما عاد العنصر فأدخلني الغرفة ذاتها لأحضر تعذيب الشاب نفسه لعلي أخاف وأتكلم ما يريدون. كانوا أربعة أو خمسة يشتركون في التعذيب أمامي بالكابل والعصي والخيزران والكهرباء: ناصيف خير بك رئيس الفرع، والرائد عبد العزيز ثلجة وهو رجل ضخم الجثة بالغ الجلافة، وعناصر آخرون كان أحدهم لم يبلغ العشرين بعد مجندا من درعا كما عرفت لاحقا ينادونه حسين، ولم أعرف من كان ذاك الشاب ولماذا يعذبونه، لكنه كان يصيح طوال التعذيب ويستغيث مناديا: والله العظيم مو أنا. . ثم اعترف آخر الأمر لا أدري ليتخلص من مزيد من العذاب أم لسبب آخر فأقر أنه قتل أحد الضباط. . وعندما اشتد التعذيب عليه وكاد صراخه يصيبني بالانهيار التفت إلى العنصر معي وسألته: لماذا أتيتم بي هنا ؟ قال بسخرية: لا أعرف. . اسأليهم. قلت بانفعال: لا أريد أن أسألهم ولكن أنا ما عندي شيء لأعترف به ويضعوني في هذا الموقف فأتفرج على تعذيب الناس. ولم يزد العنصر عن أن هز كتفيه وابتسم متهكما وهو يقول: لا أعرف. . لا علاقة لي بأي شيء هنا ! واستمر الضرب والتعذيب حوالي نصف الساعة أنهضوا الشاب بعدها مضرجا بالدماء والكدمات فكبلوا يديه ورجليه، وفيما اقتادني العنصر وراءه لأكمل كما يبدو رؤية المشهد، سحب الرائد ثلجة الشاب إلى رأس الدرج، ثم ركله برجله بكل قسوة، فتدحرج هاويا يئن، ونادى على أحد ما هنالك لينزله إلى المنفردة في القبو أسفل المبنى، وعاد فأمر العنصر ليدخلني إلى الغرفة مرة أخرى، فأوقفني في زاويتها، وجعل ناصيف وثلجة يتحدثان باللاسلكي لا أدري مع من، ثم خرج الجميع فجأة، ليعود الرائد ثلجة وحده ويغلق الباب كهربائياً بضغطة زر، فاستوى الباب بالجدار حتى لم أعد أدري من أين دخل ولا أين كان هذا الباب. . ومن غير أن يلفظ أي كلمة أو يسألني أي سؤال لم أحس إلا وصفعة مفاجئة تأتيني على حين غرة اصطدم رأسي من عزمها بالجدار وارتد، وصارت الدنيا تدور كلها في، وصرت أرى الرائد أمامي أربعة أشخاص معا، وأرى رأسي أسفل مني ورجلاي فوق الرأس وفوقي ! لم يزد عن أن قال: انظري. . إذا ما بدك تحكي ما بتعرفي ما الذي سيحصل لك.

بساط الريح !

خرج الرائد ثلجة برهة لم أكد أتمالك فيها نفسي حتى عاد مع ناصيف ورئيس الدورية التي أحضرتنا من البيت وشخص رابع لم أعرف من كان. وابتدرني ناصيف يقول: وليك. . شو ما بدك تحكي ؟ ما بدك تقري وتدلينا فين أخوك ؟ قلت له:أخي ليس هنا. قال: إذا أين هو ؟

قلت: لا أعرف الظاهر أنه ذهب ليكمل دراسته. وواقع الأمر فإن أخي صفوان كان قد أخبر أمي عندما زارته في الأردن وقال لهما: إذا سألك أبي أين أنا فقولي له ذهب ليكمل دراسته في الباكستان. تذكرت ذلك بمجرد أن سألني عنه، ولم أكن أدري وقتها بأن أمي كانت معتقلة في نفس السجن معي، وأنه سألها قبل دقائق عن أخي فأجابت الجواب نفسه، والتقى كلامي مع كلامها في هذه النقطة، الأمر الذي أعفاني من التعذيب على ذلك السؤال، ولكنه سألني بلؤم: أنت تعرفين بأن أخاك هنا، وسوف تأخذيننا وتدليننا عليه، أو على رفاقه والبيت الذي يجلسون فيه.

قلت: لا أعلم أي شيء من هذا. . فنادى على أحدهم وقال له: اذهب وأحضر لها بنطالاً وأعطها إياه خليها تنستر

وضعها على بساط الريح. تقدم العنصر مني وطرحني على لوح من الخشب له أحزمة طوق بها رقبتي ورسغي وبطني وركبي ومشط رجلي، ولما تأكد من تثبيتي رفع القسم السفلي من لوح الخشب فجأة فبات كالزاوية القائمة، ووجدتني وأنا بين الدهشة والرعب مرفوعة الرجلين في الهواء وقد سقط الجلباب عنهما ولم يعد يغطيهما إلا الجوارب والسروال الشتوي الطويل، ولا قدره لي على تحريك أي من مفاصل جسمي. . وبكل وقاحة صاح العنصر يقول: انظر سيدي.. أرأيت ؟ قالت إنها ليست من الإخوان. . ولكن انظر كيف أنها منهم ومجهزة نفسها للفلقة ولا حاجة لها للبنطلون ! حاولت دفع أي من القيود الجلدية عن مفاصلي فما استطعت. . وقبل أن أحاول إعادة لوح الخشب إلى استقامته طلبا للستر كانوا قد علقوه من جنزير مثبت به إلى السقف، وتقدم رئيس الدورية التي اعتقلنا وبيده خيزرانة طويلة رفيعة وسألني بلهجة تهديد صريح: شو ما بدك تحكي ؟
قلت: ليس لدي أي شيء لأحكيه. في نفس الوقت كان الرائد ثلجة فوق رأسي يجهز مولدا كهربائيا مربع الشكل موصولا بالفيش وله يد يدار بها وملاقط قربها مني وأطبقها فجأة على أصابع يدي. . وفيما هوى ذاك بالخيزرانة على بطن رجلي أطلق هذا شحنة من الكهرباء سرت كالنار في بدني، فقال دون أن يلتفت لصرختي: هه لسه ما بدك تحكي ؟ صرخت : قلت لكم ما عندي شيء للحكي . قال ببرود: أرأيت كم كانت الكهرباء قوية؟ هذه أخف الموجود لدينا! قلت: حتى ولو كان، هل أعترف بأشياء أنا لم أفعلها! قال: لا. . أنت تكذبين وتخبين علينا. . بدك تقومي الآن تأخذينا وتدلينا على البيت الذي يسكن فيه أخوك ورفاقه وإلا فسنأخذك إلى تدمر ! وأقبل ثلجة هنا بصورة قربها من وجهي وسألني: هل تعرفين هذا الشاب ؟ قلت: لا. قال: كيف ؟ ألا تعرفين رفاق أخيك ؟ قلت: لا. قال: لكن هذا رفيق أخيك الحميم. . هذا عبد الكريم رجب. . ألا تعرفينه ؟ قلت بحزم وقد تأكدت لي الوشاية الرخيصة التي حيكت لي: لا. . لا أعرفه. تبسم الرائد ثلجة ابتسامة صفراء وشرع يقرأ من مجموعة أوراق بين يديه بعين، وعينه الأخرى تتابع انفعالات وجهي: هبة الدباغ: منظمة مع الإخوان وتتعامل معهم. . اشترت لهم بيتا، وتعطي دروسا لسيد قطب في مساجد دمشق و. . صرخت بانفعال وأنا أسمع قائمة الاتهامات الكاذبة للمرة الألف: كذب. . كذب. . لا أعرف أي شيء تتحدث عنه. دس الرائد ثلجة الأوراق بوجهي وهو يقول: ألا تري ؟ هذا كله مكتوب هنا . . كله من اعترافات الرجب. . هو الذي تكلم عنك بهذا، وهو من الإخوان مائة في المائة ويعرف عنك كل شيء ولا بدو أنك تعرفينه أيضا. . عدت إلى قولة كلا. . وعاد التعذيب من جديد، وصار رئيس الدورية يضرب قدمي بكل عزمه، حتى أصبحت الخيزرانة عندما تهوي عليهما تشق الهواء بصوت كالصفير، وجاء عنصر آخر بخيزرانة ثانية وجعل يشارك معه الضرب، فيما عاد عبد العزيز ثلجة فقبع فوق رأسي وجعل يكوي أصابعي بالكهرباء من جديد. كان الألم أشد من أن يوصف. . وكنت في البداية أصيح: يا الله. . لكنني لم أعد أستطيع آخر الأمر أن أخرج صوتي، فصرت ألوح برأسي فقط ولم أعد أحس بشيء. . ووجدتهم بعد عشر دقائق تقريبا من الضرب المتواصل يتوقفون فجأة، ومع الشتائم والعبارات البذيئة طرق سمعي عبارة: إلى تدمر! وسرعان ما انفكت القيود عن مفاصلي، وسحبني عنصر من غرفة التعذيب عبر الممرات والسلالم ثانية إلى سيارة متوقفة عند الباب، ففوجئت برفيقتي ماجدة قد سبقتني إليها بحراسة عنصر آخر. أركبانا معا ولكنني لم أجرؤ أن أتحدث معها بشيء. . وانطلقت السيارة بحركة مسرحية إلى أن بلغت الباب الخارجي، فسألني من جديد: لسه ما بدك تحكي ؟

أحسست وكأن أعصابي المشدودة تصيح كلها معي بصوت واحد: ما عندي أي شيء أحكيه . . أنا لا علاقة لي بأحد . هل تريدون أن أكذب عليكم فقط ؟ هل تريدون ! توقفت السيارة، ولم يلبث السائق أن عاد بنا إلى المبنى من جديد، وأعادوني مرة أخرى إلى التعذيب. . وعادت نفس الأسئلة والاتهامات تطرح علي، لكن الضرب والتعذيب اشتد أكثر، وزاد عدد المشاركين بتعذيبي حتى لم أعد أستطيع أن أعرف عدد من حولي أو عدد المحصي والخيزرانات التي تهوي على رجلي. . وبدأت أرى الغرفة كلها عصيا وخيزرانات. . والناس فيها من كثرة أسئلتهم كالضفادع تنق وتنق بصوت واحد غامض. . فلم أعد في النهاية أجيب على أحد ! وأتاني صوت الرائد ثلجة من جديد يقول: ها. . أنت إذا مسلحة. . انظروا إليها. . تدعي البراءة وتنفي أنها منظمة وهي ليست من الإخوان وحسب. . ولكنها مسلحة أيضا! أحسست أن تهمة أكبر تلفق لي هذه المرة فصرخت بعصبية: لا. .أنا لا علاقة لي بأحد. . وأنا لست مسلحة. قال: ولكن رفيقتك ماجدة هي التي قالت ذلك عنك. قلت: لا تصدقها. . أحضرها لتقول ذلك أمامي. . ربما قالت ذلك من خوفها حتى تنجو من الضرب. قال: لا. . رفيقتك لا تكذب. . هي أصدق منك. . تكلمت عن كل شيء وما تعذبت، وأنت إذا لم تتكلمي فستبقي تأكلي ضربا حتى تحكي. وتقدم ثلجة من جديد نحوي وبيده بطارية كهرباء وضعها على فمي مباشرة وقال بلهجة التهديد: ألن تتكلمي ؟ قلت: ما عندي شيء أحكيه..مهما وضعت لي الكهرباء أو أطعمتني ضربا فما عندي شيء أحكيه ولن أكذب على نفسي. وهنا صاح ناصيف بضجر: هيا أنهضها وأعطها ورقة لتكتب ما لديها من معلومات وسنرى بعدها. والتفت نحوي مهددا يقول: إذا لم تتحدثي بكل شيء هذه المرة فاعلمي أن لدينا عناصر الواحد منم كالوحش يسد الباب. وأضاف: هل تعرفين الشوايا الديرية كيف يكون شكلهم ؟ إذا لم تعترفي فسأدخلهم عليك وسنرى بعدها !).

3ــ قالت أيضاً[1]:(الموت راحة المؤمن !:

أنهضوني عن بساط الريح فوجدت نفسي مبللة من غير أن أشعر، وكنت كأنما أغمي علي أثناء التعذيب فدلقوا علي سطل ماء حتى أصحو. تلّفت حولي كالسكرى فرأيت الغرفة خلت تقريبا من الناس، وأدركت من خلال نافذة كانت فوق رأسي أن الدنيا قد أصبحت ليلا، فقدرت أن ساعتين أو ثلاث انقضت علي وأنا في التعذيب ! وبينا أنا لا أزال أحاول استعادة توازني جاء أحد العناصر بورقة وقلم وجلس أمامي يقول: انظري. . إذا حكيت فستساعدي نفسك، وإلا فستطمسي أكثر مما أنت طامسة. قلت له: ما عندي أي شيء أحكيه. قال: لا أحد يأتون به إلى هنا وما عنده شيء. . ولا أحد يصل هنا إلا إذا كان مذنبا. قلت له: ولكن أنا ليس لدي أي شيء. قال: أنت حرة. وأعطاني استمارة معلومات عامة عن دراستي ومدارسي ثم عن علاقتي بتنظيم الإخوان. . أجبت بما أعرف وأعطيت الورقة للعنصر فذهب بها، ولم يلبث أن عاد الرائد ثلجة يلوح بها وملامح الغضب بادية على وجهه وهو يصرخ في: هل هذه أجوبة تلك التي أجبت بها يا أخت الــ . . . واندلقت كل الشتائم والعبارات البذيئة دفعة واحدة من لسانه وكأنها كانت تنتظر فرصتها للإفلات وفى آخر عبارة أطلقها سمعته يقول: أنت تعرفين هذا البيت

---

[1] خمس دقائق وحسب (22ــ25).

الذي يسكن فيه أخوك ورفاقه وبدك تدلينا عليه الآن لكن أنا أعرف لماذا لا تريدين ذلك. . تريدين أن تماطلي بالوقت حتى يهربوا وسجل دون أن أرد عليه بعض الكلمات على الأوراق التي معه وخرج ولم يلبث أن عاد وقالوا خرج، ولم يلبث أن عاد وقال: إذا لم تتكلمي فسننزلك إلى القبو، والقبو إذا نزلت إليه لا تخرجي منه حتى تموتي قلت له: أحسن. . الموت راحة المؤمن !

قال بغيظ: وتجيبين بكل وقاحة وكل عين يخرب بيتك الم تحسي كم أكلت من قتل ؟ ألا تفكري في أن ترحمي نفسك وتعترفي لتتخلصي من هذا العذاب. قلت له: لكن أنا ليس لدي أي شيء حتى أعترف به. . قلت لكم ما عندي شيء: في تلك اللحظة دخل ناصيف خير بك من وسمعني أقول ذلك جديد للرائد ثلجة، فابتدرني بتكشيرة ونظرة مرعبة وقال والشتائم البذيئة تسبق كلماته إذا الم تعترفي بكل شيء الآن.. مباشرة. .فسوف أعريك من ثيابك صحت وقد هزني التهديد:لكن أنا ما عندي شيء احكيه. قال بلهجة الأمر: اخلعي جلبابك. وقفت هنا ونظرت إليه والخوف الحقيقي يغمر قلبي لأول مرة. قال ألا تريدين أن تخلعيه؟ أنا سأخلعه لك. وتقدم مني فمد يده يريد أن يفك أزرار الجلباب فما وجد شيئا. ففي تفصيلة ذلك الجلباب كانت الأزرار مخفية، فحول يده وأنا أحاول مدافعته إلى رأسي لينزع حجابي فلم يستطع. . أمسكني من شعري تحت الحجاب وكان طويلا وقتها وملفوفا للخلف أمسكني منه وبدأ يشده فينجذب رأسي كله من غير إرادة مني إليه، ثم يعود ويخبطه بالجدار. .وسيل الشتائم البذيئة يرافق ذلك كله، لكنه لم يتمكن رغم ذلك من نزع الحجاب لأن غطاء الصلاة كان قد نزل في أكمامي عندما لبست الجلباب فوقه ساعة الاعتقال. .فصاح بي: وتقولي عن نفسك أنك لست من الإخوان وثيابك كلها ملتصقة ببدنك التصاقا والجلباب أزراره سرية ومخفية ومجهز آخر تجهيز! .

ومع استمرار صمتي وسيل الشتائم منه نادى أحدهم ليعطيه الكبل أو الخيزرانة ليجدد ضربي. . ووقتها كانت قدماي قد تورمتا من الضرب ولم يعد بإمكاني لبس الحذاء، فقال وهو يتناول ما طلب: لا تريدين الكلام ؟ أنا سأريك وتقدم ليبدأ ضربي ، فركضت بعفوية منه والتجأت وراء الطاولة فركض ورائي . . وبدأت أركض وأدور حولها وهو يركض ورائي ليمسك بي ويصيح: يخرب بيتك كل هذا التعذيب والضرب ولازال فيك روح لتنطي وتركضي ونادى الحاجب وقال له: أمسكها من عندك فلما تقدم العنصر وأمسكني صاح ناصيف فيه: خذها. . خذها تنقلع من وجهي. . خذها إلى المنفردة. . لا أريد أن أراها أكثر من ذلك. لم أصدق أن حفل التعذيب قد انتهى ولم أعي ما معنى أن أذهب إلى المنفردة إلا عندما دفع العنصر حذائي إلى وجذبني خارج الغرفة وجعل يقودني عبر السلالم والممرات ثانية نزولا هذه المرة وهو يقول لي: لماذا؟ لماذا لم تتكلمي ؟ أما كان ذلك أفضل لك ؟ كنت على الأقل رأفت بحالك . . أنظري كيف انتفخ وجهك وازرقت يداك وتورمت رجلاك وأكلت قتل الدنيا حتى لم تعودي تستطيعين أن تلبسي حذائك. قلت: ما عندي شيء أحكيه. وأضفت وقد فاض بي الأمر ولم أعد ألقي بالا لكلماتي: الله لا يعطيهم العافية هؤلاء الظلام. . لكنه وكأنما كان يؤدي دورا مرسوما لم يلتفت لعبارتي وأكمل يقول: لكن لو أنك كذبت عليهم كنت خلصت حالك. قلت: أنا لا أكذب وأعلم أن الذي يصدق هنا أو يكذب فنتيجته واحدة. سألني بدهاء: وكيف عرفت ذلك ؟ قلت: لأنهم لم يصدقوني. . قلت لهم الحقيقة فلم يصدقوا فكيف سيفعلون إن أنا كذبت عليهم ! كنا قد وصلنا باب القبو أخيرا، فوجدت حسين. . العنصر الذي كان

يشارك قبل قليل في تعذيب الشاب في الأعلى يطل علينا بوجه مظلم وقد فتح فمه على ابتسامة سخرية تكشف سنا مقلوعة في الوسط فكأنها نافذة في بيت خرب. . استقبلني وبيده كبل يتلوى مثلما تلوت كلمات الترحيب الساخر على فمه وهو يقول: أهلا. . أهلا وسهلا. . والله نورت !

أمسكني حسين من كتفي وأنزلني الدرجات الخمس إلى أسفل، واقتادني من جديد عبر الممر المعتم إلى ثاني زنزانة منفردة في ممر آخر لا يكاد يبدو آخره، وقال وهو يشير إلى الداخل هذا مكانك. . غرفتك العامرة. . وان شاء الله نومة هنية ! أحسست بالنفور من الظلمة ووحشة المكان وكنت لا أزال متوترة الأعصاب جدا فقلت بلا وعي: لا والله. . لا أدخلها أبدا ! قال وهو يدفعني إلى الزنزانة بغلظة: إي بدك تدخلي بكسر رأسك. التفت إلى أبواب الغرف الأخرى فلمحت صديقاتي زميلات السكن معي يطللن بوجوههن من طاقات الزنازين التي وزعوهن عليها، فركضت نحوهن وأنا أصيح: فاطمة. . فلانة. . فجذبني بقوة وهو يقول: تعالي. . تعالي. . هل تظنين نفسك في فندق أو في زيارة ! وفجأة سمعت من آخر الزنازين (رقم **24**) صوت أمي التي يبدو أنها سمعت صوتي أيضا فبدأت تدعو عليهم بصوت عال وتصيح: هؤلاء حريمات تتقوون عليهن يا ظلام. . ما عندكم رحمة ! والله أنا طول عمري أسمع أنه لا رحمة في قلوبكم ولكنني أرى ذلك الآن بعيني ! بهرتني المفاجأة. . وركضت ثانية باتجاه مصدر الصوت وأنا أصيح بدوري: أمي هنا ؟ الله يخرب بيتكم. . ماذا تفعلون بها ؟ إخوتي صغار وأبي مريض. . ولا حول جميعا لهم ولا قوة. فناداني حسين وهو يقهقه بسخرية: وما حاجتنا لأبيك وإخوتك ؟ نحن نريد أمك فقط ! وذهب فأغلق نوافذ المنفردات جميعا ثم عاد يدفعني إلى المنفردة وأنا أحاول المقاومة وأتكىء على زاوية الباب، فقال لي مهددا: إذا لم تدخلي الآن فسأحضر كل عناصر الفرع ليدخلوك. قلت: المكان معتم جدا ! أجاب بسخرية: أنت الآن ستنورينه. . هيا ادخلي. نظرت فإذا بعلبتين من الصفيح في زاوية الزنزانة واحدة فيها خبيص من أرز أو برغل مع مرق وفي الثانية ماء. . قلت له: والله هذا مثل قن الدجاج. . وهذه والله مثل معاملة الحيوانات ! قال: هذا عشاؤك الليلة إذا كان لك نفس لتأكلي فكليه. قلت وقد تملكني الغيظ: أنتم تعرفون أن الذي يدخل إليكم لا تعود له نفس ليأكل ! وهنا حضر عنصر آخر متقدم في السن كان يحسن معاملتي فيما بعد قدر المستطاع. . تقدم مني وقال بصوت منخفض: يله يا أختي ادخلي وتوكلي على الله ولا تتركي له مزيدا من الفرص ليسخر منك. فدخلت المنفردة وصوت أمي لا يزال يبلغ مسمعي. . ثم لم يلبث صوتها أن غاب وسط قهقهات العناصر وصياحهم وهذرهم، وعمت المكان رائحة الخمر وصيحات المجون احتفالا بليلة رأس السنة !! فيما لفتني في وحدتي الظلمة ووحشة المكان فازدادت أعصابي توترا ولم أستطع حتى أن أغير جلستي، خاصة وأنهم أخذوا ماجدة بعدي إلى التحقيق وكان من الممكن أنها تعذب في تلك الساعة مثلما كان محتملا أن تقول عني أي شيء. وبقيت على هذا الحال إلى ما بعد منتصف الليل، حينما حضر أحد العناصر واقتادني إلى غرفة التحقيق من جديد).

4ــ قالت هبة الدباغ عن أمها رحمها الله ووالله لقد بكيت عند قراءتي لهذه القصة[1]: (أمي والإضراب:

---

[1] خمس دقائق وحسب (**31ــ33**).

لم ينته اليوم الثاني علي من غير تحقيق جديد. . كنت خلال ساعاتي التي مضت في السجن قد أدركت مجمل ما يدور حولي، وتذوقت في أول قدومي أشد العذاب وأبشع التهديدات، فلما نادوني للتحقيق من جديد لم يكن هناك ثمة جديد ! أعادوا طرح نفس الأسئلة وتوجيه نفس الاتهامات بنفس الطريقة ونفس الأسلوب. . وعلى مدار أسبوع كامل استمر البرنامج نفسه، ولم يتغير فيه إلا طريقة الضرب بعض الشيء ! فمع الضرب بالخيزران والعصي أرادوا مرة أن يضعوني على الدولاب فلم يكن على مقاسي، فصار المحقق يعوض عن ذلك بالضرب بالخيزرانة وأنا واقفة، فطال بذلك كل جسدي، وزاد من بقع الألم وآثار المعاناة، ولكن شيئا في الأسئلة أو الإجابات لم يتغير ! أما في المنفردة فكانت المتغيرات مستمرة هناك. . والمشاهد المفجعة والحوادث المحزنة لم تتوقف: كانت استغاثات السجناء لا تكاد تكف ليلا أو نهارا. . والويل كل الويل لمن يضبطه العناصر وهو يصلي ! كانوا يمرون عليهم بلا ميعاد، فإذا ضبطوا أحدهم من الطاقة يصلي أخرجوه فأوسعوه ضربا وتعذيبا بلا رحمة، وأما الكفر بالله والشتائم البذيئة فكانت ديدنهم حتى عندما يتخاطبون فيما بينهم، لكنهم لم يكونوا ولله الحمد يضربوننا نحن النساء على ذلك، وكنا نتمكن من الصلاة حتى تحت مراقبتهم. وكنت في بعض الأحيان أعطي ماجدة بعض الإشارات بالضرب على الجدار بيني وبينها، وإذا تأكدنا من خلو المكان من العناصر كنت أكلمها وتكلمني عبر الجدار، وأذكر أن عنصرا أحس بنا مرة نتحدث في الليل فنهض بسرعة وأتى نحونا يصيح: أنا أسمع صوتا. . من هذا الذي يتكلم ؟ وحتى لا تكون سببا في تعذيب أحد من الشباب قالت ماجدة بثقة: أنا. فسألها بغضب: مع من ؟ قالت: مع صديقتي. . أهو حرام؟ ومرت الحادثة ولله الحمد بسلام. وأما والدتي فلم تكن تدخر فرصة للإتصال بي إلا واغتنمتها. . حتى ولو كلفها ذلك الكثير. كانت كلما أرادت أن تخرج إلى "الخط" توقفت عند زنزانتي وتعلقت بقفلها لا تريد أن تتزحزح حتى يفتحوا لها فتراني وتحدثني ولو كلمتين، فإذا ملوا أحيانا من سحبها ومدافعتها فتحوا لها الطاقة وقالوا: هيا شوفيها ولكن بلا كلمتين. . فترفض وتطلب أن يفتحوا الباب لها. . فيقولوا: ممنوع. ولم تلبث في اليوم الثاني من اعتقالها وبعد خروج بقية البنات من دوننا أن أضربت عن الطعام وعن الخروج إلى الحمام وحتى عن النوم حتى تراني. . ولم أدر بذلك إلا عندما حضر أبو عادل رئيس النوبة يقول لي: إذا التقيت أمك مرة ثانية فأعطيها دروسا في الدين. . قولي لها إن لجسدك عليك حقا. . ألم تدرسي ذلك في الشريعة؟ خليها تأكل. قلت له: هي أم وأنت تعرف كيف يكون قلب الأم. . والحق معها. وفي اليوم الثاني ومع استمرارها بالإضراب أتى الأمر بالسماح لها أن تراني وأراها، فجاء أبو عادل ثانية وأخذني إلى زنزانتها وهو يذكرني بحديث الأمس، وقال وهو يدفعني إليها: مثلما اتفقنا. .قولي لها. . قلت له: ماذا أقول ؟ هي حرة. قال: ألا تريدين أن تساعدينا لتفك إضرابها ؟ قلت: ماذا يمكن أن أفعل. . ألا ترى وضعها ؟ الله يعينها ويساعدها. فالتفت إليها بغيظ وسألها: هل رأيت ابنتك ؟ ولم تكن رفعت نظرها إلي طوال ذلك الوقت لتقهرهم. . فقالت: لا. فقال: إذا ماذا تريدين ؟ والله حيرتينا ! قالت : أنت تعرف ماذا أريد . . وحتى يأذن الله. . هو أحسن منكم جميعا وهو أحكم الحاكمين. . وهو قادر على أن يقصف رقابكم ! فلم يجد ما يفعله إلا أن يضحك بغباء ويقفل الزنزانة عليها ويعيدني أنا لزنزانتي من جديد، لكن إضرابها كان والله أعلم سببا للتعجيل بإنهاء التحقيق معنا ونقلنا بعد ثمانية أيام قضيناها في المنفردة إلى المهجع، لننضم هناك إلى بقية النساء المعتقلات).

5ـــ وقالت مبينةً آخر مرة رأت فيها والدها[1]:(إفراج. . ولكن إلى تدمر !

وذات يوم. . وبينما كانت الحاجة تحادث الشباب في الزنزانة المجاورة عبر الأنبوب أتاها من وراء الجدار صوت سائل منهم يسأل إن كان بيننا حمويات. فقالت له نعم. . فقال لها: يا خالتي نحن من حماة أيضا وسنخرج غدا إفراج ، فلو كانت لدى أي من الحمويات رسالة لأهاليهن اكتبوها وضعوها في شق الطاقة ونحن سنسحبها بإذن الله أثناء خروجنا إلى الخط بطريقة لا تشعر العناصر ونوصلها لهم . والذي تبين بعدها أن هؤلاء الشباب المساكين وعدوا بالخروج في اليوم التالي بالفعل ولكن الخروج كان في الحقيقة إلى تدمر ! وفوجئنا عند الصباح بالمحقق يرسل وراء أمي بلا مقدمات أو سبب. . فتعود والدموع ملء عينيها تحدق في وتبكي. . فتملكني القلق والخوف عليها وهجمت أحضنها وأسألها ماذا حدث. . فقالت: أخبرني أنهم سينقلونني إلى فرع آخر اليوم ولكنني لظنه كاذبا. . وأحس أنهم سيطلقونني اليوم. وقصت علينا أن المحقق لما استدعاها ابتدرها يقول لها: جهزي نفسك وأحضري أغراضك بسرعة. فسألته: وابنتي ؟ قال: ستبقى رهينة عن أخيها صفوان ولن تخرج حتى يسلم نفسه. . أو فاعتبري أنك لم تلدي هذه البنت وانسيها ! وجعلت أمي وهي تقص علينا ذلك تخلع ملابسها عنها وتعطينا إياها قطعة بعد قطعة، وما أبقت إلا ما يسترها وحسب لعلمها أنه ليس لدينا ما يكفينا. . وسألتنا إن كان أي منا يريد إرسال رسالة أو توصيل خبر عنه، فسارعت ماجدة وأخذت قلما من منيرة وكتبت رسالة لأهلها على ورق المحارم دستها أمي في كم سترتها، وأخذت تعانقنا وتقبلنا وتدعو لنا وندعو لها وخرجت. . ولم تكد تبلغ الباب عند السلم وهي تستحلف العنصر أن يخبرها بموعد خروجنا كانت إجابته الساخرة ورجاؤها المتكرر يبلغ مسامعنا فيزيدنا ألما وحسرة حتى انفلتت من بين يديه وقفلت راجعة، ففتحت طاقة الباب وسألت بسرعة تقول: نسيت هؤلاء الشباب جيراننا من بيت من كانوا ؟ ولم نكد نخبرها حتى كان حسين قد وصل إليها فأمسكها من ياقة جلبابها وجذبها مغلظا لها في الكلام. . وهي ترد عليه الكلمة بأخرى والعبارة بأشد منها حتى خرجت. . وكانت آخر مرة أراها فيها رحمها الله).

6ـــ يقول محمد حماد حاكياً بداية تعذيبه[2]: (حفل التعذيب:

لم يشأ الرجل القابع وراء المكتب أن يسمع مني المزيد كما يبدو، وأدرك كما فهمت لاحقاً أن الأمر لم ينضج بعـــد. ولم ألبث أن سمعته يقول للعنصر الذي أحضرني من غير أن يدعني أنهي كلامي:

خذه هال.... اعمل كذا وكذا بأخته خليه يقر.

وسرعان ما انتزعني ذاك من مكاني وساقني في الممر الذي جئت منه إلى غرفة مجاورة، وأنا لا أزال على حالتي عارياً مقيداً مغطى العينين. ووجدت أيدياً قاسية تتناولني من جديد فترفع القيد عن يدي من الخلف، وتجذبهما للأمام وتعيد تقييدهما، ثم تعود الأيدي التي تمتد من كل اتجاه فترفعني من وسطي عن الأرض، وتتولى أيد أخرى جذب ســـاعديّ للأعلى. وفي لحظة واحدة أفلتني الجميع، فوجدتني مشبوحاً كالذبيحة تماماً إلى السقف، ورجلاي تخبطان في الهـــواء ليس تحتهما شيء.. وبدأت أولى حفلات التعذيب !

---

[1] نفس المرجع (**45ـــ46**).

[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**16ـــ18**).

كنت أيامها في مقتبل الشباب، وكانت عافيتي بحمد الله وافرة، حتى أن أحدهم ناداني مع ابتداء التعذيب ساخراً يقول:

ولا.. هنْتِ (أي أنت) بتلعب حديد ؟

لكن عملية الشبح وحدها كانت كافية لتمزق أعصابي وتتلف جَلَدي، وتفقدني الوعي بعد عشر دقائق. غير أن الأمر ما كان كذلك وحسب، فسرعان ما انطلقت تتناوشني مجموعة من الكبلات والعصي تجلدني كأسياخ النار، تبعتها من حيث لا أدري لسعات الكهرباء تتخير أكثر مناطق الحساسية في الجسد فتصعقها بلا رحمة: في الأنف مرة، ومرة في الشفتين.. في العورة.. في العينين.. في شحمة الأذن.. في كل مكان تتجمع فيه مراكز الإحساس ومواطن الشعور بالألم !

انفجرت بالصياح من شدة الألم المتفجر فكأنما ازداد الجلادون انتشاء بذلك ! وازدادت حدة اللسعات والصعقات من غير أن يسألني أحد أي شيء !

كنت أسمع وسط دوامة الألم صياحهم وهياجهم كالكلاب المسعورة حولي، ومن غير أن أبصر شيئاً أحسست أنهم ربما كانوا قرابة العشرة، ومع كل ضربة كانت تطرق أذني شتيمة جديدة وألفاظ كفر بالله تزلزل السماوات والأرضين. ولم ألبث أن وجدتني وقد فاق الألم قدرتي على الاحتمال وحتى على الصياح أغيب عن الوعي تماماً، لأصحو لا أدري متى فأجدني في زنزانة منفردة ينهش الألم أطرافي وتشتعل الأوجاع نيراناً في كل ثنية من ثنيات بدني).

7ـ وقال أيضاً وهو يبين معنى بساط الريح لدى هؤلاء الجلادين[1]: (بساط الريح:

أما الحالة الأخرى من التعذيب فكانت على (بساط الريح). وهو لوح من الخشب يشدون المعتقل عليه من كل أطرافه بسيور جلدية، ثم يرفعون نصفه الأسفل الذي ارتصت عليه الساقان ولم تعودا تملكان أي فرصة للتحرك. وتبدأ الكبلات ذات النصال المعدنية تهوي على بطن الرجلين تنهشهما بلا شفقة، وتترك مع كل لسعة لها أجزاء من نصال الحديد في ثنيات الجروح المتفجرة، فإذا انتهى الضرب بقيت هذه النصال مع الدم المتجمد والجروح المفتوحة فتلتهب وتتعفن، فيتضاعف الألم وتشتد الأوجاع والمعاناة. وأما الشتائم والكفر بالله فلم تكن تتوقف مع كل أنواع التعذيب. ولم أكن أنجو من هذه الحفلات الدامية إلا عندما يغمى علي، لأستيقظ وأنا في الزنزانة عاري البدن ممزق الأوصال مبللاً أرتجف من شدة البرد. ولا أكاد ألتقط أنفاسي وألملم بقايا جَلَدي حتى يحين موعد التعذيب مرة أخرى، وتعود الكَبْلات تنهش لحمي من جديد، وتنقض ملاقط الحديد على أماكن متفرقة بالغة الحساسية من جسدي لتصعقني بالكهرباء.

ولأنهم كانوا يعرفون أن العورة لدينا أمر كبير فقد كانوا يتعمدون إهانتنا بالعبث بسوآتنا بطرف الكبل والعصي أثناء التعذيب، أو الإطباق بملاقط الكهرباء على المحاشم وإطلاق صعقات الكهرباء فيها، وكان ذلك في الحقيقة من أشد أنواع العذاب علي، ويبدو أن ذلك ما كنت أفقد وقتذاك الوعي بسببه وأغيب عن الوجود).

[1] (محمد سليم حماد) 11عاماً في سجون تدمر (19ـ20).

8ـــ قال محمد سليم حماد مبيناً أن مائة معتقل كانوا في غرفة واحدة حجمها حجم الغرف العادية يقول[1]: (القمل والجرذان !:

ولقد كان من المضحكات المبكيات أننا ونحن في هذه الحالة من الجوع والضيق والمعاناة كان قضاء محتماً علينا أن نشارك الطعام والمقام ضيوفاً من مخلوقات أخرى تؤمن أن كرم الضيافة حق مباح بلا حدود !

كانت الجرذان، والتي أقسم أن واحدها كان أكبر من القط بلا مبالغة، تربت على طعام المساجين الذي يحتجزه السجانون عنا ثم يرمونه في القمامة ! هذه الجرذان كانت تتنقل بين المهاجع من خلال قنوات التهوية رائحة غادية، وأثناء عبورها فوق فتحة المروحة التي كانت أعجز من أن تقدم شيئاً لهذا الجو الموبوء، كان بعضها يزلق فيسقط بيننا أو علينا، فيصاب المهجع كله بهستيريا الذعر، ويتراكض الناس يميناً وشمالاً يريدون أن ينجوا من عضة هذا المخلوق المرعب. ويتدافع الخلق.. ويعلو الصياح.. ولا تنتهي الغارة ويموت الجرذ تحت الأقدام إلا وقد نهش أرجل أربعة أو خمسة منا.

ومع احتشاد المهجع وتزاحم المعتقلين، وبسبب بعض السجناء القادمين من مواطن موبوءة أو غير نظيفة بالأصل، بدأت تتفشى فينا أعرض مرض السل، وانتشر فيما بيننا القمل. وإذا كان البلاء الأول قد أصاب بعضنا وقتذاك ولم يأخذ صفة الوباء، فإن القمل لم يوفر أحداً من بيننا أبداً، وانتشر في رؤوسنا وملابسنا وأمتعتنا حتى لم يعد من سبيل لتفاديه. وكنت أنا أكثر الناس الذين قملوا. وكان منظراً اعتيادياً ونشاطاً مشتركاً لسكان المهجع كل يوم أن نخلع ملابسنا ونتابع القمل فيها فنفقأه بأصابعنا كإجراء وحيد متاح للحد أو التخفيف من انتشاره !).

9ـــ يقص محمد الحامد ليلة وصولهم إلى سجن تدمر وكيفية الاستقبال التي لاقوها[2]:(أبو جهل !:

لم يكن سهلاً علينا في البداية أن نتكهن إلى أين نمضي، ولم يكن ممكناً لنا في نفس الوقت أن نتبادل الآراء أو أن ننبس ببنت شفة، لكن الوقت الذي طال علينا والسرعة المنتظمة التي أخذت السيارة تحافظ عليها أوحت إلينا أننا الآن خارج العاصمة نتجه إلى مكان بعيد، لم نلبث أن رجحنا هذه المرة أن يكون تدمر لا غير. وبالفعل وفي نهاية المطاف توقفت السيارة بنا وسكن هدير محركها، وفتح الباب الحديدي علينا وأتانا الأمر بالنزول.

سرت القشعريرة في بدني فور أن نزلت من السيارة ولسعتني قرصة البرد الصحراوي قبيل الفجر. ولم نلبث أن وجدنا العناصر الذين أتوا بنا يرفعون الطماشات عن أعيننا ويفكون القيود من أيدينا وأرجلنا ويرموا بها في السيارة لأنها عهدة الفرع هناك. وبرغم الظلام الحالك إلا أن الأنوار التي تسلطت علينا كانت كافية لنرى أفراد الشرطة العسكرية يحيطون بنا ويجرون مع عناصر المخبرات إجراءات الاستلام والتسليم، ولنعلم من ثم أنه سجن عسكري ذاك الذي وصلناه.. وأنه لكل المعطيات التي اجتمعت سجن تدمر لا ريب !

---

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**28ـــ29**).

[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**37ـــ42**).

لم يطل الأمر بنا لأكثر من ثوان معدودات حينما هجم عناصر الشرطة العسكرية علينا وبدأوا يجذبون كل من تحرر من القيد منا فيركلونه ركلة يجد نفسه من فوره على باب صغير، ينتظره على جانبه شرطي آخر يجذبه بيديه كخروف تعس الحظ ويركله مرة ثانية ليلج الباب. وهناك وما أن دلفتُ حتى استقبلتني لطمة شرطي ثالث حولت وجهي إلى الجدار. وتتابع وصول الإخوة الآخرين إلى الجدار بنفس الطريقة، حتى إذا اكتمل عددنا وانتهت الدفعة أحسسنا ووجوهنا إلى الجدار كلنا أن شخصاً مهماً قد حضر. ونادى أحدهم وفق الإجراء العسكري المتبع: حاضر سيدي المساعد.

وانطلق من وراء ظهورنا صوت مساعد السجن أحمد كيساني كما علمنا لاحقاً أو أبو جهل كما سماه السجناء.. انطلق من غير مقدمات يلعن آباءنا وأجدادنا ويَفْجُرُ بحق أمهاتنا وأعراضنا وديننا.. كان مضحكاً مبكياً أن ينادينا هذا المجرم الوالغ في دماء الأبرياء يقول:

يا خَوَن (أي خونة).. يا عملاء الصهيونية !!

وانطلقت السياط من غير إنذار تسلخ جلودنا المكشوفة لهم، فإذا صاح واحدنا أو تأوه ضاعفوا عليه العذاب. لكن حفلة التعارف ما كانت لتبدأ من قبل أن نتلقى أصول الإتيكيت السائد ! ولم ألبث أن طرق سمعي صيحة أبي جهل هذا ينادي عساكره:

أحضروا هذا العرص أبو الجينز.

وكنت وقت اعتقالي ألبس بنطال جينز قدراً، فكأنما وجده نقطة علام تساعده على أداء مهمته. وجذبتني الأيدي كملاقط الحديد ورمتني أمام سيادة المساعد، فلما رفعت عيني إليه أريد أن أستطلع الخبر صاح بي ملء صوته:

غمض عينيك ولا.

وهجم عناصر الشرطة علي فبطحوني أرضاً يركلونني ويجلدونني من كل اتجاه. وأتتني وسط هذه العاصفة لسعة كرباج على عيني رأيت الشرر والله خرج منها ! وأدركت لاحقاً أن هذا الذي أصابني كان مجرد درس تعليمي لنا وحسب ! فالقوانين هنا في سجن تدمر العسكري غيرها في أقبية المخابرات بدمشق. وإذا كانت التعليمات تقتضي هناك أن تبقى عيوننا معصوبة مطمشة على الدوام حتى لا نرى أحداً من المحققين أو الجلادين، فإنها هنا توجب علينا أن نكشف عيوننا وأن نمتنع رغم ذلك عن رؤية أي أحد منهم ! ولو نزلت على واحدنا كبلات الأرض أو قطعت لحمه السياط فالواجب المحتم عليه أن يبقى مغمض العينين !

وتوقف الضرب فجأة بإشارة من أبي جهل، وأتاني صوته القبيح:

رأسك بالأرض ولا وغمض عينيك.

وساد المكان سكون رعيب لبرهة من زمن. فلما أدرك أن الدرس الأول وصل المجموعة كلها صاح من جديد:

قل حاضر سيدي ولا.

قلت ورأسي في الأرض وعيناي مغمضتان: حاضر سيدي.

قال: كم عملية أنت عامل ولا عرص ؟

قلت: ولا عملية سيدي.

قال وكأنني أنا الذي أشتمه: ولا عرص.. بتكذب ؟

وانهالت الكبلات والسياط علي من جديد. وجعلت أتلوى على الأرض كالذبيحة لا أدري أين المفر. والإخوة وجوههم كلهم إلى الجدار وصياحي وعواء الشرطة من حولهم وحولي يفتت أعصابهم ويفري قلوبهم. ولم يلبث الدور أن تحول ونادى أبو جهل من جديد:

واحد واحد من هون يا خَوَن (أي خونه) اطلعوا لبرة.

وساقتنا اللطمات والكرابيج من جديد إلى باحة أخرى تتصدرها غرفة الذاتية، أجلسونا خمسة خمسة أمامها وبدأوا يدخلوننا واحداً تلو الآخر إليها، والشرطة خلفنا يركلوننا بأرجلهم أو يصفعون رؤوسنا بأيديهم ويلسعون ظهورنا بالكرابيج والكبلات وهم لا يكفون عن شتمنا وتوعدنا وتهديدنا:

هلق بنفرجيكم يا خَوَن.. هلق بس تخلصو يا ويلكم.. والله لنعمل... بأمهاتكم وأخواتكم.. والله الموت مصيركم يا..

ولم يكن الزبانية كاذبون في ذلك، فلقد اعتادوا قتل الناس بأنفسهم وفعلوا ذلك مرات لا تعد. ووفوا وعدهم في المستقبل وأزهقوا من أرواح الإخوة من نفس الدفعة عدداً ربما فاق من بقي منهم على الحياة !

التعليم !

لم يكن الفجر قد طلع بعد، والبرودة التي أطبقت علينا من كل اتجاه ونحن في ملابسنا الصيفية الخفيفة التي اعتقلنا بها زادت عليها برودة الإسمنت الذي أجلسونا فوقه ننتظر أن نلج غرفة الذاتية تلك. فلما حان دوري وقد كدت أتجمد رغم السياط التي أصابتني دخلت فوجدتهم يسألونني كالعادة عن اسمي وسني وعنواني.. وعلمت أثناء ذلك أننا اليوم في العاشر من شباط عام **1981**. فلما علموا أنني أردني الجنسية ثارت ثائرتهم وانتفضت أوداجهم وانهالوا علي ضرباً ولكماً وشتماً بأقذع الألفاظ. ولم يكن معنى ذلك أنها غضبة ساعة وحسب. فلقد تبين لنا لاحقاً أن الشخص الذي يلقى معاملة خاصة من هذا النوع ساعة استقباله في الذاتية فقد (تعلّم). و(التعليم) معناه أن الشرطة قد ميزوه عن غيره لسبب ما.. وأنه محتم عليه بالتالي الهلاك لا محالة.. في العاجل أو في الآجل القريب. غير أن الله سبحانه قدر ولطف، وحدث أن تغيرت النوبة التي استقبلتنا في تلك الأثناء.. وذهبت مجموعة الشرطة التي كانت علّمتني وقتذاك وحضر آخرون فاتتهم هذه الملاحظة عني.. فأنجاني الله من موت محقق !

قصاص !:

وانتهت إجراءات التسجيل، وصرنا الآن جزء من عهدة تدمر رسمياً، وعلينا أن نتلقى مراسيم الاستقبال الرسمي الآن.. فكل هذا الذي سبق تبين أنه لم يكن ضمن الحساب !

تجمع موكبنا الحزين خارج الذاتية، فإذا بنا أمام باب كبير كفم الغول.. أخذتني لمحة من عيني إلى أعلاه فهالني أن أقرأ قول الله تعالى مخطوطاً هناك (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) تحوطه شعارات النظام المعروفة (أمة عربية واحدة. ذات رسالة خالدة) !

دخلنا الباب ونحن نقرأ على الدنيا وراءنا السلام ! ووجدنا أنفسنا في باحة إسمنتية تحيطها المهاجع التي أمرونا أن نصطف على جدرانها مُسْلِمين للوحوش رجال السَرِيَة كلهم ظهورنا بالاختيار ! ولم يلبث الزبانية أن بدأوا يسحبون الواحد منا تلو الآخر فيعرونه من ثيابه إلا الشورت، ويفتشونه مرة أخرى من باب الاحتياط. وفي الوقت الذي يتولى قسم من الشرطة الإخوة المتجهين إلى الجدار بالضرب والجلد والركلات، وبينما يعلو الصياح وترتفع أصوات الاستغاثة ولا مغيث، تجذب الأيدي القاسية الأخ الذي تجرد من ثيابه وبات جاهزاً أو تدفعه فيختل توازنه ويقع على الأرض، ليكون الدولاب في استقباله واثنان من الشرطة العسكرية على جانبيه يترلانه فيه. فترتفع الرجلان في الهواء.. ويفقد واحدنا القدرة إذ ذاك على التحرك. لكن الجلادين ولزيادة الاحتياط وتحقيق مزيد من الإتقان يربطان الرجلين بجتزير من الحديد تعدم أية فرصة لهما للتحرك قيد أنملة.

ويبدأ الضرب من غير رحمة ومن غير عد.. فإشارة الإنتهاء لدى الوحوش أولئك أن تتفتح بطن الرجل وتسيل منها الدماء. فإذا تم ذلك فكوا القيد عن الرجلين وأخرجوا المعتقل من الدولاب وأمروه أن يفتح كفيه ليتلقى هدية أخرى. وتنهال على الراحات سياط من الجلد العريض سمعنا أنها صنعت من حزام مروحة الدبابات ! حتى إذا حل بالأيدي مثل الذي حل من قبل بالأرجل وتأكد الجلادون أن الدم الآن يسيل أمروا ضحيتهم بالانبطاح. ولا يكون المسكين بحاجة لسماع الأمر لأنه منهار ومُنْتَهٍ بذاته، فيستقبل الأرض لا حول له ولا قوة.. وتلحق به السياط والعصي تأكل الآن ظهره وجنبيه: خمسون.. مائة.. وربما مائتا جلدة قبل أن يتوقف الزبانية.

ويدخل الحفل مرحلته الأخيرة، فيقفز أحدهم فوق ظهر الضحية ويلحقه ثان فيقلبه ويعلو صدره.. ويأخذ كلاهما يعفسانه ويركلانه ويمسحان به نعالهما العسكرية الغليظة.. حتى تتكسر الضلوع وتتهتك بقايا الجلد السليم. وتكون الدائرة قد مرت على الدفعة كلها، وسالت دماء الإخوة جميعاً ونال كل واحد منهم نصيباً من العذاب غير موصوف. ولكم فُقِدَ في حفل الاستقبال ذاك من إخوة وماتوا من غير أن يأبه أحد. ولكم خرج من هذا الجحيم من خرج كسيراً أو صاحب عاهة من غير أن يزيد ذلك الزبانية إلا سروراً وغروراً).

10ـــ وقال أيضاً شارحاً البرنامج اليومي في سجن تدمر لكي ترى عظم المأساة التي يمر بها المسلمون لدى هؤلاء الطواغيت والمرتدين الجلادين وللأسف علماء المسلمين ودعاتهم في غفلة تامة عما يجري والله المستعان يقول[1]:

(البرنامج اليومي يتكرر كاللازمة: نستيقظ في السادسة، فنضب العوازل والبطانيات ونقبع فوقها صامتين واجمين.. ولا يلبث أن يفتح الباب فننتفض جميعاً ونقف في حالة الاستعداد. وتخرج مجموعة منا لاستلام حفنة الطعام التي يعتبرونها الفطور مجازاً. فتزدردها بلا شهية، أو نجمعها في ركن الحمام من غير أن يقربها أحد. وربما مرت على الواحد منا الوجبة والوجبتان والخمس وهو لا يمس من الطعام من قلة الشهية شيئاً. ولكم اضطر رئيس المهجع إلى رمي الطعام في الحمام لأن أحداً لم يأكله خشية أن يكتشف الشرطة ذلك فننال ما نحن بغنى عنه !

فإذا انتهى الفطور من غير مشاكل حان وقت التفقد. فنستعد ونأخذ حسبنا الله لساعة تعذيب لازم. وينال كل منا نصيبه المقدور.. ونعود إلى جلستنا مترقبين حذرين. ولا يلبث الشرطة أن ينادوا علينا للتنفس هذه المرة. فنخرج إلى

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**48ـــ50**).

الساحة مطرقي الرؤوس مغمضي العيون.. يمسك واحدنا أخاه الذي أمامه من وسطه ويتبعه كـــالأعمى.. لتتلقانـــا الكبلات والعصي فتقودنا بالإكراه إلى حيث يشاؤون. وترانا كقطيع مسعور نجري حـــول الســـاحة والكـــرابيج والكبلات والضربات تلاحقنا أنى اتجهنا. فإذا زلَّ أحدنا أو وقع تعثر به البقية وتكوم فوقه المتســـاقطون.. فتـــزداد فرصة الشرطة لزيادة الضرب ومضاعفة العذاب. ويعلو الصياح وأصوات الاستغاثة، فتعلو عليها عبارات الكفـــر والشتائم البذيئة.

فإذا انتهى وقت التنفس وقادتنا الكَبْلات صوب المهجع من جديد، تكون على الباب ملحمة أخرى دامية. فمائـــة ونيف من هؤلاء البؤساء ليست أمامهم إلا فتحة هذا الباب لينفذوا منها. عيونهم مغمضة فلا يستطيعون مشـــاهدة موطىء أقدامهم، والسياط والهراوات تلاحقهم من كل حدب وصوب. فتنحشر الأكتاف والرؤوس، ويسقط من يسقط تحت الأقدام، ويشج البعض بعارضة الباب الحديدية. فلا تنتهي حفلة التنفس تلك إلا وقد دمي من بيننا أكثر ممن سلم، وأصيب أضعاف من نجا.

طعام ومنام !

وهكذا كنا نعود إلى المهجع لنلعق جراحنا بصمت، ونتأوه تخنقنا الحسرات والعبرات.. ويحين موعد الغـــداء بعـــد حين.. ولا يلبث أن يأتي من ثم العشاء. ونحصي إذا قدرنا نصيبنا الذي نلناه على مدار اليوم من الطعام فـــلا نـــراه يكفي لأن يسد رمق طفل صغير: صمونتان صغيرتان جافتان للوجبات الثلاث. ورشفة شاي على الفطور مع بضع حبات زيتون أو لحسة مربى أو حلاوة لا تملؤ ملعقة واحدة. ومرق أحمر للغداء لا يكاد يكفي لكي يبلل الصـــمونة التي فتتناها فيه. وبعض حبات الحمص المسلوق أو أجزاء من البطاطس المسلوقة للعشاء.. وحسب ! ولربما استُبْدِلَ البيض بالبطاطس مرات، أو شوربة العدس بالحمص المسلوق. لكن قلة الكمية وسوء النوعية كانت تثير فينا الشعور بالجوع أكثر من أن تلبي حاجتنا إلى الشبع ! فنصيبنا من البيض إذا حضر لم يكن يتجاوز البيضة الواحـــدة لســـتة أشخاص. ومن الأرز ملعقة صغيرة واحدة للشخص. ومن اللحم أقل من رأس العصفور في المناسبات. وإذا أحضروا دجاجاً كان نصيب المهجع كله خمس أو ست دجاجات مقابل أكثر من مائة فم ! حتى أننا بتنا نعتبر الطعام نوعـــاً إضافياً من العذاب ليس إلا ! وصار اعتيادياً بيننا أن نأكل قشر البرتقال وقشر البيض والبطـــيخ ولا نرمـــي مـــن الفضلات في القمامة شيئاً. ولكن النهار لا بد وأن ينتهي، ويحل موعد النوم في السادسة، لكنه النوم الذي يحرم على صاحبه أن يتنعم بالنوم فيه ! فالضوء داخل المهجع لا يطفؤ ليل نهار، والشرطة على السطح يراقبوننا باستمرار. ولو نمى إلى سمعهم صوت همس أو حس حركة من بيننا علّموا صاحبها على الفور فكان نصيبه من العذاب في الصـــباح ما لا يسر !

ولقد كانت الصلاة وسط هذا الظرف نوعاً من التهلكة بالطبع، ولكم أخرج الشرطة رئيس المهجع وانهالوا عليـــه ضرباً يسألونه عمن يصلي عنده من المساجين ليدلهم عليه. ولذلك كنا نصلي إيماء من أول يوم. كل بسرّه وحده من غير ركوع أو سجود. لكن النعمة التي وجدناها في ذلك المهجع كانت في الحمام. فلم يكن من رحمة الله للحمـــام شراقة تكشفه، ولذلك كنا نتوضأ آمنين، وننسحب إلى بطانياتنا فنستلقي تحتها ونصلي مومئين بسكون وهدوء).

11ـ يقول محمد حماد عن الإعدامات التي كانت من النصيريين ضد المسلمين[1]: (وذات يوم .. وكان قد مضى على حادث الإعدام بضعة أسابيع دخل علينا الشرطة وسألوا عن أسماء بعينها، ولم نكن قد عهدناهم ينادون أحداً باسمه من قبل. لكن أياً من هذه الأسماء لم يكن بيننا. وتكرر الأمر مرة بعد مرة.. فأحسسنا أن ثمة شيئاً مريباً يدور.. حتى كان صبيحة يوم جديد، حينما دخل الحرس ونادوا مجموعة أسماء من مهجعنا هذه المرة وقادوهم معهم. وكانوا قرابة الخمسة عشر شخصاً كلهم من حمص.

ومضت حوالي خمس أو ست ساعات أحضر الشرطة خلالها الفطور والغداء معاً وأغلقوا الباب علينا من غير تفقد أو تنفس.. فلما عاد الإخوة وسألناهم أين كنتم قالوا في المحكمة. فتيقنا ساعتها أنها جد إذاً. وعلمنا منهم أن أحكاماً صدرت بالإعدام على أكثرهم. وسرعان ما وجدنا الإخوة المحكوم عليهم بالإعدام قد تغير حالهم.. وانصرفوا عن كل شؤون الدنيا انصرافاً تاماً.. وتوجهوا إلى الله سبحانه بكلياتهم يهيئون أنفسهم للقاء رب العالمين حتى كأن أحدهم لم يكن من أهل هذه الدنيا أبداً. ولم ينقض شهران بعدها حتى طُلِبَ هؤلاء الإخوة للإعدام.. فكانت أول كوكبة من أهل الجنان إن شاء الله نودعهم من مهجعنا.. سائلين الله تعالى أن ينتقم لهم ويتقبلهم ويجعلهم في أعلى عليين.

مرحباً بلقاء الله

دخل الشرطة صبيحة ذلك اليوم المرير وقرؤوا أسماء المطلوبين فيما كانت إجراءات نصب المشانق وتهيئة مراسم الإعدام تتم في الباحة أمام مهجعنا مباشرة. وكانت مفاجأة لنا أن عدداً ممن تليت أسماؤهم كانوا قد خرجوا إلى المحكمة وقتها ولم يبلغوهم كالآخرين أنهم حكموا بالإعدام. فلما سمع الإخوة أسماءهم وأيقنوا المصير تراكضوا إلى الحمام فتوضئوا ومدوا شيئاً هناك وصلوا عليه تخفياً من الشرطة خشية علينا نحن لا على أنفسهم. وخرج الركب أكثر من عشرة كأنهم غير الذين عرفنا كل هذه الأيام.. مطمئني النفوس.. مشرقي القسمات.. مقبلين بكل جوارحهم على الله راضين بقضائه. واستطاع بعضنا أن يعانق عدداً منهم.. وخرج الآخرون حتى من غير كلمة وداع. لا زلت أذكر من أسماء تلك الدفعة الإخوة حسن الصغير، وعبد الغني الدباغ، وبسام كالو وكلهم من حمص. ولا زلت أذكر كأنه الساعة كيف أن الأخ بسام استيقظ صباح ذلك اليوم مبكراً وقال لإخوة حوله: رأيت اليوم مناماً. سألوه: خيراً إن شاء الله.. ماذا رأيت ؟ قال : رأيت قول الله تعالى في القرآن الكريم (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) . ولم يلبث أن نودي للإعدام رحمه الله بعد ساعة أو أقل، فأحسسنا أن الله سبحانه حقق له منامه وتقبله وغفر له وأنزله الجنان إن شاء الله).

12ـ يقول حماد[2]: (أرجوحة الشهداء وأقفل الجلاوزة الباب.. وساقوا الإخوة أول الأمر إلى مهجع في أقصى الباحة يسمى الورشة. وعلمنا من بعد أن سليمان الخطيب يأتي بنفسه ليتأكد من الأسماء والأشخاص ويتلو عليهم

[1] (محمد سليم حماد) 11عاماً في سجون تدمر (63ـ64).

[2] (محمد سليم حماد) 11عاماً في سجون تدمر (63-66).

ديباجة الحكم، ويأتي معه أو يتبعه مدير السجن الذي كنا نحس بقدومه من صوت المساعد يقدمه بالازمة المعتـــادة قائلاً:

إست.....رح.. استع......د. الباحة جاهزة للتفتيش سيدي اللواء أو سيدي العقيد.

وبعد هذا الإجراء يبدأ الشرطة بسوق الإخوة إلى المشانق تباعاً. وعندما بدأ ذلك هرعت من فوري إلى شق صـــغير في باب مهجعنا فرأيت المشانق منصوبة على امتداد الباحة.. والإخوة الآن وقد باتوا على حافة الـــردى يكـــبرون بأعلى صوتهم ويهللون.. ويساق أحدهم بعد الآخر مغمض العينين مكبل اليدين إلى المشنقة التي انتصـــبت علـــى قوائمها الثلاث.. يتدلى منها حبل كحبال الغسيل البلاستيكية.. يخالف في هذه المواصفات وتلك الوضعية أبســـط الشروط التي يفترض أن تتوفر في مشنقة الإعدام المخصصة للمجرمين ! ورغم ذلك يؤمر الأخ بالجثو أمام المشـــنقة دون أن يدري ماذا أمامه، وعن جانبيه اثنان من البلدية ينتظران الإيعاز من الشرطي الذي يقف في مقابل الأخ. فإذا أشار إليهما تناولا حبل المشنقة فطوقا به رقبة السجين.. ثم تأخرا إلى الوراء فأمسكا بقائمـــة المشـــنقة. ولا يلبـــث الشرطي أن يصدر الإيعاز الأخير.. فيشد البلدية الخشبة.. وتنتصب المشنقة.. فيرتفع الأخ في الهواء بلمحة عـــين.. ويشهق شهقته الأخيرة وتزهق روحه خلال لحظات. فإذا بدت منه حركة تدل على احتمال استمرار الحياة فيه تقدم عنصرا البلدية ثانية فجذبا الأخ وتعلقا به حتى يشتد إطباق الحبل على رقبته إلى أبعد مدى.

ولا يلبث الطبيب يونس العلي أن يتقدم فيجس النبض، ويتأكد من الوفاة.. فتعاد المشنقة إلى وضعها، ويفك الحبل عن رقبة الشهيد.. ويرمي به القتلة جانباً بدم بارد، فيما يعد الشرطة الأخ التالي للإعدام. حتى إذا اكتمـــل العـــدد ونفذت الجريمة وتكومت الجثث، دخلت الساحة شاحنة عسكرية، وتقدم البلدية فحملوا أجساد الإخوة واحداً بعد الآخر وقذفوهم فيها.. لتمضي إلى حيث لا يعرف بمصيرهم أحد إلا الله. وفي هذه الدفعة قدرت أن أكثر من خمسين أخاً قضوا نحبهم.. نحتسبهم في عداد الشهداء الأبرار إن شاء الله.

العزاء

غادر الإخوة إلى لقاء الله، وبقينا نحن في كربتنا ووحشتنا تلفنا حالة من الكآبة خانقة، والناس وكأن على رؤوسهم الطير.. ليس لنا إلا العبرات الحرى نطلقها بصمت وألم.. والتضرع إلى الله نرسله خافتاً مرتعشاً مع الزفرات.

وغاص كل منا في خواطر شتى.. فهؤلاء الذين كنا نأكل معهم قبل ليلة خلت.. ونصلي وإياهم الفجر قبل برهـــة. هؤلاء الذين كنا وإياهم في سباق على حفظ كتاب الله.. نسمع منهم أو يسمعوا لنا. وربما كان واحدهم قد بـــات ليلته الأخيرة بجانبنا، أو أرسل آخر ابتسامة له من وجهه الطلق وغادر وتركنا. هؤلاء الذين نمت بيننا العلاقة عـــن غير سابق معرفة من قبل في أحلك الظروف وأقساها.. شهرين أو ثلاثة نتناوب على تلقي العذاب ومواجهة الهـــول معاً.. فكنا على قصر الأيام أكثر من إخوة وألصق من أشقاء. هؤلاء جميعاً خرجوا من بيننا ولـــن يعـــودوا أبـــداً. وغادروا الدنيا ولن نلقاهم إلى يوم الدين.

وترتد الخواطر إلى ذواتنا سريعاً، ونبدأ نسترجع شريط حياتنا نحن الذين لا نزال أحياء. من طفولتنـــا البريئـــة.. إلى شبابنا الذي ما أن بدأ يزهر فينا حتى اقتطفته يد الظلمة من غير ما إنذار. ويتجه الحـــوار في ذواتنـــا إلى المســـتقبل

الآتي.. وأي مستقبل ذاك والمشانق ها هي لم تُحَلّ حبالها بعد ! وتختلط فينا مشاعر الشفقة بالشوق.. واللوعة بالخوف.. والإحباط بالرجاء. ولا نجد في خاتمة المطاف ما نعزي به أنفسنا ونواسي جراحنا ونخفف من هول المصيبة علينا إلا الالتجاء إلى الرحمن الرحيم، والرجاء بأن يكون ذلك في سبيله فيقبلنا في الآخرة ويعفو عنا).

13ــ ويحكي حماد قصتهم مع القرآن فيقول[1]:(مع كتاب الله

وترانا نهرع من جديد إلى كتابه جل وعلا أنيسنا وبلسم جروحنا ننكب عليه ونلتجىء إليه. ولقد أكرمنا سبحانه بعد أسابيع لم تطل بأخ حافظ لكتاب الله قدم إلينا مع حوالي خمسة عشر أخاً من دمشق كلهم من جماعة مسجد زيد بن ثابت. والأخ الحافظ اسمه محمد صنوبر من بلدة جديدة الذيباني قرب دمشق. فكان سرورنا به أكبر من أن يوصف. وأقبلنا نتلقى منه السور والآيات ونحفظها. وكنت أنا والأخ هيثم عثمان برغم إصابته الشديدة نحفظ معاً.. ونراجع ما حفظنا باستمرار.. حتى بات كتاب الله شغلنا الشاغل. ومن شدة همتنا وعزيمتنا أذكر أنني بتوفيق الله حفظت سورة الأنعام كلها في أربعة أيام.. وكنت من قبل أن أعتقل أحفظ جزء عم وبعضاً من الجزء التاسع والعشرين وحسب. فلما رأينا الإعدامات وقدرنا أن المنية قد دنت أحببنا أن ننهي الحفظ فنلاقي به وجه ربنا. وفي عام **1982** أنهيت والأخ هيثم ولله الحمد حفظ القرآن الكريم كله. وكنا أول من ينهي الحفظ من مهجعنا بفضل الله).

14ــ ويبين المؤامرات في سجون هؤلاء الطواغيت[2]:(مؤامرة !

ومرت الأيام.. وفوجئنا بواحد من الشرطة العسكرية صبيحة يوم تال يطلب أبا رشيد ويمضي به إلى حيث لا ندري. وعندما عاد بعد بضع ساعات كان في حالة يُرثى لها من أثر التعذيب. ولم يكن من طبع أبي رشيد الإكثار من الحديث، لكنه خصني رحمه الله بذكر ما جرى بحكم معرفتي السابقة به وصلتي الوثيقة معه. ووقتها أخبرني أن ضباطاً من المخابرات أتوا للتحقيق معه حول علاقته برئيس الأركان حكمت الشهابي الذي حضر إلى فرع المخابرات من قبل ــ كما ذكرت ــ وحاول دفعه للإعتراف ووعده بالمساعدة. وكانت إعادة التحقيق مع السجين من أصعب الأمور عليه وقد ظن أنه انتهى من هذه المرحلة وطويت أوراق ملفه. ورغم أن الشهابي حاول حقيقة الأمر أن يوقع أبا رشيد ويعين المخابرات عليه إلا أنه رفض الإعتراف بأمر يضره. ولعب المحققون لعبة الإغراء ثانية معه ووعدوه بأن ينقذوه من الإعدام إذا اعترف بوجود صلة للشهابي معه فأبى. وعذبوه على ذلك أشنع العذاب فأصر على موقفه.. وأحس أن ثمة مؤامرة داخل أجنحة النظام تريد استغلاله لتصفية خصومات بينهم.. فأبى بنزاهة المسلم أن يظلم حتى عدوه، وتحمل في سبيل ذلك أشد العذاب.

اليوم المقدور

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**66**).

[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**68**).

وانقضت شهور أخر. وتحسنت صحة أبي رشيد والتأمت جراح حفلة التعذيب تلك.. ومضت حياتنا على نفس المنوال لا نخرج من هم حتى نقع في هم أشد.. ولا ننجو من تعذيب حتى يطولنا حفل تعذيب أشنع.. وفي شهر تشرين الأول أو تشرين الثاني من عام **1981** تم استدعاء دفعة جديدة للمحكمة الهزلية التي كانت أحد فصول التعذيب النفسي والجسدي معاً. وخرج في هذه الدفعة أبو رشيد ضمن حوالي أربعين أخاً من مهجعنا. ورغم أنه رجع من غير أن يبلغونه بالحكم إلا أنه أدرك أن الأمر انتهى.. واستشف ذلك من كلام سليمان الخطيب الذي تربع على كرسي القضاء جوراً وظلماً.. خاصة وأنه عاد وألح عليه لتوريط الشهابي.. ووعده بإنقاذه من الإعدام إن فعل.. وأصر أبو رشيد وقتها على الرفض مهما كانت النتيجة.

وعاد أبو رشيد من المحكمة وقد نوى أن يبدأ الصيام من ساعتها وإلى أن يلاقي ربه. وقال بأنه لن يفطر حتى يخرج إلى الإعدام. وعندما حل ذلك اليوم المقدور بعد قرابة الشهرين كنت قد رفعت له شاياً وبعض الطعام من وجبة الفطور ليتناولها عند الغروب. فلما دخلوا ونادوا على أسماء المطلوبين للإعدام من دفعته لم يذكروا اسمه.. وتدافع الإخوة لوداع الأحبة وأغلق من ثم الباب.. وبينما نحن نترقب ناداني أبو رشيد رحمه الله وقال لي:

أخي أبو سليم.. أراني اليوم متعباً.. هات ناولني الشاي والطعام لأفطر.

قلت له: هاك وتوكل على الله.

ووالله الذي لا إله إلا هو، لم يرشف أبو رشيد من الشاي رشفة وبدأ بالثانية حتى فُتِحَ الباب من جديد ونادى الشرطي فينا:

حاضر.شيد عثمان.

حاضر.

رد أبو رشيد وكأس الشاي لا يزال بين شفتيه.. فأيقنا سبحان الله كيف أن رزق الإنسان المقسوم لا بد وأن يبلغه.. وأنه كان لا بد وأن يأخذ رشفتي الشاي هاتين لا تزيدان ولا تنقصان !

ولم يلبث أن قفز رحمه الله إلى زاوية من زوايا المهجع وبدأ يخلع عنه ملابسه وهو يكبر ويهلل.. وحينما لم يبق عليه إلا الشورت والشرطة على الباب يكادون يجنون مما يفعل ألقى إلينا بكل ما كان يرتدي لنستفيد منه.. وخرج إلى الإعدام رحمه الله. ولم أستطع هذه المرة التلصص من ثقب الباب بعد الذي حصل. وسرعان ما انتهى تنفيذ الإعدام، ودخل الشرطة علينا فأخرجونا إلى الساحة وأشبعونا جلداً ولطماً حتى يمسحوا عنا أي أثر إيجابي تركته فينا تكبيرات أبي رشيد رحمه الله).

15ـــ قال حماد[1]: (الجرب

وطالت المحنة كل أوجه هذه الحياة المرّة. فمع ازدياد العذاب والإعدامات انخفضت كمية الطعام المقررة للسجناء رغم أنها لم تكن تكفي لتقيتنا بالأصل. وصارت إدارة السجن تتعمد قطع الماء عنا حتى أننا عانينا خلال صيف ذلك

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**71**).

العام شهراً كاملاً من غير ماء. وكان موردنا الوحيد عن طريق بيدونات يملؤها الشرطة لنا وقتما شاءوا وبالعدد الذي يريدون. وقتذاك عمت القذارة المهاجع غصباً عنا وباتت رائحتها لا تطاق. ولم يلبث أن تفشى الجرب بيننا وانتشر انتشاراً كبيراً كنت أنا نفسي واحداً من ضحاياه.

والجرب كما هو معلوم مرض جلدي يصيب الإنسان بحكة شديد في جلده سرعان ما تؤدي إلى تورمه وتقيحه.. وليس هناك مكاناً محدداً يكتفي به هذا الداء. فمن الممكن أن يصيب الرجلين واليدين والصدر والظهر والمحاشم ذاتها. وعلاوة على الألم الشديد الذي يسببه الجرب فإن انتقاله بين الناس المتجاورين أمر محتم. ولو لم يعالج المصاب فقد يموت من المرض. ولقد حدث ذلك في مهجعنا **26** الذي انتشر الجرب فيه مثلما انتشر ببقية المهاجع. ولا أزال أذكر كيف دهم هذا المرض أخاً من دير الزور اسمه عبد الكريم الصالح، فالتهب جلده كله وانتفخ، وظل يعاني قرابة الشهر يصيح من شدة الألم وليس بيدنا شيء نقدمه لنخفف عنه إلا الدعاء. وعندما أبلغ رئيس المهجع الشرطة بحاله وكرر عليهم البلاغ لم يزيدوا عن أن أمروه أن يكف عن الشكوى وأن يتركه في المهجع ليموت !

لكن تزايد الإصابات وانتشار المرض في المهاجع الأخرى جعل إدارة السجن بعد حين تتنازل وتحضر للمصابين دواء الجرب. وتم تعيين مسؤول صحي لكل مهجع من السجناء أنفسهم تكون مسؤوليته تقديم تقرير بالحالة الصحية إلى طبيب السجن حتى لا يضطر ذاك إلى فحص المرضى بنفسه والتعرض لاحتمالات الإصابة بالعدوى منهم ! وفي هذا السياق عُيِّنَ الأخ الطبيب قاسم موسى مسؤولاً صحياً لهجعنا. ثم لما تزايدت الحالات أكثر فتحوا للمصابين مهجعاً خاصاً كما حدث أيام الكوليرا، لا رحمة بهم بالتأكيد وإنما خشية أن تنتقل العدوى إليهم. ورغم ذلك فقد مات بسبب الجرب من مهجعنا وبقية المهاجع الأخرى عدد غير قليل من الإخوة، وقدر للأخ عبد الكريم الصالح أن يتعافى بالتدريج، حتى إذا شافاه الله بعد حين أتاه النداء، وسيق مع دفعة من دفعات الإعدام إلى الردى رحمه الله).

16ـ أموات تلو أموات يقول حماد[1]: (سحور !

ومضت الأيام.. وازدادت الأمراض وكثرت الوفيات.. حتى كنا نخرج في فترة من الفترات ميتاً من مهجعنا كل يوم ! ولا زلت أذكر أنني كنت أنام بجانب الأخ كمال أندورة في ليلة من تلك الليالي الرهيبة، وكنت قد نويت صيام اليوم التالي، فنهضت قبيل الفجر لأتسحر. وكان كمال بعد أن اشتد عليه المرض في الفترة الأخيرة لا يستطيع النوم مستلقياً وإلا اختنق. فكان يتربع في مكانه ويستند رحمه الله إلى الجدار ويظل يكابد طوال الليل ويتأوه ويعاني. فلما نهضت لأتسحر وجدته ساكتاً على غير عادته. فجعلت أناديه بصوت خافت. فلما لم يجبني وارتبت في الأمر دفعته براحتي، فوجدته يسقط ميتاً على الطرف الآخر.

ولم يكن وارداً وقتها أن أقوم بأي حركة تكشفني أمام الشرطة على سطح المهجع، فسحبت البطانية على وجهه بكل هدوء، والتفت فسحبت سندويشة كنت قد وفرتها من عشاء الأمس لتكون سحوراً لي ليلتها، فجعلت أدس اللقيمات في فمي دساً وأغص بهن، والأخ بجانبي مسجى لا روح فيه ! وعندما استيقظنا صباحاً ومضينا لنغسله قبل

---

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (73).

أن يعلم الشرطة بموته وجدناه رحمه الله تخشب جسده وقد مضت على وفاته بضع ساعات. حتى إذا انتهينا بعد جهد يكلله الرعب أخبرناهم بموته. فلم يزيدوا عن أن نادوا البلدية ليسحبوه.. وانتهى الأمر).

17ـ ويحكي حماد قصصاً من إمعان الشرطة في الغي والإجرام فيقول[1]: (أمر بالفاحشة !
وأمعن الشرطة في إجرامهم وغيهم.. وزادوا في بطشهم وتفننوا في أساليب العدوان. فكم من مرة فوجئنا ونحن في ساعة النوم بواحد من هؤلاء السفهاء يطل علينا من الشراقة فوق السقف ويبول فوقنا عامداً متعمداً.. أو يبصق علينا مرة واثنتين وثلاث. والويل كل الويل لمن رفع رأسه أو تململ في مجلسه ! ولكم أخرج هؤلاء الظلمة واحداً أو أكثر من بيننا في منتصف الليل ليتسلوا بتعذيبه من غير أي سبب.. أو اجتمع عليه الجلادون في حر الظهيرة فأوسعوه لطماً وضرباً وسحلوه على أرض الباحة وهم يضحكون !
وعلاوة على الكبلات والعصي والسياط التي كانت تنهش الجلود وتحطم الأضلع وتشوه الوجوه، عمد الزبانية إلى استخدام قضبان حديدية في ضربنا. ويا بؤس من ناله من هذه القضبان ضربة ! وإضافة إلى ذلك استخدم الشرطة القضبان ذاتها لتحطيم نفسياتنا. فكانوا إذا حان يوم الحلاقة مثلاً دخلوا من باب الساحة السادسة التي تبعد عن مهجعنا عشرات الأمتار ورموا القضبان الحديدية على أرضها الإسمنتية لينطلق صوت ارتطامها بالأرض فيصلنا كأنه نذير الموت ! ولم يكن الإخوة كلهم في درجة واحدة من الثبات وقدرة التحمل . فكان بعضهم ترتعد فرائصه إذا سمع ذاك الصوت ويبكي حتى من قبل أن يصل الجلادون !
غير أنه مما لا ينسى أبداً من مشاهد تلك الفترة يوم أن أطل أحد الحراس من شراقة السقف ونادى على أخوين شقيقين في مهجعنا وأمرهما بكل صفاقة وسفالة أن يخلعا ملابسهما ويفعلا الفاحشة ببعضهما البعض ! ومع الضحكات الفاجرة والمسبات الدنيئة أصر المجرم على تنفيذ الأمر .. ولم يجد الأخوان إلا أن يجارياه خشية أن يحدث ما لا تحمد عقباه.. فخلعا ملابسهما بالفعل.. والسفيه يلاحقهما ليفعلا أكثر وأكثر.. وأطرقنا نحن وأغمضنا عيوننا لا نكاد نصدق هذا المدى من الخسة الذي بلغه أولئك الوحوش.. وجعلنا نبتهل في سرائرنا أن يصرف الله الأذى وينجي الأخوين وينجينا من هذا الخسيس. والكفر بالله والمسبات والشتائم تندلق علينا من فمه النجس ولا تكف. فلما أحس أنه ضحك بما يكفي وحقرنا بما يشفي غليل حقده ورحل.. أحسسنا وكأننا خرجنا من كابوس مرعب لا يوصف. وأطرقنا صامتين لا نستطيع أن ننظر في وجوه بعضنا البعض ساعات عديدة. ولم يفتح أحد منا سيرة ما جرى بعدها.. ستراً للأخوين وحفاظاً على شعورهما وكرامتهما، وكرامة وشعور أبيهما الذي كان نزيل المهجع نفسه !
ولقد تكرر مثل هذا الحدث غير مرة. وأعاد هؤلاء السفهاء الطلب وأمثاله في أكثر من مهجع..وكانوا يفتحون الباب علينا أو ينادون في التنفس واحداً منا ويقول الشرطي له:
أنت يا... أنا بدي أعمل في أمك كذا.. شو ؟

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**76**).

فكان المنادى يسكت أول الأمر ولا يجد ما يجيب به. فتأتيه لطمة أو ضربة من جلاده وهو يصيح به:
كرر يا... أنا بدي أعمل بأمك كذا. شو ؟
فلا يجد المسكين إلا أن يقول بذل وانكسار:
أنت تريد أن تعمل بأمي كذا وكذا سيدي.
فإذا أشبع ذلك من صلف المجرم تركه، وإلا أمره أن يعيد ما قال ويُسمع به آخر من في الساحة أو في المهجع حتى تقر عينه الفاجرة وتسكن هواجسه الخبيثة).

18ـ يقول حماد[1]: (جرعة لبن !

مضت قرابة سبعة أشهر لم نعد نسمع فيها عن تنفيذ أحكام إعدام حتى ظننا أن الأمر انتهى ولم يعد هناك المزيد. ورغم أننا لم نجد لذلك تفسيراً إلا أن مشاعرنا مع مرور الأسابيع والشهور جعلتنا نعتقد في أنفسنا توهماً وتأميلاً بأن الإعدامات انتهت، وأن الفترة السوداء من سجننا قد ولت.
غير أن الأمل سرعان ما تبخر كالسراب، وتكسرت أجنحة الحلم حينما فوجئنا ذات صباح بالمشانق تنصب من بعد الفجر بقليل، وبالشرطة يجوبون المهاجع ويسألون عن أسماء بعينها. ولم تلبث أصوات التكبيرات أن علت من جديد.. فأسقط بأيدينا.. وانهارت آمالنا الواهية.. وعدنا يلفنا الوجوم والترقب. حتى إذا فتح الشرطي باب المهجع 26 علينا انتفضنا كلنا وقد بلغت القلوب الحناجر واحتبست أنفاسنا.. وكل منا يتوقع أن يتلو الشرطي اسمه ويناديه للردى. لكن جلادنا لم يناد إلا اسم أخ واحد من بلدة سراقب اسمه عبد الحكيم العمر كما أعتقد. كان مدرس لغة عربية وملازماً مكلفاً حين اعتقل. وكان صاحب فضل علينا في المهجع بدماثة خلقه وحسن معشره، وبحلقات البلاغة والنحو التي واظبنا عليها حتى تعلمنا منه الكثير. وقال له أن يضب أغراضه لأنه سينقل إلى مدرسة المدفعية بحلب حيث كان يقضي خدمته الإلزامية. ورغم استغرابنا من هذا الأسلوب الجديد إلا أننا قدرنا أنهم إنما أخروا إعدامه لأنه عسكري وحسب، وأن دوره الآن قد دنا.
وأدرك عبد الحكيم أنها منيته، وجعل رحمه الله يطوف علينا ويتفرس في وجه كل منا ويردد آخر كلمات له في هذه الدنيا سمعناها:
سامحوني يا شباب.. واللقاء إن شاء الله في الجنة.
فلما وصل بتطوافه إلى مجموعة من أهل بلده كانوا شركاء في مجموعة الطعام في المهجع أوصاهم بأهله وأولاده. لكننا فوجئنا به وعيوننا تتابعه وقلوبنا تطوف معه يستدير نحوهم فجأة ويطلب بعض اللبن كانوا قد وفروه لفطورهم عند المغرب ليأكل منه. وكانت آية والله رأينا فيها مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (نفث في روعي الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها).

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**81**).

ووالله الذي لا إله إلا هو أخذ عبد الحكيم صحن اللبن وأكل منه. واتجه بعدها إلى الباب ونحـــن لا نصـــدق أنـــه مفارقنا، ومضى إلى الإعدام ونفسه رحمه الله تفيض بالرضا والإطمئنان، وكأنه ذاهب لملاقاة أحب الناس إليه !).

19ـ يقول حماد[1]: (لا خضوع !

وفي مهجع السل **23** بالباحة الرابعة حيث كان قد اجتمع على إخواننا هناك كَرْبُ السجن وكَرْبُ المرض أخـــرج الشرطة يومها أخاً مسلولاً من حلب اسمه يوسف عبارة للإعدام. وقتها لم أكن قد انضممت للمسلولين بعد، لكنني سمعت القصة عندما صرت واحداً منهم بعد حين. فلقد نادوا الأخ رحمه الله إلى لقاء ربه قبيل صلاة الفجر. فهـــرع وصلى مع الإخوة الفريضة ثم ودعهم ومضى إلى منيته مقبلاً على الله. وكان من نزلاء المهجع نفســه أخ شـــاعر موهوب تفجرت مشاعره عندما أبصر الإخوة يساقون رتلاً طويلاً إلى المشانق، وانسابت مع دموعه ودموع إخوانه قصيدة رقيقة له حفظناها جميعاً وأخذنا ننشدها منذ ذاك يقول فيها:

وسار موكب الجناز في الصباح
مخلفاً وراءه الجراح
وراسماً مسيرة الكفاح
فلا حياة دونما سلاح
من قبلها نادى المنادي هاتفاً مجلجلاً
حي على الفلاح.. حي على الفلاح.
وسار موكب الشباب في خشوع
لم يعرفوا لغير ربهم خضوع
عيونهم تضيىء كالشموع
تقول للأجيال لا خضوع
من قبلها نادى المنادي هاتفاً مجلجلاً
حي على الفلاح.. حي على الفلاح.

وداع الأشقاء

وتتابع نصب المشانق وتكرر مشهد الزهرات تساق إلى حتفها على أيدي الزبانية الطغاة. وكان من أشد المشـــاهد إيلاماً كما بلغني يوم أن سمع أخ من بيت العابدي من دمشق اسم أبيه يطلب للإعدام من مهجع مجاور. ورآه يساق أمام عينيه من خلال ثقوب الباب فتزهق روحه على حبل المشنقة. وكان الولد قد اعتقل مع أبيه وهو ابن خمســـة عشر عاماً في مرحلة دراسته الإعدادية !

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**84**).

ولم يكن أقل إيلاماً يوم أن طلبوا فيما بعد اثنين من الشباب المعتقلين معنا للإعدام هما طريف حداد وملهم الأتاسي وكلاهما من حمص. وكان معهما في نفس المهجع شقيقاهما بشار حداد ومطاع أتاسي. وعندما تقدم بشار ليودع أخاه طريف ثابت الجنان قال له: اثبت واصبر.. واللقاء في الجنة. والحمد لله أن رزقك الشهادة. ولا تنسانا من الشفاعة.

كذلك خرج من بيننا أخ آخر للقاء الله في تلك الأيام العصيبة هو عبد الغني دباغ من حمص. ثم لم نلبث أن سمعنا بأن أخوين اثنين له في مهجع آخر أعدما بعد مدة وجيزة من الزمان).

20ـ ويقول حماد[1]: (نوبة قلبية

ومن شهداء مهجع السل أيضاً تحضرني قصة الأخ محمد حسن عجعوج من حماة الذي كان من جماعة الشيخ مروان حديد الأوائل. والذي قامت المخابرات السورية باعتقاله من لبنان بعيد اعتقال الشيخ مروان ، وأودع سجن المزة مع بقية من اعتقل وقتها . ومع تطور الأحداث وتصاعد موجات الاعتقال في بداية الثمانينات نقل الأخ حسن إلى سجن تدمر بعد المجزرة الكبرى التي حدثت هناك. وتنقل من مهجع **9** إلى مهجع **11** لألتقيه وقد أصابه السل آخر الأمر في مهجع **35**.

وهناك وفي يوم من الأيام وصل محمد حسن عجعوج نبأ استشهاد أسرته جميعاً أثناء أحداث حماة قبل أقل من عام. وسمع بأن واحداً من اخوته سُحِلَ في شوارع المدينة سحلاً. فلم يتمالك رحمه الله وأصيب بنوبة قلبية قضت عليه.

وصار أمراً اعتيادياً بيننا أن ننادي الشرطي صباح كل بضعة أيام ونخبره بوفاة أحد المرضى، ثم نلتفت إلى برنامجنا ذاته نكاد لا نحس تجاه الأخ الفقيد بالحسرة قدر إحساسنا بالغبطة أن قبضه الله إليه فاستراح من هذا العذاب).

21ـ قال حماد[2]: (هستيريا

ومن مشاهد مهجع السل التي لا تنسى مشهد الأخ بسام الحافظ من حمص الذي فقد القدرة آخر الأمر على تحمل كل هذه العذابات والضغوطات النفسية وما عاد يقدر على تلقي المزيد. فوجدناه في ليلة من الليالي ينهض وسطنا وقد احمرت عيناه فكأنما هما من دم أو نار وراح يطلق عقيرته بالصراخ والعويل. وكان الإخوة كلما حاولوا تهدئته ازداد انفعالاً وتأزماً.

ودخل الشرطي المناوب يستطلع الأمر، وأمر المسؤول الصحي الأخ زاهي عبادي أن يسكته بالقوة. فلم يجد الأخ إلا أن يعطيه إبرة مسكنة هدأته بالتدريج. وفي الصباح نادى الشرطي المسؤول الصحي ليخرج هذا الأخ إليه. فلما خرج المسكين انهالت الشرطة عليه ضرباً وجلداً وأعادوه يكاد يسلم الروح. لكنه وعندما حل المساء عاد وانتفض

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**96**).

[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**97**).

وكرر ما حدث ليلة الأمس. فعاد الأخ زاهي وأعطاه إبرة ثانية مهدئة. وعندما أتى الشرطي من جديد رجاه أن هذا السجين مصاب بالهستيريا ولا يملك من أمره شيئاً. ووعده أن يبذل أقصى جهده لتهدئته وعلاجه. بعـــدها طلـــب زاهي منا أن نكف عن محادثة الأخ بسام. ونصبوا له في زاوية من زوايا المهجع ما يشبه الخيمة وأجلسوه فيها. وظل المسكين قرابة الشهرين معزولاً عنا لا يكلمنا ولا نكلمه بشيء.. أخذ خلالها يتحسن بالتدريج. ثم جرى نقله بعدها إلى مهجع آخر ولم نعد ندري ما الذي انتهت به الحال إليه).

22ـــ ويبين حماد تفريق النصيريين بين الإسلاميين والشيوعيين فيقول[1]: (الشيوعيون المدللون !
وإذا كان هذا هو حال البعثيين العراقيين معنا فإن الشيوعيين الذين أحسسنا بوجودهم عام **84** كـــانوا في منزلـــة أخرى. ففي ذلك العام تم نقل الأخوات السجينات في مهجع المستوصف إلى سجن آخر. ولقد أحسسنا ذلك مـــن خلال توزيع السخرة. فوقتذاك وفي ظل الانفراج النسبي أوكلت إلينا مهمة توزيع الطعام على مهـــاجع البـــاحتين السادسة والسابعة، وكان المستوصف ضمن هذا النطاق. لكن "البلدية" الموكلين بجلب الطعام أعلمونا في يوم مـــن الأيام بالتوقف عن تقديم السخرة لمهجع المستوصف. وكنا قبل يوم مضى قد لمحنا رتلاً من النساء يغادر المهجع وقد قارب عددهن العشرين أو زاد عليه، فأدركنا أنهن غادرن هذا المكان، وسألنا الله تعالى لهن ولنا الفرج والنجاة. فلما خلا المكان أتوا بالشيوعيين إليه. فكنا نلمحهم بعض الأحيان ونسمع بوجودهم. ولما انتقلت إلى مهجع **29** لاحقاً صرنا متجاورين على باحة واحدة. وأصبح من الممكن لي أن أراهم بشكل متواصل وأطلع على وضعهم مباشـــرة. وكان أمراً مثيراً للعجب أن حالتهم كانت تختلف عن كل بقية السجناء تمام الاختلاف. فكانوا يطلقون شعورهم.. ويخرجون للتنفس بشكل دائم. ويتحدثون فيما بينهم ومع الشرطة بحرية كاملة.. ويدخنون ويطبخون ويســـتقبلون الزيارات بشكل متواصل. ولم نرهم يعذبونهم أو يضربونهم أبداً.. ولم نسمع بتنفيذ أحكام بالإعدام فيهم. ولم يكـــن عددهم يجاوز الأربعين).

23ـــ يقول حماد[2]: (تصفيات جماعية
وما لا ينسى من أيام عام **1984** المريرة أننا شهدنا فيها أحد أكبر عمليات الإعدام الجماعي إن لم تكن أكبرها على الإطلاق. فبعد انقطاع تنفيذ الأحكام عدة أشهر في تلك الفترة فوجئنا بالمشانق تنصـــب ذات يـــوم في الســـاحة السادسة بأعداد كبيرة، وراح الزبانية يخرجون من الإخوة المعتقلين فوجاً إثر فوج إلى حتفهم. يومها قدّر الإخـــوة الذين تمكنوا من مشاهدة جانب مما يجري من خلال شق في الباب عدد الذين أعدموا بمائتين من غير مبالغة، كان من بينهم كما بلغنا الأخ يوسف عبيد من دمشق. ومع تسرب الأخبار فيما بعد قدرنا أن تلك الإعدامات ترافقت مع حالة النزاع التي حصلت بين رأسي النظام حافظ الأسد وأخيه رفعت، والتي شهدت حشودات عسكرية حقيقيـــة

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**102**).
[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**104**).

بينهما. وفسرنا ما حدث بأن رفعت كان يهيئ نفسه لاستلام الحكم بعد المرض الذي ألم بأخيـــه، ولـــذلك أراد أن يصفي أكبر قدر ممكن من السجناء وينهي كل خطر مستقبلي محتمل).

24ـــ يقول حماد[1]: ((بقرة أبي سليمان !

ومن المضحكات المبكيات التي لا تزال عالقة بذاكرتي عن أيام المحاكمات وحكاياها أن أخاً ممن عرضوا على المحكمة كان طبيباً بيطرياً من منطقة الساحل السوري وكان يعمل في قرية دريكيش مسقط رأس سليمان الخطيب رئـــيس هذه المحكمة الهزلية. ولقد حدث أن أهل سليمان الخطيب كانوا يربون الأبقار كما يبدو. فلما مرضـــت إحـــداها أخذوها قدراً إلى ذلك الأخ ليعالجها. لكنها ماتت بقدر الله بعد ذلك. ودارت الأيام وإذ بالطبيب البيطري يقـــف أمام القاضي سليمان الخطيب نفسه. فلما عرفه اصفر واستفز وصاح فيه:

آبتذكر يوم جبنالك البقرة وقتلتها ولا ؟ روح بدي أعدمك.

ولقد تم إعدام الأخ المسكين بالفعل. وسمعنا القصة من عدد من الإخوة كانوا معه في نفس المهجع التقيناهم بعدها. سمعوا الرواية من الطبيب وشهدوا بأنفسهم إعدامه رحمه الله !).

25ـــ وتستمر المحنة يقول حماد[2]: (منع الصيام

واستمرت المحنة تدور رحاها من غير رحمة. ولم يعد للأيام ولا السنوات في حياتنا معنى.. فالبرنامج اليومي لا يكـــاد يتغير. والعذاب والمعاناة لا تترك لواحدنا فرصة التقاط الأنفاس. والقتل والإعدامات قتلت فينـــا شـــهوة الحيـــاة وأطفأت معنى المستقبل لدينا. وهكذا حل عام **86** متصلاً بمأساة الأعوام التي سبقته وواصلاً إياها لما بعده من أعوام تلت. وفي بداية ذلك العام كان قد جرى نقلي إلى مهجع المسلولين **29** في الباحة السابعة وصرت رئيساً له منـــذ ذاك. ولم يكن في الساحة التي عليها المهجع إلا مهجع ثان فقط هو مهجع **30** إضـــافة إلى المستوصـــف الـــذي تم تخصيصه للسجناء الشيوعيين كما ذكرت. فكان نصيبنا من التنفس مضاعفاً. وبدل أن يكون مرة في اليـــوم كمـــا جرت العادة فقد أصبح مرتين الآن صبحاً ومساء. ساعة في كل مرة بدل أن تكون نصف ساعة كما سبق. وهـــذا يعني مزيداً من العنت والقتل والتعرض لأذى الشرطة المتربصين.

ولقد اشتد أذى الشرطة في تلك الفترة زيادة عما هو عليه وتمادوا في عدوانيتهم. فكنا إذا خرجنا إلى التـــنفس في الصباح أو في المساء جهزنا أنفسنا لحفل كامل من التعذيب ينتظرنا. ولكم كان يحلو لهؤلاء الزبانيـــة أن يبطحـــوا واحداً منا على الأرض ويأخذوا بالقفز على ظهره أو على صدره بلا رحمة. ولكم تكسرت أضلاع إخوة منا في هذا النوع من التعذيب. ولا أنسى كيف قام واحد من هؤلاء الموتورين مرة بإخراج عضوه على مرأى الناس جميعاً وأخذ يبول علينا ونحن جالسين القرفصاء بين يديه في موعد التنفس ! وأما الجلد والضرب والمسبات البذيئة فهذه كلها لم تعد تدخل في الحساب لأنها جزء لازم من حياتنا على مدار السنوات التي خلت.

---

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**110**).

[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**113**).

ومما لا يزال واضحاً في ذاكرتي عن ذلك العام أنهم منعوا فيه الصيام عنا في رمضان لأول مرة. فمن قبل كانوا يأتون لنا بالسحور والفطور بدل وجبات الطعام المعتادة. لكنهم وابتداء من رمضان عام **1986** امتنعوا عن ذلك. وصارت الوجبات الثلاث على فقرها تأتينا في مواعيدها العادية. وصار ممنوعاً ادخار الطعام إلى الفطور أو السحور. فإذا أحسوا أن أحدنا صائم أخرجوه وقتلوه قياماً وقعوداً وأجبروه على الإفطار. وهكذا صرنا ممنوعين من الصلاة ومن الصيام معاً. وزادنا الزبانية بذلك هماً جديداً وقهراً وعذاباً من نوع آخر).

26ــ قال حماد حاكياً معاناة الأسرى[1]: (اختناق

ومع اشتداد الكرب وتوافد المزيد من السجناء على المهاجع التي اكتظت بنزلائها حدثت في شهر آب من عام **87** حادثة مثيرة. ففي ذلك الشهر الذي يسمونه آب اللهّاب ارتفعت الحرارة بشكل غير معقول في الوقت الذي كانت التهوية في المهاجع منعدمة والشراقات والنوافذ تجلب المزيد من السخونة ولا تقي من وهج الشمس شيئاً، مما تسبب في حادثة اختناق جماعي كادت تودي بأرواح العشرات.

ولقد بدأ الاختناق وقتها في مهجع السل **36** قبيل المغرب وأخذ السجناء الذين شارفوا على الموت يقرعون الباب وينادون الحرس وقد طاشت منهم العقول وشارفوا على الهلاك. فلما أتوا يسألونهم عم حدث صاحوا فيهم أنهم يختنقون. لكن الشرطة لم يأخذوا الأمر مأخذ الجد وتلكأوا في الرد عليهم. ففقد السجناء المساكين عقولهم وقد قاربوا أن يفقدوا أرواحهم جميعاً، وأخذوا يقرعون الباب ويدقون على الجدران ويرفعون أصواتهم بالصراخ والمسبات.

وسرعان ما صدرت الأوامر للشرطة فانتشروا على أسطحة مهاجع الباحة كلها، وسلطوا الرشاشات الكبيرة **500** مم على المهجع خشية أن يتطور الأمر إلى تمرد أو عصيان جماعي، ثم فتحوا الباب للسجناء ليخرجوا إلى الباحة. وما أن فعلوا حتى اندفع الإخوة من غير وعي لا يلوون على شيء. وارتموا على الأرض يتلوون ويتقيأون. وحضر طبيب السجن وقتها وتأكد من جدية الأمر. ولم يلبث أن صدر الأمر بإخراج سجناء المهاجع كلهم إلى الباحات تفادياً لتكرار الأمر. وبقينا يومها في الهواء الطلق حتى قرابة الساعة الثانية بعد منتصف الليل قبل أن يعيدونا إلى مهاجعنا. ومن يومها وعلى مدى أسبوعين تاليين ظللنا نخرج إلى التنفس مرتين في اليوم من غير ضرب أو تعذيب. وسمحوا لنا وقتها أن نرش أرض الباحة الإسمنتية بالماء للتخفيف من حدة الحر. ثم لم تلبث هذه الإستثناءات أن انتهت. وعدنا إلى برنامج المعاناة نفسه. فنجونا من الحر القاتل ومن الاختناق ولكن إلى حين).

27ــ قال حماد[2]: (طلاق بالإكراه ومن مشاهد تلك الفترة التي لا تزال تحضرني قصة طبيب أسنان من دمشق اسمه رضوان العمر استدعوه بعد حوالي تسع سنوات مضت على اعتقاله وأمروه في الذاتية أن يوقع على ورقة طلاق

---

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**114**).

[2] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**118**).

زوجته. وذعر الأخ.. ورفض أن يفعل. لكن جلسة التعذيب التي أتبعت رفضه جعلته يوافق مكرهاً. فكانت من ثم القاصمة له. ووجد نفسه بعد هذي السنوات يفقد زوجه وطفله من غير إرادته ومن دون أن يعرف السبب، ومـــن قبلهما فقد شبابه وحريته مع ألوف من خيرة أبناء الوطن مثله. ولا أدري ما الذي حل بالأخ بعدها، لكن آثار محنته الأخيرة تلك نزلت عليه كانت أثقل ربما من كل ما نزل به طوال سني اعتقاله. ولم يكن له ولا لنا أمام ذلك كله إلا التسليم والاحتساب).

28ــ وقال حماد واصفاً الظلم والقهر الذي يمر به غالب المساجين[1]: (الفأرة !
ولقد كان أمراً شائعاً منذ بدايات أيامنا في تدمر أن يأمرنا الجلادون بتناول بقايا الطعام من بين القمامة وأكلها عنوة، أو التقاط ذبابة أو صرصار يصادفنا في الباحة وابتلاعه. ولم يكن بعضهم ليتورع عن البصاق على الأرض وإجبـــار واحد من السجناء على لحس بصاقه بعده. لكننا وعندما حان موعد الطعام في يوم من أيام عـــام **1989** ووصـــل الدور على مهجع **18** المقابل لمهجعنا على الباحة الرابعة سمعنا لغطاً من هناك أثار انتباهنا. فأسرعت كعادتي وجعلت أسترق النظر من شق في باب المهجع أستطلع الأمر. فرأيت الشرطة منكبين على رئيس المهجع من بيت خريطة من الزبداني ــ وكان نقيباً في الجيش قبل اعتقاله ــ يضربونه ويركلونه وهو عاري الصدر بين أيديهم ويأمرونه بابتلاع شيء بالإكراه يحمله بيده. فلما دققت النظر وجدتها فأرة ميتة ينهالون عليه ضرباً ويجلدونه واحداً بعد الآخر وهم يأمرونه أن يبتلعها. والمسكين برغم كل هذا العذاب لا يستطيع أن يفعل. حتى إذا اشتد عليه الضرب وأرهقه الجلد وخارت قواه دسوا الفأرة في فمه دساً وبلعوه إياها ورموا به في المهجع. وكان يتولى كبر هذه العملية شرطي منهم كان يسمي نفسه أبا غضب. وكان أشد ما يحلو له أن يصفع الواحد منا بكفه التي تملؤ قدراً وتفيض فيكاد يخرق له طبلة أذنه وهو يقول بانتشاء: خذها من أبي غضب ولا !
ولم تمض من الزمن برهة حتى دق رئيس مهجع **18** الباب وأخبر الشرطة بشيء لم أفهمه تماماً. لكنني عدت وسمعت أصداء حديث يدور حول الفأرة. وفي المساء حضر أبو غضب إلى مهجعنا ونادى على المسؤول الصحي لدينا وكان الأخ غسان عبد الباقي من حماة، وسأله ما الذي يمكن أن يحدث للإنسان إذا أكل فأرة.. هل يموت ؟ وقتها لم يجـــد الأخ إلا أن يتملص من الإجابة ويقول له لا. قال له أبو غضب: انقلع. وأقفل الباب ومضى. ولم نتبين مـــا الـــذي جرى لذلك الشخص بالتحديد، لكننا أدركنا أن ضرراً أصابه، وأنه لم يكن بالضرر المعتاد. الأمر الـــذي جعلـــهم يعطون الأمر بعض الأهمية فيسألون ويستفسرون).

29ــ ينقل حماد مقابلته لشاهد على مجزرة تدمر التي اقترفها النصيريون ضد المسلمين: (شاهد على مجزرة تدمر
قلت أن بعضاً من المهاجع كانت حينما وصلنا تدمر قبل أكثر من عشر سنوات لا تزال تحـــتفظ علـــى جـــدرانها وأسقفها بآثار من مجزرة تدمر الكبرى في حزيران عام **1980**. ولقد حدث فعلاً وأن سمعت كباقي الناس عن المجزرة

[1] (محمد سليم حماد) **11**عاماً في سجون تدمر (**118**).

وأنا لا أزال في دمشق قبل اعتقالي ببضعة أشهر. ولقد تمكن وقتها أحد الإخوة من بيت وطفة من دمشـــق مـــن أن يحصل على قائمة بأسماء الضحايا من ملفات وزارة الدفاع حيث كان يخدم جنديته الإلزامية، وأوصلها للإخـــوة في قيادة دمشق الناشئة وقتذاك. وتم كشف الأخ من بعد وإعدامه في سجن تدمر نفسه. وكان العدد الرسمي كما أذكر في حدود الثمانمائة قتيل. لكنني طوال السنوات التي أمضيتها في سجن تدمر لم أجد بنفسي شاهداً على المجزرة، حتى جمعتني الأقدار في تلك الفترة بسجين يميني من حماة توطدت علاقتي معه. فقص علي أنه كان معتقلاً منذ عام **1980** مع مجموعة من البعثيين العراقيين. وأن إدارة السجن فرزتهم منذ ذاك ووضعته في أحد مهاجع الباحة الرابعة بشكل منفصل عن سجناء الإخوان أو الإتجاه الإسلامي.

وذات ليلة صدرت الأوامر إليهم كلهم لينقلوا إلى مهجع **29** في الباحة السابعة بشكل مفاجىء. وصبيحة اليـــوم التالي بلغت أسماعهم أصوات طائرات مروحية تحلق فوق المهاجع وتنزل في مكان قريب. ولم تمض برهة حتى بـــدأوا يسمعون أصوات الرصاص وانفجارات القنابل وصيحات التكبير في الباحات المجاورة. ثم لم تلبـــث الأصـــوات أن هدأت. وعادت المروحيات فغادرت المكان. ولم يتمكن أي من السجناء الآخرين وقتها من معرفة ما حدث. حـــتى تسربت أخبار المجزرة إليهم مع سجناء جدد حضروا بعدها وسمعوا بها من خارج الأسوار قبل اعتقالهم. وظل هـــذا الشخص على قيد الحياة حتى قدر لي أن ألقاه وأسمع شهادته. ورغم أنني لا أدري ما الذي حل بهذا الأخ، إلا أنـــني أتمنى أن أراه يوماً على منصة الشهادة يروي قصته أمام محكمة عادلة. تعيد فتح ملفات الفظائع التي شهدتها جدران مهاجع تدمر وبقية أوكار المخابرات وسجونها وأقبيتها، وتطبق في كل الجناة حكم الحق. عل أرواح الأبرياء الـــتي أزهقت من غير ذنب تقر.. وترتفع عن هذا البلد غباشة الطائفية المقيتة والظلم والجبروت).

30ــ أخيراً ختم محمد سليم حماد كتابه بقائمة ممن قضوا نحبهم في سجون سوريا فقال عن ذلك: (ليس من السهل أبداً أن يصدر إحصاء حقيقي عن عدد شهداء سجن تدمر أو أسماء أولئك الشهداء . فالإرهاب الذي يحيط حياة المعتقلين ابتداء ، والسرية التي تتم بها الإعدامات من بعد ، وانقراض الشهود تلو الشهود ، والتوتر والخوف والتنقلات ، وانتظار الموت الدائم .. كل ذلك يجعل المعتقل ذاهلاً عن كثير مما يدور حوله ، جاهلاً بما يحدث حتى خلف باب المهجع الذي يقبع فيه .

ومما رسخ في الذاكرة ، وبعد تمحيص وتدقيق ومراجعة متكررة ، أستطيع أن أثبت أسماء من شهدت إعدامهم بنفسي ، أو سمعت أسماءهم تتلى من سجل المطلوبين للإعدام ، أو بلغني من مصادر ثقة أن إعدامهم قد تم تنفيذه فعلاً . وغالب أولئك قضوا في سجن تدمر ، وقليل منهم أعدموا في سجن المزة وحمل إلينا الخبر القادمون ممن عاصروا إعدامهم هناك . وإني وأنا أسأل الله تعالى الرحمة والقبول للشهداء ، أؤكد ما هو معلوم من الأمر بالضرورة ، بأن عدد الذين قضوا على أعواد المشانق أو بأيدي الجلاوزة والزبانية . أضعاف أضعاف هذا الرقم .

وأعود لذلك فأهيب بكل أخ شهد هذه المحنة أو علم عنها مهما علم ، أن يسجل ذاك الذي شهد ، ويوثق ما علم وما وعى ، عسى أن تكمل أمثال هذه الأعمال بعضها البعض ، وتكمل الجهود المتعددة صورة الفاجعة ، وتحفظ للأجيال مدى الشناعة التي اقترفتها الأيدي الآثمة ، بحق أبناء القطر السوري المنكوب).

ونختم هذا الواقع بما قاله الشيخ الأسير أبو قتادة الفلسطيني فك الله أسره إذ يقول عن سجون هؤلاء المرتدين[1]: (إنّ السّجن في العالم المعاصر وخاصّة في بلاد الردّة لم يعد هو حبس فقط، حيث يوضع المرء في جبّ يمنعه من ممارسة بشريّته في الحياة وحركتها؛ فيمنع من أهله وبيته وعمله، بل صارت السّجون آلاما لا تقوى لها النّفس البشريّة بحال، وعلينا على الدّوام أن نتذكّر صنائع المرتدّين مع المسلمين في كلّ وقت وحين، لتبقى قلوبنا ونفوسنا مليئة بالبغض لهم، وعدم التّفكير البتّة بالعفو عنهم أو مسامحتهم، وإن أقلّ ما يحكم فيهم إذا ظفر المسلم بهم هو حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في حلفائه من بني قريظة ، حيث حكم أن تقتل مقاتلتهم، وكلّ من بلغ منهم الحلم، وتسبى نساؤهم، وتغنم أموالهم، وهو حكم الله تعالى من فوق سبع سماوات، لأنّنا للأسف ما نراه من ضعف ذاكرة قادة الحركات الإسلاميّة مع خصوم الإسلام جدّ مؤلم، ولا تتلاءم مع طبيعة المعركة بيننا وبين هؤلاء المرتدّين.

في تونس: عندما يسجن المرء بتهمة الانتماء للإسلام، وهي تهمة يكفي لإثباتها أن يصلّي الشّابّ في المسجد، أو أن تطلق لحيته، فيؤخذ بعد عذاب لا يعلم مداه إلاّ الله ثمّ يصار به إلى السّجن، وإلى هنا فالأمر يمكن تصوّره، لكن هل يمكن تصوّر ما يصنع بعائلته بعد ذلك؟ في هذا الظّرف تبدأ معاناة أهله في الخارج، حيث قال وزير الدّاخليّة التّونسيّ: سنتابع الإسلاميين وسنحاصرهم حتّى تضطّر نساؤهم إلى الأكل بأجسادهن. وعلى هذا فلو أنّ أختاً جاءت ودفعت فاتورة الماء والكهرباء، وكان زوجها سجيناً بتهمة (الإخونجيّة) كما يسمّونها هناك، فإنّها تكون عرضة للمساءلة: من أين أحضرت هذا المال؟ ولا يرتاح لهم بال حتّى تبيع الأخت نفسها تحت وطأة الحاجة وتكاليف الحياة. فهل هذا هو السّجن الذي يريدنا بعض المنهزمين أن نسارع بالذّهاب إليه بأنفسنا حتّى نجعل السّجن مدرسة ترتقي فيها أفهام الإخوة، ومجالاً رحباً للدّعوة إلى الله؟. ثمّ يصبح ذنباً في هذا العصر إذا طالب المسلمون بإخراج المساجين؟ أهذه العقلانيّة التي يدعونا إليها؟.

صورة من الأردن لما يمارسه أفراد المخابرات مع السّجين المسلم هناك: جرّدوا الأخ من ثيابه، ثمّ ألقي أرضاً، وقام ضابط من ضبّاط المخابرات الأردنيّة (ومن المهم التّنبيه أن أغلب، إن لم يكن كلّ ضبّاط المخابرات وأغلب أفرادهم حجّوا إلى بيت الله الحرام، وهم لا ينادون بعضهم البعض إلاّ بلقب الحاجّ فلان، بل أغلبهم يصلّي وبعض أفرادهم خرّيج كلّيّة الشّريعة!!) وبعد أن ألقي أرضاً وهو مجرّد من ثيابه، قام ضابط منهم (الحاجّ فلان) وخلع ثيابه من جهة عورته، ثمّ جعل يدير ذكره على لحية الشّاب ورأسه وهو يقول مستهزئاً: دعنا يا شيخنا نتبرّك منك. هذا هو الواقع ولتجرحنا الحقيقة بآلامها وقرفها.

[1] مقالات بين منهجين المقال رقم(57).

فهل هذا هو السّجن ــ يا قوم ــ هو الذي يجب علينا أن نسارع بالذّهاب إليه، حسب وصيّة بعض المدارس والتيارات المنهزمة؟

هل نتحدّث عن سوريّا وحكّامها البعثيين والقادة النّصيريين؟ فنتكلّم عن مآسي الأخوات المسلمات هناك؟ أو مآسي الشّباب المسلم في داخل السّجون؟ حيث يربط الأخ في غرفة كالقبر، لا يزيد ارتفاعها عن أربعين سم، وتكون بقدر جسم الإنسان طولاً، ويبقى فيها السّجين لا الأيّام والشّهور ولكن السّنين والأعوام.

هل سمعتم الدّكتور محمّد المسعري النّاطق الرّسمي باسم لجنة الدّفاع عن الحقوق الشّرعيّة في الجزيرة العربيّة وعن معاناته في السّجن وعمّا رأى وذاق وسمع؟. (وأقول أنا ما ذاقه المجاهدون أكثر بكثير مما مر على المسعري وقد ذكرنا طرفاً من ذلك مع تقديرنا وأسفنا على الجميع ولكن مشكلة المجاهدين أنهم لا بواكي لهم والله المستعان)

هل قرأتم ما كتب بعض المساجين المسلمين عمّا ذاقوه في سجون جمال عبد النّاصر، وكيف وصل الحال ببعض المساجين إلى الجنون؟.

هل أصغيتم السّمع إلى ما يحكيه البعض عن بطش وظلم صدّام حسين وحزبه البعثيّ؟ وعن فنونه في ممارسة ساديّته ضدّ خصومه؟.

إنّ من يعلم هذا أو يعرف بعضه أو قريباً منه، ثمّ يجعل من منهجه في إحياء دين الله تعالى أن يطالب الشّباب المسلم بالذّهاب إلى السّجون باختيارهم، ثمّ يجرّم من يطالب بفكّ أسارى المسلمين، لهو جدير أن يدخل في عداد المجرمين وأعداء الدّين، لا أن يصبح مفكّراً وزعيماً لتيّار يلتحق بركبه الشّباب، لكنّنا والله نعيش زمن العجائب).أ.هـ.

الأدلة من الكتاب والسنة على فكاك الأسارى

أوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين تخليص إخوانهم من الأسر في أي مكان كانوا ولو كان بالقتال والأدلة على ذلك كثيرة منها الأدلة الخاصة في فكاك الأسرى ومنها الأدلة العامة:

الأدلة العامة:

من يتأمل النصوص الشرعية العامة يجد أنها تحث على تناصر المسلمين وتعاونهم وعدم خذلان بعضهم لبعض وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى يقول الله سبحانه وتعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدوني) وقال (إنما المؤمنون إخوة).

قال القرطبي رحمه الله على هذه الآية[1]: (إنما المؤمنون إخوة : أي في الدين والحرمة ، لا في النسب ، ولهذا قيل : أخوة الدين أثبت من أخوة النسب ؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وإخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب).

وثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وثبت فيهما أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه).

وثبت في الصحيحين أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه).

وثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره).

قال النووي رحمه الله تعالى[2]: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره: أما كون المسلم أخا المسلم فسبق شرحه قريبا، وأما لا يخذله: فقال العلماء: الخذل ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع السوء ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي).

---

[1] جامع أحكام القرآن (322/16).

[2] شرح مسلم (16/ 120).

وقال ابن رجب رحمه الله[1]: (ومن ذلك خذلان المسلم لأخيه: فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) قال: يا رسول الله، أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ . قال: (تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه) خرجه من حديث أنس، وخرجه من حديث جابر، وخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته)، وخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من أُذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدره على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة) قال الإمام المناوي رحمه الله شارحاً لهذا الحديث[2]: (من أُذِلَّ) بالبناء للمجهول (عنده) أي بحضرته أو بعلمه (مؤمن فلم ينصره) على من ظلمه (هو) أي و الحال أنه (يقدر على أن ينصره أذله اللّه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة) فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم دنيوياً كان ــ مثل أن يقدر على دفع عدوّ يريد أن يبطش به فلا يدفعه ــ أو دينياً) .أهــ .

وخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره الله في الدنيا والآخرة).

الأدلة الخاصة:

الدليل الأول: قول الله عز وجل (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير)الآيات.

قال القرطبي رحمه الله[3]: (يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم إلا أن يستنصروكم علي قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته قال ا بن العربي إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلي استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وفي أيديهم خزائن أموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد).

---

[1] جامع العلوم والحكم (333).

[2] فيض القدير (6/ 46 ــ 47).

[3] جامع أحكام القرآن (56/8).

وقال ابن العربي رحمه الله[1]: (يريد إن دعوا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك عليكم فرض، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تقاتلوهم عليهم، يريد حتى يتم العهد أو ينبذ على سواء ــ إلى أن قال ــ إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين، فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلماء.

فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال، والعدة والعدد والقوة والجلد).

الدليل الثاني: قول الله عز وجل (وإن يأتوكم أسارى تفادهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض).

قال القرطبي رحمه الله[2]: (ولَعَمرُ الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن فتظاهر بعضنا على بعض ! ليس بالمسلمين، بل بالكافرين ! حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد

قال ابن خويز منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأسارى، وبذلك وردت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فك الأسارى، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع

ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين).

وقال الجصاص رحمه الله[3]: (تدل على أن فداء أسراهم كان واجبا عليهم وكان إخراج فريق منهم من ديارهم محرما عليهم فإذا أسر بعضهم عدوهم كان عليهم أن يفادوهم فكانوا في إخراجهم كافرين ببعض الكتاب لفعلهم ما حظره الله عليهم وفي مفاداتهم مؤمنين ببعض الكتاب بقيامهم بما أوجب الله عليهم وهذا الحكم من وجوب مفاداة الأسرى ثابت علينا روى الحجاج بن أرطأة عن الحكم عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين).

الدليل الثالث: قول الله عز وجل (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك مصيرا).

---

[1] أحكام القرآن (440/2).

[2] جامع أحكام القرآن (17/2).

[3] أحكام القرآن (57/1).

قال ابن العربي في هذه الآية[1]: (قال علماؤنا : أوجب الله سبحانه في هذه الآية القتال ; لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس , فكان بذل المال في فدائهم أوجب , لكونه دون النفس وأهون منها . وقد روى الأئمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني)، وقد قال مالك: على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم ; ولذلك قالوا: عليهم أن يواسوهم, فإن المواساة دون المفاداة).

وقال القرطبي رحمه الله[2]: (قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) : حض على الجهاد ، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين ، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده وإن كان في ذلك تلف النفوس ، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال وذلك أوجب لكونهما دون النفوس إذ هي أهون منها ، قال مالك : واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم ، وهذا لا خلاف فيه، لقوله عليه الصلاة والسلام: (فكوا العاني)).

وقال الشوكاني رحمه الله[3]: (والمستضعفين مجرور عطفا علي الاسم الشريف أي مالكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين حتى تخلصوهم من الأسر وتريحوهم مما هم فيه من الجهد ويجوز أن يكون منصوبا علي الاختصاص أي وأخص المستضعفين فإنهم من أعظم من يصدق عليه سبيل الله).

وقال سيد قطب رحمه الله[4]: (وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؟ هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق.. هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والعرض لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض).

الدليل الرابع: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(فكوا العاني وأطعموا الجائع، وعودوا المريض) رواه البخاري ومسلم.

والعاني: الأسير قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[5]: (قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية. وبه قال الجمهور، وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال).

وقال الإمام المناوي شارحاً هذا الحديث في فيض القدير: ((فكوا) خلِّصوا ، و الفكاك بفتح الفاء و تكسر التخليص ، (العاني) بمُهملة و نون أي أعتقوا الأسير من أيدي العدو بمال أو غيره كالرقيق قال ابن

---

[1] أحكام القرآن (583/1).

[2] جامع أحكام القرآن (279/5).

[3] فتح القدير (487/1).

[4] في ظلال القرآن (708/2).

[5] فتح الباري (6 /205).

الأثير : العاني الأسير و كل من ذّل و استكان و خضع فقد عنا قال ابن بطال : فكاك الأسير فرض كفاية و به قال الجمهور و قال ابن راهويه : من بيت المال ، و رُوي عن مالك و قال أحمد : يفادي بالرؤوس أو بالمال أو بالمبادلة).أهـــ .

قال أبو بكر الجصاص[1]: (وهذا الحكم من وجوب مفاداة الأسارى ثابت علينا ; روى الحجاج بن أرطأة عن الحكم عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين . وروى منصور عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أطعموا الطعام وأفشوا السلام وعودوا المريض وفكوا العاني) ، فهذان الخبران يدلان على فكاك الأسير ; لأن العاني هو الأسير وقد روى عمران بن حصين وسلمة بن الأكوع : أن النبي عليه السلام فدى أسارى من المسلمين بالمشركين).

الدليل الخامس: ما ثبت في الصحيح أيضاً عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، هل عندكم من الوحي شيء ؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله عز وجل رجلاً، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة ؟. قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر.

الدليل السادس: ما جرت به سنة النبي صلى الله عليه وسلم على إنقاذ الأسرى وتخليصهم من العدو، ففي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم (فدى رجلاً برجلين).

أقوال العلماء في فكاك الأسرى

لابد أن نعلم أنه إذا وقع مسلمٌ في أيدي الكافرين أسيراً فالأصل أنه يلزم المسلمين النهوض لتخليصه من يدهم ، وإن لم يدخلوا دارنا باتفاق الفقهاء وقد ذكرنا الأدلة من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وذلك أن الفقهاء أجمعوا على أنه يجب على المسلمين وجوب عينٍ النهوض لدفع الكافرين إذا دخلوا بلداً للمسلمين ، وحرمة المسلم أعظمُ حُرمةً من حُرمة الدار وإليك بعض أقوال الفقهاء في تخليص أسرى المسلمين:

1ـــ قال ابن قدامة رحمه الله[2]: (فصل، ويجب فداء أسرى المسلمين إذا أمكن وبهذا قال عمر بن عبد العزيز ومالك وإسحاق ويروى عن ابن الزبير أنه سأل الحسن بن علي: على من فكاك الأسير؟ قال على الأرض التي يقاتل عليها، وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني) وروى سعيد بإسناده

[1] أحكام القرآن (58/1).
[2] المغني (9/ 228).

عن حبان بن جبلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم ويؤدوا عن غارمهم)، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار : (أن يعقلوا معاقلهم وأن يفكوا عانيهم بالمعروف)، وفادى النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من المسلمين بالرجل الذي أخذه من بني عقيل وفادى بالمرأة التي استوهبها من سلمة بن الأكوع رجلين.
فهذه النصوص قد أطلق فيهما الفكاك فلم يقيد بنوع معين فكل شيء استطعنا فك الأسرى به تعين علينا فعله وهكذا فعل الفقهاء فقالوا بوجوب الحرب لفك الأسري إذا استطعنا فك الأسرى بها).

2ـــ قال النووي رحمه الله[1]: (لو أسروا مسلما أو مسلمين هل هو كدخول أرض الإسلام وجهان أحدهما لا، لأن إزعاج الجند الواحد بعيد وأصحهما نعم لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار فعلى هذا لابد من رعاية النظر فإن كانوا على قرب دار الإسلام وتوقعنا استخلاص من أسروه لو طرنا إليهم فعلنا. (والفداء بالمال واجب إن استطعنا تخليص الأسرى به).

3ـــ قال ابن جُزَيّ المالكي رحمه الله[2]: (يجب استنقاذهم من يد الكفار بالقتال فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال، فيجب على الغني فداء نفسه ، وعلى الإمام فداء الفقراء من بيت المال ، فما نقص تعين في جميع أموال المسلمين ولو أتى عليها) .

4ـــ قال العز بن عبد السلام رحمه الله[3]: (وإنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات ، وقد قال بعض العلماء : إذا أسروا مسلما واحدا وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم ، فما الظن إذا أسروا خلقا كثيرا من المسلمين !).

5ـــ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[4]: (فكاك الأسارى من أعظم الواجبات ، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات).

6ـــ قال ابن حجر الهيتمي[5]: (ولو أسروا مسلما فالأصح وجوب النهوض إليهم فورا على كل قادر ـــ ولو نحو قنٍ بغير إذن ، خلافا لبعضهم ـــ لخلاصه إن توقعناه ، ولو على ندور ، فيما يظهر وجوب عين كدخولهم دارنا , بل

[1] روضة الطالبين (**216/10**).
[2] قوانين الأحكام الشرعية (**172**).
[3] أحكام الجهاد وفضائله (**197**).
[4] مجموع الفتاوى (**635/28**).
[5] انظر تحفة المحتاج (**237/9**).

أولى ; لأن حرمة المسلم أعظم).7ـــ حكى ابن حزم رحمه الله الإجماع فقال[1]: (و اتفقوا أنه إن لم يُقْدَر على فك المسلم إلا بمال يعطاه أهل الحرب ، أن إعطاءهم ذلك المال حتى يفك ذلك الأسير واجب).

7ـــ قال السرخسي رحمه الله[2]: (من وقع أسيراً في يد أهل الحرب من المؤمنين و قصدوا قتله يفترض على كل مسلم يعلم بحاله أن يفديه بماله إن قدر على ذلك ، وإلا أخبر به غيره ممن يقدر عليه و إذا قام به البعض سقط عن الباقين بحصول المقصود).

8ـــ قال الإمام القرطبي في تفسير آية الصدقة من سورة التوبة[3]: (و اختلفوا في فك الأسارى منها ـــ أي من أموال الزكاة ـــ فقال أصبغ: لا يجوز. و هو قول ابن قاسم. و قال ابن حبيب: يجوز ، لأنها رقبة مُلكت بملك الرق فهي تخرج من رق إلى عتق ، و كان ذلك أحق و أولى من فكاك الرقاب الذي بأيدينا ، لأنه إذا كان فك المسلم عن رق المسلم عبادة و جائزاً من الصدقة ، فأحرى و أولى أن يكون ذلك في فك المسلم عن رق الكافر و ذله).

9ـــ وسُئل ابن تيمية رحمه الله عن مال موقوف على فكاك الأسرى ، و إذا استُدين بمال في ذمم الأسرى بخلاصهم لا يجدون وفاءه : هل يجوز صرفه من الوقف ؟ و كذلك لو استدانة ولي فكاكهم بأمر ناظر الوقف أو غيره ؟

فأجاب[4]:

(نعم يجوز ذلك ، بل هو الطريق في خلاص الأسرى ، أجود من إعطاء المال ابتداء لمن يفتكهم بعينهم ، فإن ذلك يخاف عليه ، و قد يصرف في غير الفكاك ، و أما هذا فهو مصروف في الفكاك قطعاً . و لا فرق بين أن يصرف عين المال في جهة الاستحقاق ، أو يصرف ما استدين ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم تارة يصرف مال الزكاة إلى أهل السهمان ، و تارة يستدين لأهل السهمان ثم يصرف الزكاة إلى أهـــل الـــدَّين ، فعُلم أن الصرف و فـــاء كالصرف أداء ، و اللّه أعلم .أهـــ.

10ـــ قال ابن النحاس رحمه الله[5]: (الأسير المقهور متى قدر على الهرب من الكفار[6] ، لزمه ذلك بلا خلاف ، وإن أطلقوا أسيراً بلا شرط فله أن يقاتلهم قتلاً وسبياً وأخذاً للمال وهو مذهب أحمد ، وإن أطلقوه على أنهم في أمان منه

---

[1] مراتب الإجماع (**122**).

[2] المبسوط (**30 / 271**).

[3] تفسير القرطبي (**8 / 183**).

[4] مجموع الفتاوى (**31 /...)**.

[5] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (**1053/2**).

[6] كلامه هنا رحمه الله في الكافر الأصلي إذ أن الكافر المرتد له أحكام تخصه في كثير من المسائل فتنبه.

، وهو في أمان منهم حرُم عليه اغتيالهم ، وكذلك لو أطلقوه على أنه في أمان منهم ، ولم يستأمنوه على الصحيح المنصوص ، وهو مذهب احمد.

ولو أطلقوه وشرطوا عليه ألاَّ يخرج من دارهم لزمه الخروج ، وحرُم عليه الوفاء بالشرط . وقال أحمد في المنصوص عنه: يلزمه الوفاء به ، ولو شرطوا أن يعود إليهم ، أو يبعث إليهم مالاً فداءً ، فالعود حرام وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، وأما المال فإن شارطهم عليه مكرهاً فهو لغو ، وبه قال أحمد وإن صالحهم مختاراً لم يجب عليه بعثه لأنه التزام بغير حق ، لكن يستحب وفي قول يجب وهو مذهب أحمد.

قال ابن عبد السلام المالكي في شرح المختصر: إذا ائتمن الأسير على شيء طائعاً وجب عليه الوفاء ، ولم تجز له الخيانة ، ومن ائتمنوه مكرهاً أو لم يأتمنوه جاز له أخذ ما أمكنه من أموالهم . وعن سحنون إذا ائتمن على ماله ونفسه فلا يهرب . وعن مالك أنه يهرب بنفسه ولا يأخذ من أموالهم شيئاً.

وقال أبو الحسن اللخمي المالكي في التبصرة: إذا أسر العدو مسلماً ثم أطلقوه على ألا يهرب بنفسه أو على إن أعطاهم عهداً أنه لا يهرب فتركوه ، لم يكن له أن يهرب ، لأنه وإن كان مكرهاً على العهد فإن ذلك يؤدي إلى الضرر بالمسلمين ، والتضييق على من بأيديهم من الأسرى ويرون أن المسلمين لا يوفون بعهد).أ.هـــ

مواقف تاريخية لفكاك الأسرى

قال ابن النحاس رحمه الله[1]: (خرّج ابن عساكر بإسناده عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي المشركين أحب إليَّ من جزيرة العرب.
وخرّج أيضاً عن بكر بن خنيس ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى من المسلمين بالقسطنطينية: أما بعد ، فإنكم تعدون أنفسكم الأسارى ، ومعاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله ، واعلموا أني لست أقسم شيئا بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأكثر ذلك وأطيبه ، وأني قد بعثت إليكم فلان بن فلان بخمسة دنانير ، ولولا أني خشيت أن يحبسها عنكم طاغية الروم لزدتكم ، وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم ، وحرّكم ومملوككم ، بما يُسأل به فأبشروا ثم أبشروا والسلام).

وعندما وقع بعض المسلمين في الأسر بعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إليهم عبد الرحمن بن عمرة لفك أسرهم وقال له : (أعطهم لكل مسلم ما سألوك !! فو الله لرجل من المسلمين أحب إلي من كل مشرك عندي ! إنك ما فاديت به المسلم فقد ظفرت به ! إنك إنما تشتري الإسلام)[2].

وقال رحمه الله[3]: (حكى القاضي أبو بكر ابن العربي أن بعض الملوك عاهد كفاراً على أن لا يحبسوا أسيراً ، فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلق ، فنادته امرأة: إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري ، فلمّا اجتمع به وتجاذبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المرأة فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازياً من فوره ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع.
ونظير هذا ما حكاه القرطبي في تاريخه عن المنصور بن أبي عامر ولم يكن في الملوك القائمين بالأندلس مثله ، غزا نيفاً وخمسين غزوة ، منها غزاة كانت في مكان ضيق بين جبلين لا يجوزه إلا فارس بعد فارس ، واجتمعت الروم في أمم لا تحصى ومسكوا له موضع الخروج ، فلما علم بذلك أمر برفع الخيم وأن تبنى الدور ، واختط لنفسه قصراً وأمر سائر خواصه بذلك وكتب إلى نوابه:
إني لما رأيت هذه البلاد استقصرت رأي من سلف من الملوك والخلفاء كيف تكوها لعظم أمرها وجلالة قدرها وقد استخرت الله تعالى في الإقامة بها وأن أتخذ مدينة وأسكنها ، وأمر بإرسال البنائين والفعلة ، فلما تحققت الروم ذلك سألوه في الصلح فأبى فألحوا عليه فقال: لا أفعل إلا أن تعطوني ابنة ملككم ، فقالوا هذا عار ما سمع بمثله . فاجتمعوا

[1] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (2/831 ــ 832).
[2] سنن سعيد بن منصور رقم (2822).
[3] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (2/832 ــ 833).

في عدد عظيم وكان هو في عشرين ألف فارس ، فلما التقوا انكسر المسلمون وانهزم هو وولده وكاتبه ونفر يسير وأمر أن تضرب خيمة على نشر من الأرض فتراجع المسلمون إليه وقاتلوهم فكانت الدائرة على الكفار والعاقبة للمسلمين فقتل وأسر.

فسألوه في الصلح فأبى إلا أن يعطوه ابنة ملكهم وأموالاً اقترحها فأعطوه ذلك مع تحف كثيرة ، وكانت البنت في نهاية الجمال فلما شيّعها أشراف قومها سألوها أن تحسن الوساطة لقومها عنده ، فقالت: إن الجاه لا يطلب بأفخاذ النساء إنما يطلب برماح الرجال ، ولما وصل المنصور إلى مدينته تلقته امرأة فقالت أنت والناس يفرحون وأنا باكية حزينة ، قال: ولم؟ قالت: ولدي أسير في بلد من بلاد الروم ، فسيّر العساكر لوقته راجعة إلى البلاد حتى أحضروا ولدها.

فرحم الله تلك الأمم الخالية بتلك الهمم العالية ، وأثابهم على إعزاز دين الإسلام رضوانه التام في دار السلام).

قال ابن النحاس رحمه الله[1]: (ذكر الإمام العارف عبد الغفار بن نوح القوصي في كتابه المسمى بالوحيد في سلوك أهل التوحيد ، فقال:بلغ المعتصم أن علجاً من علوج الفرنج لطم امرأة أسيرة في عمورية فقالت : وامعتصماه ، فقال لها العلج: لا يجئ المعتصم إلا على فرس أبلق ، فسيّر إليها جيشه بثمانية عشر ألف فرس أبلق ــ وقيل ثمانون ألف ــ وسار إليها بقوة العزم وصدق النية والغيرة على دين الله ، ففتحها الله على يديه ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وسبى وقتل وحرقها بالنار وأحضر العلج والمرأة بين يديه وهو راكب على فرس أبلق ، وقال له : قد جئتك على فرس أبلق.

قال ابن النحاس رحمه الله بعد ذكره لهذه القصة: (فهكذا فليكن إعزاز الدين ومثل هذا ينبغي أن تكون أئمة المسلمين ، اللهم لا تحرمه أجر هذه الهمة ، وأثبه على ما كان عليه بكشف هذه الغمة).

قال أبو تمام الطائي في غزوة عمورية قصيدته الشهيرة:

السيف أصــدق أنبــاءً من الكتب في — حــدِّه الحــدُّ بين الجــد واللعب
بيض الصفائح لا ســود الصحائف في — متونهن جــلاء الشك والريــب
والعلم في شهب الأرماح لامعـــــة — بين الخميسين لا في السبعة الشهب

ثم قال ابن النحاس رحمه الله معقباً على بيت من أبيات أبي تمام[2]: (وما أحسن قوله فيها:

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على — بانٍ بأهل ولم تغرب على عزب

يعني: أن الشمس ذلك اليوم ما طلعت على من له زوجة في عسكر المسلمين فتسبى ، فلما فتحوها ما غربت على عازب بل صار لكل من العسكر أهل من السبي.

[1] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (834/2).
[2] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (836/2ــ838).

وأغرب من هذه القصة ــ وهو شبيه بها ــ ما حكاه القرطبي في تاريخه ، قال: أسر رجل في زمن معاوية رضي الله عنه وأدخل القسطنطينية ،فتكلم بين يدي ملكهم بكلام ، فلطمه أحد البطارقة ، فقال الأسير وكان قرشياً: بيننا وبينك الله يا معاوية وليت أمورنا فضيعتها ، فبلغ معاوية كلامه فسيّر وافتداه ، فلما أتاه سأله عن اسم البطريق ، فأخبره ، فأفكر طويلاً ثم نفذ خلف قائد من قواد صور ذو خبرة ومعرفة ، وقال: أريد منك أن تتحيل في إحضار فلان البطريق من القسطنطينية . فقال: أريد أن أنشيء مركباً بمجاذيف مخفيه يلحق ولا يلحق بها ، فقال له : افعل ما بدا لك ومكنه من كل ما يحتاج إليه ، فلما كملت أوسقها من كل طرفة وتحفة وأعطاه أموالاً جزيلة ، وقال: اذهب إلى القسطنطينية فكأنك تاجر فبع واشتر واهد لوزير الملك وبطارقته وخاصته خلا ذلك البطريق فلا تقربه ولا تهاده ، فإذا أعتبك على ذلك فقل له: ما عرفتك ولكن سأضاعف لك في عودتي فإنه لم يبق معي ما يصلح لمثلك.

ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية وأخبره بما صنع ، فجهزه ثانياً وأعطاه أضعاف ذلك وقال: هذا ــ أيضاً ــ للملك ولسائر خواصه ولذلك البطريق ، فإذا عزمت على الحضور إلينا فقل لذلك البطريق: إني أحب أن أصادقك ويكون بيني وبينك معرفة ، فسلني حاجة أحضرها لك على حسب ما تقترحه ، ويكون عوضاً عما قصّرت في حقك ، فقال: أريد بساطاً من حرير يحوي جميع الألوان وصور سائر الأطيار والأشجار والأزهار والوحوش ، طوله كذا وعرضه كذا.

فلما رجع وأخبر معاوية جمع له سائر الصناع ، فكمل في أبدع صورة يدهش الناظرين ، وجهز معه كل ما يحتاج إليه وقال له: إذا وصلت إلى فم البحر فانشر البساط على ظهر المركب فسيحمله الشره على أن يترل إليك ، فإذا صار عندك فاشغله بالحديث واعرض عليه البساط وقدّم له غير ذلك من التحف ، ومر أصحاب المركب أن يقذفوا بالمجاذيف المخفية فإذا صرت في البحر فارفع الشراع وأوثقه ومن معه كتافاً وآتني بهم.

وكان للعلج ستارة على فم البحر فلما بلغه وصول المركب أشرف لينظر إليها ، فلما رأى البساط كاد عقله يذهب ، فخرج مسرعاً للقائه فترل إليه مسلماً ، فأعرضه عليه مع غيره ، وأصحابه يقذفون ولا علم له فما شعر إلا برفع الشراع ــ يعني القلع ــ فقال: ما هذا؟ فقبض عليه وأوثقه بالحديد وسائر أصحابه وأتى به إلى معاوية فأحضر القرشي وقال: هذا خصمك؟ قال: نعم ، قال: قم فالطمه كما لطمك ولا تزد ، ففعل ذلك ، ثم قال لصاحب المركب خذه واذهب به إلى الموضع الذي أخذته منه ، وأعطاه ذلك البساط وغيره.

وقال له: قل لملكك تركت ملك المسلمين يقتص ممن هو على بساطك ومن خواصك وبطارقتك ، فلما أوصلوه إلى القسطنطينية وجدوهم قد اتخذوا على فم البحر سلسلة ، فرموه هناك وأعطوه البساط ، فهاب ملك الروم معاوية رضي الله عنه وعظمّه وهاداه.

وذكر ابن الذهبي الحافظ في تاريخ الإسلام: أن في سنة ثمان وتسعين همّ سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين بالإقامة ببيت المقدس وجمع الناس والأموال ، فبينما هم على ذلك إذ جاء الخبر أن الروم خرجت على ساحل حمص ، فسبت جماعة فيهم امرأة لها ذكر ، فغضب وقال: ما هو إلا هذا ، نغزوهم ويغزونا ، والله لأغزونهم غزوة أفتح بها

القسطنطينية أو أموت دونها ، فأغزى أهل الشام والجزيرة في البحر في ألف مركب ، وأخرج للناس الأعطية ، وأعلمهم أنه غزو القسطنطينية ليقدروا قدره ، فكان من أمرهم ما هو مذكور في كتب التواريخ.

وقد كان اجتمع بأنطاكية عدة من المسلمين أسرى فغزاها غلام زرافة من طرسوس ، وحاصرها إلى أن أخذها واستنقذ منها أربعة آلاف مسلم ، وغزا عماد الدين زنكي الرهاء ونصب عليها المجانيق ، ونقب صورها ، وطرح فيه الحطب والنار ، إلى أن انهدم ، ودخلها فحاربهم ونصر الله المسلمين فغنموا وسبوا وخلصوا منها خمسمائة أسير.

وذكر العماد الكاتب أن السلطان صلاح الدين خلص من الأسرى في وقعة حطين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أكثر من عشرين ألف أسير وأسر من الكفار مائة ألف أسير.

وذكر القرطبي في تاريخه ، قال: كان هشام بن عبد الملك حازماً متيقظاً وجرى لعماله في أزمنة ما لم يجر في زمن من الأزمان ، في عام واحد غزا أحدهم بلاد الحرير فوجد منهم عشرة آلاف فارس مع كل فارس أسير مسلم ، فقتلهم عن آخرهم وقتل ملكهم ابن خاقان وفتح عدة مدائن . وغزا آخر ملك السرير فصالحه على ألف وخمسمائة غلام سود الشعور وغزا عامل المغرب الروم فغنم ما لا يحصى إلا أن الذي سيّره لهشام كان عشرين ألف ألف عبد وثياباً كثيرة وطرائف وتحف).أ.هـ

****

وقفات للمجاهدين

1ـ تأملوا إمساك وإرسال رحمة الله:

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)

يقول سيد قطب رحمه الله[1]: (في هذه الآية الثانية من السورة (سورة فاطر)صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولى. وحين تستقر هذه السورة في قلب بشريٍ يتم فيه تحول كامل في تصوراته ومشاعره واتجاهاته وموازينه وقيمه في هذه الحياة جميعاً.

إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السماوات والأرض و تصله بقوة الله. وتيئسه من مظنة كل رحمة في السماوات والأرض وتصله برحمة الله. وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض وتفتح أمامه باب الله. وتغلق في وجهه كل طريق في السماوات والأرض وتشرع له طريقه إلى الله.

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد؛ ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه, وتكريمه بما كرمه؛ وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته؛ وفيما أنعم به عليه مما يعلمه, ورحمة الله تتمثل في

[1] في ظلال القرآن (5/الآية الثانية من سورة فاطر).

الممنوع تمثلها في الممنوح. ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء, وفي كل وضع, وفي كل حال, وفي كل مكان. . ويجدها في نفسه, ومشاعره؛ ويجدها فيما حوله, وحيثما كان, وكيفما كان. ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان. . ويفقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء, وفي كل وضع, وفي كل حالة, وفي كل مكان, ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان و الرضوان؛ وما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نقمة. وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة. . ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد. وينام على الحرير وقد أمسكت عنه فإذا هو شوك القتاد. ويعالج أعسر الأمور برحمة الله فإذا هي هوادة و يسر. ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر. ويخوض بها المخاوف و الأخطار فإذا هي أمن وسلام. ويعبر بدونها المنهاج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار؛ ولا ضيق مع رحمة الله. إنما الضيق في إمساكها دون سواه. لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن, أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك ولا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم, وفي مراتع الرخاء. فمن داخل النفس برحمة الله تتفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة. ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة.

هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب وتوصد جميع النوافذ, وتسد جميع المسالك. . فلا عليك, فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء. . وهذا الباب وحده يغلق وتفتح جميع الأبواب والنوافذ والمسالك فما هو بنافع. وهو الضيق والكرب والشدة و القلق و العناء.

هذا الفيض يفتح, ثم يضيق الرزق. ويضيق السكن. ويضيق العيش, وتخشن الحياة, ويشوك المضجع. . فلا عليك فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة. وهذا الفيض يمسك. ثم يفيض الرزق ويقبل كل شيء. فلا جدوى. وإنما هو الضنك و الحرج والشقاوة و البلاء.

المال والولد, و الصحة والقوة, ة الجاه و السلطان. . تصبح مصادر قلق وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله. فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة و السعادة والاطمئنان.

يبسط الله الرزق مع رحمته فإذا هو متاع طيب ورخاء؛ وإذا هو رغدٌ في الدنيا وزاد إلى الآخرة. ويمسك رحمته, فإذا هو مثار قلق وخوف, وإذا هو مثار حسد وبغض, وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض, وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار.

ويمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في حياة ومصدر فرح واستمتاع, ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله. ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء, وسهر بالليل وتعب بالنهار.

ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة, والتذاذ بالحياة. ويمسك نعمته فإذا الصحة والقوة بلاءٌ يسلطه الله على الصحيح القوي فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويدخر السوء ليوم الحساب.

ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح, ومصدر أمن, ووسيلة لادخار الطيب الصلح من العمل والأثر. ويمسك الله رحمته فإذا الجاه والسلطان مصدر قلقٍ على فوتهما ومصدر طغيان وبغي بهما, ومثار حقد وموجدة على صاحبهما لا يقر له معهما قرار, ولا يستمتع بجاه ولا سلطان, ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار.

والعلم الغزير والعمر الطويل والمقام الطيب كلها تتغير وتتبدل من حالٍ إلى حال. . . مع الإمساك ومع الإرسال. . وقليل من المعرفة يثمر وينفع, وقليل من العمر يبارك الله فيه. وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة. والجماعات كالآحاد. والأمم كالأفراد في كل أمر وفي كل وضع, وفي كل حال. . ولا يصعب القياس على هذه الأمثال.

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله. فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك. ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة. ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة. وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة. والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها. وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبداً.(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون).

ورحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان ولا في أي حال. وجدها إبراهيم عليه السلام في النار. ووجدها يوسف عليه السلام في الجب كما وجدها في السجن. ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث.

ووجدها موسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة, كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه. ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور.فقال بعضهم لبعض: (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته). ووجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار و القوم يتعقبونهما ويقصون الآثار. . ووجدها كل من آوى إليها يأساً من كل ما سواها. منقطعاً, شبهة في قوة, وعن كل مظنة في رحمة, قاصداً باب الله وحده دون الأبواب.

ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته فلا ممسك له. ومتى أمسكها فلا مرسل لها. ومن ثم فلا مخافة من أحد . ولا رجاء في أحد. ولا مخافة من شيء, ولا رجاء في شيء. ولا خوف من فوت وسيلة, ولا رجاء مع الوسيلة.إنما هي مشيئة الله. ما يفتح فلا ممسك. وما يمسك الله فلا مرسل. والأمر مباشرٌ إلى الله. .(وهو العزيز الحكيم).. يقدر بلا معقب على الإرسال والإمساك. ويرسل ويمسك وفق حكمة تكمن وراء الإرسال والإمساك.

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها). .

وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه, بلا وساطة وبلا وسيلة إلا التوجه إليه في طاعة وفي رجاء وفي ثقة وفي استسلام.

(وما يمسك فلا مرسل له من بعده).

فلا رجاء في أحد من خلقه, ولا خوف لأحد من خلفه فما أحد بمرسل ما أمسكه الله. أي الطمأنينة ؟ وأي قرار؟ وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم والموازين تقر هذه الآية في الضمير؟

آية واحدة ترسم للحياة صورة جديدة؛ و تنشئ في الشعور قيماً لهذه الحياة ثابتة؛ وموازين لا تهتز و لا تتأرجح و لا تتأثر بالمؤثرات كلها. ذهبت أم جاءت. كبرت أم صغرت. جلت أم هانت كان مصدرها الناس أو الأحداث أو الأشياء.

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث و الأشياء و الأشخاص و القوي و القيم و الاعتبارات. ولو تضافر عليها الإنس و الجن. وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها, ولا يمسكونها حين يفتحها. .(وهو العزيز الحكيم). .

وهكذا أنشأ القرآن بمثل هذه الآية وهذه الصورة تلك الفئة العجيبة من البشر في صدر الإسلام. الفئة التي صنعت على عين الله بقرآنه هذا لتكون أداة من أدوات القدرة, تنشئ من عقيدة وتصور, وقيم وموازين, ونظم و أوضاع. وتقر في الأرض ما شاء الله أن تقر من نماذج الحياة الواقعة التي تبدوا لنا اليوم كالأساطير والأحلام. الفئة التي كانت قدراً من قدر الله يسلطه على من يشاء في الأرض فيمحو ويثبت في واقع الحياة والناس ما شاء الله من محو ومن إثبات. ذلك أنها لم تتعامل مع ألفاظ هذا القرآن, ولا مع المعاني الجميلة التي تصورها. . وكفى. . ولكنها كانت تتعامل مع الحقيقة التي كانت تمثلها آيات القرآن, وتعيش في واقعها بها, ولاها. .

وما يزال هذا القرآن بين أيدي الناس قادراً على أن ينشئ بآيته تلك أفراداً وفئات تمحو وتثبت في الأرض بإذن الله ما يشاء الله. . ذلك حين تستقر هذه الصور في القلوب, فتأخذها جداً, وتتمثلها حقاً. حقاً تحسه, كأنها تلمسه بالأيدي وتراه بالأبصار. .

ويبقى أن أتوجه أنا بالحمد لله على رحمة منه خاصة عرفتها منه في هذه الآية. .

لقد واجهتني هذه الآية في هذه اللحظة وأنا في عسر وجهد وضيق ومشقة. واجهتني في لحظة جفاف روحي, وشقاء نفسي, وضيق بضائقة, وعسر من مشقة. . واجهتني في ذات اللحظة. ويسر الله لي أن أطلع منها على حقيقتها. وأن تسكب حقيقتها في روحي؛ كأنما هي رحيق أرشفه وأحس سريانه ودبيبه في كياني. حقيقة أذوقها لا معنى أدركه. فكانت رحمة بذاتها. تقدم نفسها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية التي تفتحت لي تفتحها هذا. وقد قرأتها من قبل كثيراً. ومررت بها من قبل كثيراً. ولكنها اللحظة تكسب رحيقها وتحقق معناها, وتنزل بحقيقتها المجردة, وتقول: هاأنذا. . نموذجاً من رحمة الله حين يفتحها. فانظر كيف نكون.

إنه لم يتغير شيء من مما حولي. ولكن لقد تغير كل شيء في حسي, إنها نعمة ضخمة أن يتفتح القلب لحقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود, كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هذه الآية. نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها؛ ولكنه قلما يقدر على تصويرها, أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة. وقد عشتها وتذوقتها وعرفتها. وتم هذا كله في أشد لحظات الضيق و الجفاف التي عشتها في حياتي. وهاأنذا أجد الفرج والفرج و الري و الاسترواح و الانطلاق من كل قيد ومن كل كرب ومن كل ضيق. وأنا في مكاني إنها رحمة الله يفتح الله بابها و يسكب فيضها في آية من آياته. آية من القرآن تفتح كوة من النور. وتفجر ينبوعاً من الرحمة. وتشق طريقاً ممهوداً إلى الرضا و الثقة و الطمأنينة و الراحة في ومضة عين وفي نبضة قلب وفي خفقة جنان. اللهم حمداً لك. اللهم منزل هذا القرآن. هدى و رحمة للمؤمنين. .)أ.هـ.

2ـــ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون[1]:

إلى الأبطال الكبار..إلى الأحرار خلف الأسوار إليكم وقد تناءت الديار، وشط المزار، وانقطعت الأخبار، وحالت

[1] مقال بعنوان (من غوانتانامو الكبير إلى غوانتانامو الصغير) نشر في موقع النداء.

دونكم الفيافي والقفار، وامتدت البراري والبحار، فتشمتت الكفار والأشرار، وخذلكم من خذلكم من الفضلاء والأخيار!! .

إليكم أيها الأسود في القيود، يا من ضربتم أروع أمثلة الثبات والصمود.إليكم أيها الرجال، أيها المجاهدون الأبطال، يا من صنعتم ببطولاتكم في القتال والنزال، حقائق أروع من المثال، وأعظم من الخيال.

إليكم يا أسرانا في كل مكان في سجون الكفار الأصليين والمرتدين، نحييكم تحية الإجلال والإكبار، يا من رفضتم خيار الذل والعار، وآثرتم الإسار على الفرار، مرددين بلسان حالكم قول الفارس الشاعر بعدما أسرته الروم:

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ... ولا فرسي مُهر، ولا به غمر
ولكن إذا حُمّ القضاء على امرئ ... فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابي الفرار أو الردى ... فقلت هما أمران أحلاهم مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني ... وحسبك من أمرين خيرهما الأسر!
يقولون لي بعت السلامة بالردى ... فقلت أما والله ما نالني خسر
وهل يتجافى عني الموت ساعة ... إذا ما تجافى عني الأسر والضر؟
هو الموت فاختر ما على لك ذكره ... فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردى بمذلة ... كما ردها يوماً بسوءته عمرو

تذكروا وانتم تدفعون ضريبة العزة، وفاتورة الكرامة، دماً ومعاناة وألماً، تذكروا قول الله عز وجل وهو يخاطب الفئة المؤمنة بعد ما أصابها من جرح وقرح يوم أحد فقال (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) (ولا تهنوا) ولا تضعفوا أمام أعدائكم وجلاديكم، مهما كانت وطأة الأسر، وشدة القهر، ومهما كانت وحشية الطغيان، وقسوة السجان، ومهما شعرتم به من خذلان الأوطان، وجفاء بعض الإخوان!!.وتذكروا أن معظم الناس هم كما قال الشاعر:

بمن يثق الإنسان فيمن ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحاب ؟
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئاباً على أجسادهن ثياب !!

(ولا تحزنوا) مهما عظم المصاب ، وحكمتكم قوانين الوحوش والغاب ، والظفر والناب ، وتسلطت على الأسود الكلاب ، فلا تنشغلوا بالعتاب ، وأشكو لله رب الأرباب!!.

إلى الله أشكو أننا بمنازل ... تحكم في آسادهن كلاب!!.

ولا يحزنكم أن أسركم كان على يد هؤلاء الحقراء الأجراء، فلكم أسوة في الأنبياء والرسل وأصحابهم ممن أصابهم أسلاف من أصابوكم.

فلا عجب للأسد إن ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم!
فحربة وحشي سقت حمزة الردى ... وموت علي من حسام بن ملجم

(وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) فأنتم الأقوياء في حقكم، ولو كنتم عزلا مجردين من كل سلاح مادي، وأعداؤكم هم الضعفاء في باطلهم، مهما كان بحوزتهم من قوة مادية وسلطان أرضي!! .

فأنتم الأعلون بإيمانكم الصادق، وعقيدتكم الراسخة، وهم الأدنون الأذلون مهما تبجحوا بباطلهم وتسلحوا، أنتم الأقوياء الشرفاء، وهم الضعفاء الحقراء الذين تحطمت كل قواهم الأرضية على صلابة إيمانك وقوة عقيدتكم.

إن المؤمن هو الأعلى دائما، والأعز في كل حين، حتى وهو يعاني الأسر، ويكابد القهر (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

فالقوة الطغيانية مهما تجبرت وتكبرت، تبقى عاجزة عن السيطرة علي الضمائر والسرائر، إذا كانت عامرة بالإيمان، مستنيرة بالقرآن.

وهذا سر صمود أصحاب الإيمان في كل زمان ومكان؛ فهو سر صمود أصحاب الأخدود وهم يتقحمون في النار التي أوقدها لهم الكفار فرحين مستبشرين، حتى إذا ما ترددت منهم امرأة كانت تحمل رضيعها، نطق الطفل وكلمها في المهد قائلا: أدخلي يا أماه فإنك على الحق!!.

وهو سر صمود بلال رضي الله عنه تحت سياط الجلد، والحجارة المحماة التي كانت توضع على صدره في بطحاء مكة الحارقة، فكان يطفئ ذلك اللهيب ببرد (أحد..أحد!!).

وهكذا شأن حملة الرسالة, وقادة الدعوة، وأصحاب الحق في كل زمان ومكان، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يقول أثناء محنته وما عاناه وكابده على يد أعدائه: ماذا يفعل أعدائي بي ؟ إن سجنوني فسجني خلوة، وإن نفوني فنفيي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة!!.

وكان عندما يغلق عليه باب السجن يتمثل بقول الله عز وجل: (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب).

والأستاذ سيد قطب رحمه الله كان ينادي بهذه الحقيقة الإيمانية العظيمة، يستحث بها الهمم، ويوقظ العزائم، فصاغها نشيدا يتردد على ألسنة المؤمنين القابعين في سجون الطغاة والظالمين:

أخي أنـــت حر وراء السدود   أخي أنت حر بتلك القيود
إذا كـــنت بالـــله مستعصماً   فماذا يضـــيرك كيد العبيد

أيها الأبطال الأحرار لا تؤاخذوا أمتكم بذنب أنها لم تسع في فكاك أسركم، ولم تبذل النفس والنفيس من أجل إطلاق سراحكم، حتى تعودوا مكرمين لبلادكم وذويكم، تخلع عليكم خلع التكريم، وتمنحون أوسمة الشرف التي تليق بأبطال مثلكم دفعوا ما دفعوا من ألم حسي ونفسي، وتحملوا ما تحملوا، وعانوا ما عانوا، وقدموا ما قدموا من تضحية وبذل في الذود عن كرامة الأمة، والدفاع عن شرفها، والقتال دون حرماتها!! .

لا تتهموا أمتكم بموت الضمير، ولا بفقدان الشعور، ولا بأنها لم تعد عندها بقية من رحمة إنسانية، أو حمية وطنية، أو نخوة (ولو جاهلية) عندما لم تحركها أنات أمهاتكم المكلومة، ولا دموع ذريتكم المفجوعة، ولا آهات زوجاتكم المظلومة!! .

ولا تقولوا كان بإمكانها إن لم تكن معنا، أن لا تكون ضدنا، فلا تساهم في الحملة الكفرية ضدنا، ولا تسلم من وجدته منا لأعدائنا على الأقل !!! .

ولا تقولوا كان بإمكانها إن لم تعاملنا معاملة المجاهدين المكرمين، أن تطالب بأن نعطى ولو بعض حقوق المجرمين!! .

ولا تقولوا كان بإمكانها أن لا تكون أسوأ موقفاً من بعض المنظمات الصليبية التي لم تستطع أمام فظاعة مأساتنا إلا أن ترفع صوتها في وجه الوحشية الأمريكية التي نعامل بها!! .

لا تقولوا شيئا من ذلك أبدا، ولا تؤاخذوا أمتكم بشيء من ذلك !! ؛ لأن أمتكم في حالة تستحق عليها من الشفقة والرثاء، أكثر مما تستطيع تحمله من المؤاخذة والعتاب!!.

إن أمتكم في حالة اختطاف وقهر، ووضع اعتقال واسر، هو أسوأ بكثير من الوضع الذي أنتم فيه في (غوانتنامو)!!

فحالكم في (غوانتنامو) الصغير أحسن ألف مرة من حالها في (غوانتنامو) الكبير!! .

فأنتم رغم كل المعاناة، تُذِلون بصمودكم سجانيكم كل يوم، وتستعلون بإيمانكم على أعدائكم كل ساعة، وتفرضون عليهم بذلك احترامكم وتقديركم في قرارة أنفسهم، ويدفعون ثمن أسركم كل يوم، ويحسبون لكم ألف حساب وحساب.

أما حكام هذه الأمة المأسورة المقهورة، و بعض المسلمين من أصحاب الفطر المنكوسة، فهم يقبلون الأيدي التي تصفعهم كل صباح، ويمسحون الأحذية التي تدوسهم كل مساء، وينفقون بسخاء على سجانيهم وجلاديهم، بعد أن تطوعوا هم ببناء السجن الذي يقبعون فيه، وبناء وتوسعة القواعد العسكرية التي تحمي (غوانتنامو) الكبير هذا !! .

وهم يعتبرون وجودهم في هذا لسجن الكبير نعمة من سيد السجن، ومنة من السجان الذي سمح لهم بدخوله، والإقامة فيه، والتمتع بالحماية التي يحصل عليها نزلاء هذا السجن!!.

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم !!

إن من الإجحاف بمن هذه حاله في الأسر والقهر الاختياري، أن يطالب بتحرير غيره في الأسر الإجباري.!

ولا تستغربوا من هذه الحقائق المؤلمة !! ولا تقولوا كيف يكون هنالك سجن اختياري يرفض السجناء والخروج منه، ويدفعون كل غال ونفيس حتى لا يخرجهم السجان منه؟ .

إن النفوس الذليلة، والهمم العليلة، عندما تتعود على الذل والمهانة، وتألف الاستخذاء والحقارة، تنتكس فطرتها، فيصبح عندها نفور من كل ما لم تألفه من معاني العزة والكرامة، والقيادة والإمامة، والنخوة والشهامة!!.

فهي لا تقبل بالحرية والسيادة، ولا بالريادة والقيادة، ولو قُدّمت لها دون أي بذل أو تضحية، فضلا عن أن تسعى لها بما تستحق من بذل وعطاء، وتضحية وفداء!!.

ومثال هذا الحيوانات الداجنة التي ألفت أن تكون تحت تسخير الإنسان مثل الدجاج، فلو حاول الإنسان طردها لتعيش حرة طليقة في البراري مع أخواتها البرية لما قبلت ذلك، ولو قبلت لماتت من الجوع العطش، لأنها لم تعرف

حياة الحرية والاستقلال!! .

وكذلك الخفافيش التي تعودت على الحياة في الظلام، فإنها تعمى عند رؤيتها للضوء!! .

وهذا المعني هو الذي أشار إليه الشاعر أبو الطيب المتنبي بقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لــجرح بمـــيت إيلام!!

أنتم أيها الصامدون في (غوانتنامو) الصغير، أنتم الذين ستحررون الأمة من (غوانتنامو) الكبير، وتعيدون لها ما ضيعت من كرامتها، وفرطت فيه من عزتها!! .

أنتم والصادقون من أبناء هذه الأمة الأوفياء، ومن إخوانكم الذين لن يقر لهم قرار حتى يخرجوكم من الأسر بقوة السيف وعون القهار، أنتم الذين بعد توفيق الله ستتحرر بكم الأمة من الأسر، وينجبر بكم الكسر ويزول بكم القهر.

ولكن بعدما يتحقق ما أراد لكم الله من خير في محنتكم هذه، وكم من منحة إلهية جاءت في صورة محنة!! (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

3ــ تفاءلوا واستبشروا فالنصر قادم[1]:

(بالأمل لا بالألم.. باليقين لا بالقنوط.. بالثقة لا باليأس.. بالعزيمة لا بالخور.. بالإصرار لا بالتراجع.. أبعثها صرخة حق مدوية ورسالة تشق جدار الصمت ، وتنير دياجير الظلام، وتتحدى جموع الظلم رسالةً غريب في غربته إلى: الأسد الرابض في عرينه.. إلى البطل الثابت رغم العذاب.. إلى الصامد رغم قهر الجلاد.. إلى الأبي في زمن الخضوع.. إلى الشامخ في زمن الانبطاح.. إلى الرافض ذل العبيد.. إلى الحر وراء قضبان الحديد.. إلى من أبى الانحناء إلا للواحد المولى المجيد.

أخي الأسير(الحر):

أخي أنت حر وراء الســـدود أخـــي أنت حر بتلك القيـــود

إذا كنت بــالله مستعصـــمـــاً فماذا يضيرك كيـــد العبيد؟!

نعم أخي ماذا يضيرك كيد العبيد وأنت تعلم أن الحرية الحقيقية هي أن يعيش الإنسان لدينه وعقيدته ومبدئه، أن يعيش رافع الرأس، شامخ الجبين، عزيز النفس، يومه أفضل من أمسه، وغده أفضل من يومه ولو لاقى في سبيل ذلك ما لاقى. أما من يريد أن يعيش الحياة لمجرد الحياة، وأن يحي بلا مبدأ، وأن يموت بلا هدف فهو لا يعدو أن يكون كائناً حياً من الكائنات على هذه الأرض (ولتجدهم أحرص الناس على حياة) أية حياة! ولو كانت حياة الذل!! حياة الهوان!! حياة الاستكانة والخضوع!! أما أنت فقد رفضت إلا أن تكون عزيزاً والعزيز يصارع الأهوال

[1] مقال بعنوان (رسالة من غريب إلى أسير) بقلم فضيلة الشيخ سليمان أبو غيث.

ويركب الصعاب لتحقيق عزته ولو لم يكن إلا الموت ثمناً لتلك العزة فإنه لن يتردد أن يتجرع كأسه ولسان حاله ومقاله يردد:

أتحسب المجد تمراً أنت آكله؟! لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

أخي الأسير(الحر):

إن قيودك هي المفاتيح التي فكت أغلال أمة بأكملها فعرفت الأمة كلها أن هناك رجالاً يفنون أغلى لحظات أعمارهم في سبيل عزها، ويحرقون أوراق أعمارهم ليضيئوا طريقها، ويخنقون حريتهم لتتنفس وتشتم عبق حريتها. رجالاً آثروا قيود الحديد على قيود الحرير ما دام في الأخرى الرضا على الذل، والسكوت عن الحق، وغض الطرف عن الظلم، والتسليم لحكم الطاغوت، والقعود عن محاربة من اعتدى على ديننا وعقيدتنا وأعراضنا ومقدساتنا. رجالاً يرون المحنة منحة، والسجن خلوة، والنفي من البلاد سياحة، والقتل في سبيل الله شهادة يرون ذلك حقيقة لا خيالاً، وواقعاً لا تنظيراً، وعملاً لا قولاً، وممارسة لا ادعاءً.

أخي الأسير(الحر):

إن الله إذا أحب عبده أصاب منه وابتلاه، ومن نحن حتى ينظر الله إلينا فيصب منا؟! (فيكون منا الطريد ومنا الشريد ومنا الخائف ومنا الأسير ومنا الكسير ومنا ومنا...) إن هذا محض فضله عز وجل. قال تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه) ولقد كان الصالحون من سلف هذه الأمة المهتدون يفرحون بالبلاء كما يفرح غيرهم بالعافية وما ذاك إلا لأنهم يعلمون أنه علامة حب المولى عز وجل.

أخي الحبيب:

إن لك في الأنبياء ومن سار على هديهم وطريقهم أسوة وقدوة حسنة وتسلية لمصابك. فهاهو موسى عليه السلام يدخل حياة النفي والمطاردة والخوف والترقب سنين طويلة لتكون له بعد ذلك العاقبة على فرعون وملئه، وهاهو يوسف عليه السلام يدخل مدرسة السجن ظلماً وزوراً ليخرج منها ملكاً على خزائن الأرض ويجمع الله بينه وبين أبويه وأخوته، وهاهو النبي يدخل الحصار الجائر ثلاث سنين ليخرج فاتحاً منتصراً يرى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وهاهو أحمد بن حبل رحمه الله يدخل السجن وينهك جسده من الجلد ليحفظ على الأمة عقيدتها فيكون بذلك إماماً يقتدى به، وهاهو ابن تيمية يحبس في القلعة لا يرى النور (يتعرف على مواقيت الصلاة من مواعيد الطعام) لينال بذلك شرف الإمامة في الدين فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ولن يمكّن الإنسان حتى يبتلى كما قال الإمام الشافعي رحمه الله. (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ، وأنت أيها البطل الحر ستخرج من سجنك وأسرك ــ بإذن الله تعالى ــ ولكن عزيزاً منتصراً، حراً أبياً فالانتصار الحقيقي هو انتصار الروح.. انتصار العقيدة.. انتصار المبادئ والقيم إنه الانتصار الحقيقي في الحياتين الدنيا والآخرة (وعد الله الذين آمنوا وعملوا

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) وقال سبحانه (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يردون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

ولو مت في أسرك فماذا يضيرك فإنما هو ما خرجت من أجله الشهادة في سبيل الله فماذا سيفعل بك أعداءك؟!

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

أخي الأسير(الحر):

إن هذا الدين يطلب منا الكثير ويريد منا الكثير مهجاً تبذل، وأرواحاً تزهق، وأوقاتا تنفق، وأموالاً تضيع وترك لمحبوبات النفس من المال والأهل والولد وما ذاك إلا لتحقيق الغاية العظمى والهدف الأسمى وهو التمكين لدين الله ولا يستطيع أن يتحمل كل تلك التكاليف إلا أنت وأمثالك ممن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ومن فهم غير هذا الفهم أو ظن غير هذا فليقرأ قوله تعالى (قل إن كان ءاباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

يقول العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله: (وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون، لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا لمحنة، لهم النعيم الحاضر والغد المضمون !، إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم في سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة، ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتلف والكساد ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح (قالوا يا صالح لقد كنت فينا مرجواً قبل هذا) إنه لا بقاء للإنسانية ولا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، وبشقاء هذه الحفنة من البشر ـــ كما يعتقد كثير من معاصريهم ـــ تنعم الإنسانية وتسعد الأمم، ويتحول تيار العالم من الشر إلى الخير. ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد وتنجو نفوس وأرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم..... إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم، تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرهما، ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها اكبر منهم نفساً وأوسع فكراً، بل كان الشاعر الجاهلي " امرؤ القيس" أعلى منهم همة إذ قال:

ولو أني أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلاً من المال.
ولكنمـــا أسعى لمجـــد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثـــالي.

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم. إن الأرض لفي

حاجة إلى سماد وسماد أرض البشرية التي تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هي الشهوات والمطامع الفردية؛ التي يضحي بها الشباب في سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم، وانتقال الناس من الطريق المؤدية على جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة.

إنه لثمن قليل جدا لسلعة غالية جدا) أهـــ.

أخي الأسير(الحر):

نحن ــ في أسر الغربة وقيودها وحياة الخوف والترقب ــ وأنت ــ في أسر العدو وقيوده ــ كلنا يحترق ليضئ للإسلام، ويخسر ليربح الإسلام، ويضحي ليمكّن الإسلام، ويموت ليحيا الإسلام، ويخاف ليأمن أهل الإسلام. فكن يا أخي متفائلاً فالمستقبل لهذا الدين.. كن مستبشراً فالنصر للمسلمين.. كن واثقاً فالعاقبة للمتقين.. كن مستيقناً فالله لا يضيع أجر المحسنين.. كن صابراً (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب).

متفائــــل واليأس بالمرصاد
متفائــــل رغم القنوط يذيقنا
متفائل بالغيث يسقي أرضنا
متفائل بالزرع يخرج شطأه
متفائل يا قوم رغم دموعكم
والبحر يَبقى خيره أتضـــــره
فدعوا العدو بمكره وذيولـــــه
متفائل بشرى النبي قريبـــــة
قسماً بمن أسرى بخير عباده
لتـــــدور دائرة الزمان عليهم
هذا يقيني وهو لي بل الصدا
فاجعل يقينك بالإلـــــه حقيقة
متفائل بالسبق دون جيـــــاد
جمر السياط وزجرة الجلاد
وسماؤنا شمس وصحو بـــــاد
رغم الجراد ومنجل الحصاد
إن السما تبكي فيحيا الوادي
يا قومنا سنارة الصيـــــاد ؟!
نمل يدب بغابة الآســـــــــاد

فغداً سنبصر طلعة الأمجاد
وقضى بدائرة الهلاك لعاد
ويكون حقاً ما حكاه الهادي
والكأس غامرة لغلة صادي
واصنع بكفك صارماً لسداد

أخي الأسير(الحر):

أخيراً أبعث بكلمة للأمة الإسلامية لأقول لها ولست بذلك مستجدياً أو متمنياً بل طالباً لحق شرعي تأثم الأمة كلها إن لم يقم منها من يحققه ألا وهو الجهاد من أجل فك أسرى المسلمين فإنه يجب الجهاد على الأمة ويتعين إذا وقع مسلم بأسر الكفار فكيف ومئات من المؤمنين الصادقين والمجاهدين المحتسبين أسرى بيد الكفار ؟! كيف يهنأ مسلم بشراب أو يستلذ بطعام أو يغمض له جفن وإخوانه في العقيدة يسامون سوء العذاب ويلاقون ألوان الذل والهوان على أيدي الأنجاس وأراذل الخلق؟! .

أما سأل كل مسلم نفسه لماذا يلاقي هؤلاء ما يلاقون؟ أما استشعر كل مسلم أنه لو كان مكان أخيه الأسير بماذا سيفكر وماذا سيطلب؟ انسينا قول الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ..) ، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا أنسينا قول النبي اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ؟ أم أن الكفار نجحوا بتمزيقنا عقدياً كما نجحوا في تمزيقنا جغرافياً؟؟!! أنسينا ما قام به هارون الرشيد لما جاءته رسالة امرأة مسلمة أسرها الروم ؟ أم هل لم ننتبه لما يفعله الكفار وما يقومون به من حركة دءوب وإخلاص كبير في سبيل إنقاذ أسراهم ورهائنهم؟ أيكون الكفار أرحم ببعضهم البعض منا نحن المسلمين ببعضنا البعض؟ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

فإلى كل مؤمن ومؤمنة ، إلى كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، إلى كل من يحسب حساباً ليوم الحساب إن إخوانكم المجاهدين الأسرى أمانة بأعناقكم جميعاً وستسألون عنهم بين يدي الله عز وجل فماذا أنتم قائلون؟؟.

أما نحن أخي الأسير الحر فلن يقر لنا قرار حتى نراك بيننا حراً طليقاً بإذن الله عز وجل).

4ــ تأملوا رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية لطلابه وهو في حبس الإسكندرية ففيها معاني رائعة:

رِسَالَةٌ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ــ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ ــ إلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ فِي حَبْسِ الإسكندرية قَالَ[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ). وَاَلَّذِي أُعَرِّفُ بِهِ الْجَمَاعَةَ أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي

[1] مجموع الفتاوى (30/28-46).

الآخِرَةِ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ فَإِنِّي ـــ وَاَللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لا إلَهَ إلا هُوَ ـــ فِي نِعَمٍ مِنْ اللَّهِ مَا رَأَيْت مِثْلَهَا فِي عُمْرِي كُلِّهِ وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَبْوَابِ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ وَخَزَائِنِ جُودِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْبَالِ ; وَلا يَدُورُ فِي الْخَيَالِ مَا يَصِلُ الطَّرْفُ إلَيْهَا يَسَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى صَارَتْ مَقَاعِدَ وَهَذَا يَعْرِفُ بَعْضَهَا بِالذَّوْقِ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحَقَائِقِ الإِيمَانِ وَمَا هُوَ مَطْلُوبُ الأَوَّلِينَ وَالآخرين مِنْ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ.
فَإِنَّ اللَّذَّةَ وَالْفَرْحَةَ وَالسُّرُورَ وَطِيبَ الْوَقْتِ وَالنَّعِيمَ الَّذِي لا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ إنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ وَانْفِتَاحِ الْحَقَائِقِ الإِيمَانِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْقُرْآنِيَّةِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ:لَقَدْ كُنْت فِي حَالٍ أَقُولُ فِيهَا: إنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ إنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وَقَالَ آخَرُ: لَتَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ الآخِرَةِ إلا نَعِيمَ الإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (أَرِحْنَا بِالصَّلاةِ يَا بِلالُ)
وَلا يَقُولُ: أَرِحْنَا مِنْهَا كَمَا يَقُولُهُ مَنْ تَثْقُلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ)
وَالْخُشُوعُ : الْخُضُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالسُّكُونُ وَالطُّمَأْنِينَةُ إلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ .
وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (حُبِّبَ إلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ) ثُمَّ يَقُولُ: (وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ) وَلَمْ يَقُلْ: (حُبِّبَ إلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ) كَمَا يَرْفَعُهُ بَعْضُ النَّاسِ بَلْ هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَد وَالنسائي أَنَّ الْمُحَبَّبَ إلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ. وَأَمَّا قُرَّةُ الْعَيْنِ تَحْصُلُ بِحُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَذَلِكَ فِي الصَّلاةِ.

وَالْقُلُوبُ فِيهَا وَسْوَاسُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بِالشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ طِيبَ عَيْشِهَا فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ; إنْ نَالَ مُرَادَهُ عُذِّبَ بِهِ ; وَإِنْ لَمْ يَنَلْهُ فَهُوَ فِي الْعَذَابِ وَالْحَسْرَةِ وَالْحُزْنِ.
وَلَيْسَ لِلْقُلُوبِ سُرُورٌ وَلا لَذَّةٌ تَامَّةٌ إلا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ وَلا تُمْكِنُ مَحَبَّتُهُ إلا بِالإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ سِوَاهُ وَهَذَا حَقِيقَةُ لا إلَهَ إلا اللَّهُ وَهِيَ مِلَّةُ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام وَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلاةُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لأَصْحَابِهِ: (قُولُوا: أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ وَكَلِمَةِ الإِخْلاصِ وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَمِلَّةِ أَبِينَا إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ).
(وَالْحَنِيفُ) لِلسَّلَفِ فِيهِ ثَلاثُ عِبَارَاتٍ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: مُسْتَقِيمًا. وَقَالَ عَطَاءٌ: مُخْلِصًا. وَقَالَ آخَرُونَ: مُتَّبِعًا. فَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْقَلْبِ إلَى اللَّهِ دُونَ مَا سِوَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَاسْتَقِيمُوا إلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ)
وَقَالَ تَعَالَى : (إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلا يَسْرَةً . فَلَمْ يَلْتَفِتُوا بِقُلُوبِهِمْ إلَى مَا سِوَاهُ لا بِالْحُبِّ وَلا بِالْخَوْفِ وَلا بِالرَّجَاءِ ; وَلا بِالسُّؤَالِ ; وَلا بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ; بَلْ لا يُحِبُّونَ إلا اللَّهَ وَلا يُحِبُّونَ مَعَهُ أَنْدَادًا وَلا يُحِبُّونَ إلا إيَّاهُ ; لا لِطَلَبِ مَنْفَعَةٍ وَلا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ وَلا يَخَافُونَ غَيْرَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَلا يَسْأَلُونَ غَيْرَهُ وَلا يَتَشَرَّفُونَ بِقُلُوبِهِمْ إلَى غَيْرِهِ.
وَلِهَذَا (قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعُمَرَ رضي الله عنه: مَا أَتَاك مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ سَائِلٍ وَلا مُتَشَرِّفٍ فَخُذْهُ وَمَا لا فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَك) فَالسَّائِلُ بِلِسَانِهِ وَالْمُتَشَرِّفُ بِقَلْبِهِ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ صلى

الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ; وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللَّهُ ; وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ)مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِه. فَالْغِنَى فِي الْقَلْبِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ ; وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ).(وَالْعَفِيفُ) الَّذِي لا يَسْأَلُ بِلِسَانِه لا نَصْرًا وَلا رِزْقًا قَالَ تَعَالَى: (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إنِ الْكَافِرُونَ إلا فِي غُرُورٍ) (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ). وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)وَقَالَ تَعَالَى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)إلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) أَيْ: لا فِي ذَاتِه وَلا فِي صِفَاتِه ; وَلا فِي أَفْعَالِه فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِه لِعَبْدِه وَتَيْسِيرِه لَهُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ مِنْ الْهُدَى لِلْقُلُوبِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَالتَّبْصِيرِ: يَدْفَعُ عَنْهُ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ مَا لا تَبْلُغُ الْعِبَادُ قَدْرَهُ. وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) إلَى آخِرِ الآيَةِ. وَأَكْثَرُ النَّاسِ لا يَعْرِفُونَ حَقَائِقَ مَا جَاءَ بِه ; إنَّمَا عِنْدَهُمْ قِسْطٌ مِنْ ذَلِكَ.(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) وَالْجِهَادُ يُوجِبُ هِدَايَةَ السَّبِيلِ إلَيْه.

وَقَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

فَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ حَسْبُهُ ; أَيْ كَافِيه وَهَادِيه وَنَاصِرُهُ ; أَيْ : كَافِيه كِفَايَتَهُ وَهِدَايَتَهُ وَنَاصِرُهُ وَرَازِقُهُ .

فَالإِنْسَانُ ظَالِمٌ جَاهِلٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ)إلَى قَوْلِه: (ظَلُومًا جَهُولاً) وَإِنَّمَا غَايَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِه الْمُفْلِحِينَ وَجُنْدِه الْغَالِبِينَ التَّوْبَةُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) وَتَوْبَةُ كُلِّ إنْسَانٍ بِحَسَبِه وَعَلَى قَدْرِ مَقَامِه وَحَالِه. وَلِهَذَا كَانَ الدِّينُ مَجْمُوعًا فِي التَّوْحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ قَالَ تَعَالَى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إلَهَ إلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ).قَالَ تَعَالَى: (فَاسْتَقِيمُوا إلَيْه وَاسْتَغْفِرُوهُ). وَقَالَ تَعَالَى (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْه) فَفِعْلُ جَمِيعِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكُ جَمِيعِ الْمَحْظُورَاتِ يَدْخُلُ فِي التَّوْحِيدِ فِي قَوْلِ: لا إلَهَ إلا اللَّهُ ; فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ الطَّاعَاتِ لِلَّهِ وَيَتْرُكْ الْمَعَاصِيَ لِلَّه: لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ عَمَلَهُ قَالَ تَعَالَى: (إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ تَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ ; وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّه تَخَافُ عَذَابَ اللَّه.

وَلا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ بِحَسَبِ حَالِه. وَالْعَبْدُ إذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْه بِالتَّوْحِيدِ فَشَهِدَ أَنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِه ـــ الإِلَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ غَايَةَ الْحُبِّ وَالْعُبُودِيَّةِ بِالإِجْلالِ وَالإِكْرَامِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ يَفْنَى الْقَلْبُ بِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حُبِّ مَا سِوَاهُ وَدُعَائِه وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْه وَسُؤَالِه عَمَّا سِوَاهُ وَبِطَاعَتِه عَنْ طَاعَةِ مَا سِوَاهُ ـــ لاهُ اللَّهُ بِالأَمْنِ وَالسُّرُورِ وَالْحُبُورِ وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ ; وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّه ; فَهُوَ يُجَاهِدُ وَيَرْحَمُ. لَهُ الصَّبْرُ وَالرَّحْمَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) وَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ قَوِيَ إيمَانُهُ وَطُمَأْنِينَتُهُ وَتَوَكُّلُهُ وَيَقِينُهُ.

وَالْخَوْفُ الَّذِي يَحْصُلُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ).

وَكَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ فِي قِصَّةِ الْخَلِيلِ عليه السلام: (أَتُحَاجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي إلَى قَوْلِهِ: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) .وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ). فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ رِيَاسَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَفِيهِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

فَلَمَّا خَوَّفُوا خَلِيلَهُ بِمَا يَعْبُدُونَهُ وَيُشْرِكُونَ بِهِ ــ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ كَالْعِبَادَةِ ــ قَالَ الْخَلِيلُ: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يَقُولُ: إنْ تُطِيعُوا غَيْرَ اللَّهِ وَتَعْبُدُوا غَيْرَهُ وَتُكَلِّمُون فِي دِينِهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا: فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ أَيْ تُشْرِكُونَ بِاللَّهِ وَلا تَخَافُونَهُ وَتُخَوِّفُونِي أَنَا بِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ الأَمْنَ إلَى قَوْلِهِ: (أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) أَيْ: هَؤُلاءِ الْمُوَحِّدُونَ الْمُخْلِصُونَ وَلِهَذَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَد لِبَعْضِ النَّاسِ: لَوْ صَحَحْت لَمْ تَخَفْ أَحَدًا.

وَلَكِنْ لِلشَّيْطَانِ وَسْوَاسٌ فِي قُلُوبِ النَّاسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)إلَى قوله تعالى: (إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إلا يَخْرُصُونَ).

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ لا بُدَّ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوَسْوِسُونَ الْقَوْلَ الْمُزَخْرَفَ وَنَهَى أَنْ يَطْلُبَ حُكْمًا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً) وَالْكِتَابُ: هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنَ النَّاسِ شَرْعًا وَدِينًا وَيَنْصُرُ الْقَائِمَ نَصْرًا وَقَدَرًا. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ). وَقَالَ تَعَالَى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) إلَى قَوْلِهِ: (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ). وَقَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا بَكرِ:ا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) إلَى قَوْلِهِ: (إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) وَ (الْمِيزَانُ) هوَ: الْعَدْلُ وَمَا بِهِ يُعْرَفُ الْعَدْلُ وَأَنْزَلَ الْحَدِيدَ لِيَنْصُرَ الْكِتَابَ ; فَإِنْ قَامَ صَاحِبُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَعِيدًا مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْكِتَابَ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ; وَانْتَقَمَ مِمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ) إلَى قَوْلِهِ: (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).(وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم لأَبِي بَكْرٍ : (إنَّ اللَّهَ مَعَنَا) وَقَالَ تَعَالَى :(إنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) وَقَالَ تَعَالَى :(إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وَكُلُّ مَنْ وَافَقَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم فِي أَمْرٍ خَالَفَ فِيهِ غَيْرَهُ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ذَلِكَ ; وَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ : (لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ؛ فَإِنَّ الْمَعِيَّةَ الإِلَهِيَّةَ الْمُتَضَمِّنَةَ لِلنَّصْرِ هِيَ لِمَا جَاءَ بِهِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ; وَهَذَا قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ ذَلِكَ وَجَرَّبْنَا مَا يَطُولُ وَصْفُهُ .

وَقَالَ تَعَالَى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ)إلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ). وَقَالَ تَعَالَى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) فَمَنْ شَنَأَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فَلَهُ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ ; وَلِهَذَا قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ لَمَّا قِيلَ لَهُ : إنَّ بِالْمَسْجِدِ أَقْوَامًا يَجْلِسُونَ وَيَجْلِسُ النَّاسُ إلَيْهِمْ فَقَالَ : مَنْ جَلَسَ لِلنَّاسِ جَلَسَ النَّاسُ إلَيْهِ ; لَكِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَبْقَوْنَ وَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ وَأَهْلَ الْبِدْعَةِ يَمُوتُونَ وَيَمُوتُ ذِكْرُهُمْ . وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ شَنَئُوا بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فَأَبْتَرَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ

وَالَّذِينَ أَعْلَنُوا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَصَارَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ قوله تعالى:) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) فَإِنَّ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَابِعِينَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إيمَانِهِمْ . فَمَا كَانَ مِنْ خَصَائِصِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فَلَمْ يُشَارِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ وَمَا كَانَ مِنْ ثَوَابِ الإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ نَصِيبٌ بِقَدْرِ ذَلِكَ. وَاَللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ ; وَبِالْيَدِ وَاللِّسَانِ ; وَهَذَا إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ; لَكِنَّ الْجِهَادَ الْمَكِّيَّ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ ; وَالْجِهَادَ الْمَدَنِيَّ مَعَ الْمَكِّيِّ بِالْيَدِ وَالْحَدِيدِ قَالَ تَعَالَى: (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) وَ سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَإِنَّمَا جَاهَدَهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْبَيَانِ ; وَلَكِنْ يَكُفُّ عَنْ الْبَاطِلِ وَإِنَّمَا قَدْ بَيَّنَ فِي الْمَكِّيَّةِ. وقالَ تَعَالَى: (حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ).وَقَالَ تَعَالَى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) .وَقَالَ تَعَالَى: (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) إلَى قَوْلِهِ: (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ.

وَالنَّاسُ رَجُلانِ: رَجُلٌ يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ بِهِ مُطِيعُهُ ; فَهَذَا لا بُدَّ أَنْ يُمْتَحَنَ حَتَّى يُعْلَمَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ.

وَرَجُلٌ مُقِيمٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ; فَهَذَا قَدْ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ فَلا يَظُنُّ أَنْ يَسْبِقُونَا بَلْ لا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَهُمْ.

وَمَا لأَحَدٍ مِنْ خُرُوجٍ عَنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ. قَالَ تَعَالَى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) إلَى قَوْلِهِ: (لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) .فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ حَالَ مَنْ يُجَادِلُ فِي الدِّينِ بِلا عِلْمٍ ; وَالْعِلْمُ: هُوَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ: السُّلْطَانُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ) ؛ فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم كَانَ مُتَكَلِّمًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَمَنْ تَوَلاهُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إلَى عَذَابِ السَّعِيرِ وَمَنْ انْقَادَ لِدِينِ اللَّهِ فَقَدَ عَبَدَ اللَّهَ بِالْيَقِينِ بَلْ إنْ أَصَابَهُ مَا يَهْوَاهُ اسْتَمَرَّ وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يُخَالِفُ هَوَاهُ رَجَعَ وَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ وَ الْحَرْفُ هُوَ : الْجَانِبُ كَحَرْفِ الرَّغِيفِ وَحَرْفِ الْجَبَلِ لَيْسَ مُسْتَقِرًّا بِثَبَاتٍ (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) فِي الدُّنْيَا (اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) أَيْ : مِحْنَةٌ امْتُحِنَ بِهَا (انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) وَحَرْفُ الْجَبَلِ لَيْسَ مُسْتَقِرًّا بِالثَّبَاتِ مَعْنَاهُ : خَسِرَ الدُّنْيَا بِمَا امْتُحِنَ بِهِ وَخَسِرَ الآخِرَةَ بِرُجُوعِهِ عَنْ الدِّينِ

(يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ) الآيَةَ . أَيْ: يَدْعُو الْمَخْلُوقِينَ ; يَخَافُهُمْ وَيَرْجُوهُمْ وَهُمْ لا يَمْلِكُونَ لَهُ ضَرًّا وَلا نَفْعًا بَلْ ضَرُّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ ; وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ أَسْلَمَ وَكَانَ مُشْرِكًا فَحُكْمُهَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ تَنَاوَلَهُ لَفْظُهَا وَمَعْنَاهَا إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَكُلُّ تَعَالَى: غَيْرَ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَالْعِيَانُ يُصَدِّقُ هَذَا فَإِنَّ الْمَخْلُوقِينَ إذَا اشْتَكَى إلَيْهِمُ الإِنْسَانُ فَضَرَرُهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ وَالْخَالِقَ جَلَّ جَلالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَلا إلَهَ غَيْرُهُ إذَا اشْتَكَى إلَيْهِ الْمَخْلُوقُ وَأَنْزَلَ حَاجَتَهُ بِهِ وَاسْتَغْفَرَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ: أَيَّدَهُ وَقَوَّاهُ وَهَدَاهُ وَسَدَّ فَاقَتَهُ وَأَغْنَاهُ وَقَرَّبَهُ وَأَقْنَاهُ وَحَبَّهُ وَاصْطَفَاهُ وَالْمَخْلُوقُ إذَا أَنْزَلَ الْعَبْدُ بِهِ حَاجَتَهُ اسْتَرْذَلَهُ وَازْدَرَاهُ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ وَإِنْ قَضَى لَهُ بِبَعْضِ مَطْلَبِهِ ; لأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ بَعْضِ رَعَايَاهُ يَسْتَعْبِدُهُ بِمَا يَهْوَاهُ قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ: (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .وَقَالَ تَعَالَى : (إنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا

الَّذي يَنْصُرُكُمْ منْ بَعْده وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) وَقَالَ تَعَالَى : (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنينَ).

وَهَذَا بَابٌ وَاسعٌ قَدْ كَتَبْت فيه شَيْئًا كَثيرًا وَعَرَفْته: علْمًا وَذَوْقًا وَتَجْرِبَةً.

فَصْلٌ

وَفي الْجُمْلَة مَا يُبَيِّنُ نعَمَ اللَّه الَّتي أَنْعَمَ بهَا عَلَيَّ وَاللَّذَّات. الْمَكَان أَعْظَمُ قَدْرًا وَأَكْثَرُ عَدَدًا مَا لا يُمْكنُ حَصْرُهُ وَأَكْثَرُ مَا يَنْقُصُ عَلَيَّ الْجَمَاعَةُ فَأَنَا أُحبُّ لَهُمْ أَنْ يَنَالُوا منْ اللَّذَّة وَالسُّرُور وَالنَّعيم مَا تَقَرُّ به أَعْيُنُهُمْ وَأَنْ يُفْتَحَ لَهُمْ منْ مَعْرفَة اللَّه وَطَاعَته وَالْجهَاد في سَبيله مَا يَصلُونَ به إلَى أَعْلَى الدَّرَجَات وَأُعَرِّفُ أَكْثَرَ النَّاس قَدْرَ ذَلكَ فَإنَّهُ لا يُعْرَفُ إلا بالذَّوْق وَالْوَجْد لَكنْ مَا منْ مُؤْمنٍ إلا لَهُ نَصيبٌ منْ ذَلكَ وَيَسْتَدلُّ منْهُ بالْقَليلِ عَلَى الْكَثير.أن لا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْكَبيرَ وَأَنَا أَعْرفُ أَحْوَالَ النَّاس وَالأَجْنَاس وَاللَّذَّات . وَأَيْنَ الدُّرُّ منْ الْبَعْر ؟ وَأَيْنَ الفالوذج منْ الدِّبْس ؟ وَأَيْنَ الْمَلائكَةُ منْ الْبَهيمَة أَوْ الْبَهَائم ؟

لَكنْ أَعْرفُ أَنَّ حكْمَةَ اللَّه وَحُسْنَ اختيَاره وَلُطْفَهُ وَرَحْمَتَهُ يَقْتَضي أَنَّ كُلَّ وَاحد يُريدُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَيُجَاهدَ في سَبيله ــ علْمًا وَعَمَلاً بحَسَب طَاقَته ليَكُونَ الدِّينُ للَّه وَيَكُونَ مَقْصُودُ قَوْله:كَلمَةَ اللَّه هيَ الْعُلْيَا وَلا يَكُونُ حُبُّهُ وَبُغْضُهُ وَمُعَادَاتُهُ وَمَدْحُهُ وَذَمُّهُ إلا للَّه ــ لا لشَخْص مُعَيَّن.

وَالْهَادي الْمُطْلَقُ الَّذي يَهْدي إلَى كُلِّ خَيْرٍ ــ وَكُلُّ أَحَد مُحْتَاجٌ إلَى هدَايَته في كُلِّ وَقْت ــ هُوَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم ثُمَّ أَفْضَلُ أُمَّته أَفْضَلُهُمْ مُتَابَعَةً لَهُ وَهَذَا يَكُونُ بالإيمَان وَالْيَقين وَالْجهَاد كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) إلَى قَوْله : (أُولَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ) فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمنَ لا بُدَّ لَهُ منْ ثَلاثَة أُمُورٍ :

أَوَّلُهَا : أَنْ يُؤْمنَ بَاللَّه وَرَسُوله .

وَثَانيهَا: لا يَرْتَابُ بَعْدَ ذَلكَ

أَنْ يَكُونَ مُوقنًا ثَابتًا ; وَالْيَقينُ يُخَالفُ الرَّيْبَ

وَالرَّيْبُ نَوْعَان : نَوْعٌ يَكُونُ شَكًّا لنَقْص الْعلْم . وَنَوْعٌ يَكُونُ اضْطرَابًا في الْقَلْب. وَكلاهُمَا لنَقْص الْحَال الإيمَانيِّ ; فَإنَّ الإيمَانَ لا بُدَّ فيه منْ علْم الْقَلْب وَلَيْسَ كُلُّ مَكَان يَكون الْقُرْآنٌ. يَعْلَمُهُ . وَعَمَلُ الْقَلْب أَوْ بَصيرَتُهُ وَثَبَاتُهُ وَطُمَأْنينَتُهُ وَسَكينَتُهُ وَتَوَكُّلُهُ وَإخْلاصُهُ وَإنَابَتُهُ إلَى اللَّه تَعَالَى وَهَذه الأُمُورُ كُلُّهَا في الْقُرْآن .

فَإنَّ الصَّادقَ مَنْ لا يَقْلَقُ قَلْبُهُ وَالْكَاذبَ يَقْلَقُ قَلْبُهُ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّيْبَ أَعَمُّ منْ الشَّكِّ. وَلهَذَا في الدُّعَاء الْمَأْثُور (اللَّهُمَّ اقْسمْ لَنَا منْ خَشْيَتك مَا تَحُولُ به بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصيَتك)الْحَديثَ إلَى آخره . وَفي الْمُسْنَد والترمذي عَنْ أَبي بَكْرَةَ رضيَ عنه أَنَّهُ قَالَ: (سَلُوا اللَّهَ الْيَقينَ وَالْعَافيَةَ ; فَإنَّهُ لَمْ يُعْطَ خَيْرٌ منْ الْيَقين وَالْعَافيَة فَاسْأَلُوهَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَاءٌ يَقنٌ إذَا كَانَ سَاكنًا لا يَتَحَرَّكُ. فَقَلْبُ الْمُؤْمن مُطَمْئنٌ لا يَكُونُ فيه رَيْبٌ . هَذَا مَعْنَى قَوْله سُبْحَانَهُ وَقَالَ:ى: (إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ في سَبيل

اللَّه أُولَئكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: (أَعْطَى رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم رَهْطًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلاً وَهُوَ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْهُمْ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَك عَنْ فُلان ؟ فَوَاللَّه الله:أَرَاهُ مُؤْمِنًا قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ: إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ).

ثم قال رحمه الله :

وَالْمَقْصُودُ إخْبَارُ الْجَمَاعَة بِأَنَّ نعَمَ اللَّه عَلَيْنَا فَوْقَ مَا كَانَتْ بِكَثِيرِ كَثِيرٍ وَنَحْنُ بِحَمْد اللَّه فِي زِيَادَة مِنْ نعَمِ اللَّه وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ خِدْمَةُ الْجَمَاعَة بِاللِّقَاءِ فَأَنَا دَاعٍ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ; قِيَامًا بِبَعْضِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِمْ ; وَتَقَرُّبًا إلَى اللَّه تَعَالَى فِي مُعَامَلَته فِيهِمْ .

وَالَّذِي آمُرُ بِه كُلَّ شَخْصٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ وَيَعْمَلَ لِلَّه مُسْتَعِينًا بِاَللَّه مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّه. وَيَقْصِدَ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّه هِيَ الْعَلْيَاءَ وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه رب الْعَالَمِينَ. وَغَيْرِه بِحَسَب ذَلِكَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِه وَرَسُولُهُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ; وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ; وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّك وَعَدُوِّهِمْ ; وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلامِ ; وَأَخْرِجْهُمْ مِنْ الظُّلُمَات إلَى النُّورِ ; وَجَنِّبْهُمْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ; وَبَارِكْ لَهُمْ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ مَا أَبْقَيْتهمْ. وَاجْعَلْهُمْ شَاكِرِينَ لِنِعَمِك مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْك ; قَابِلِيهَا وَأَتْمِمْهَا عَلَيْهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ اُنْصُرْ كِتَابَك وَدِينَك وَعِبَادَك الْمُؤْمِنِينَ ; وَأَظْهِرْ الْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْت الْمُؤْمِنِينَ.مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَلَى الدِّينِ كُلِّه. اللَّهُمَّ عَذِّبْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِك وَيُبَدِّلُونَ دِينَك وَيُعَادُونَ الْمُؤْمِنِينَ . اللَّهُمَّ خَالِفْ كَلِمَتَهُمْ وَشَتِّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ; وَاجْعل تدمير الْمُجْرِمِينَ. فِي تَدْبِيرِهِمْ ; وَأَدِرْ عَلَيْهِمْ دَائِرَةَ السَّوْءِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَك الَّذِي لا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . اللَّهُمَّ مُجْرِيَ السَّحَاب وَمُنْزِلَ الْكِتَاب وَهَازِمَ الأَحْزَاب اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ. رَبَّنَا أَعِنَّا وَلا تُعِنْ عَلَيْنَا. وَانْصُرْنَا وَلا تَنْصُرْ عَلَيْنَا وَامْكُرْ لَنَا وَلا تَمْكُرْ عَلَيْنَا ; وَاهْدِنَا وَيَسِّرْ الْهُدَى لَنَا ; وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْنَا. رَبَّنَا اجْعَلْنَا لَك شَاكِرِينَ مُطَاوِعِينَ مُخْبِتِينَ ; أَوَّاهِينَ مُنِيبِينَ. رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا ; وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا ; وَاهْدِ قُلُوبَنَا ; وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا وَاسْلُلْ سَخَائِمَ صُدُورِنَا).

وَهَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ إفْرَادٍ وَصَحَّحَهُ وَهُوَ مِنْ أَجْمَعِ الْأَدْعِيَة بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَلَهُ شَرْحٌ عَظِيمٌ . وَالْحَمْدُ لِلَّه نَاصِرِ السُّنَّة وَخَاذِلِ أَهْلِ الْبِدْعَة وَالْغِرَّة وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه وَصَحْبِه وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا).

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي اكتبه وأبناء المسلمين من المجاهدين الصادقين تتخطفهم أيدي الكفر في كل مكان من شرق الأرض إلى غربها من الكفار الأصليين والكفار المرتدين وأنا مطارد من قبل جند الطاغوت فوالله لقد كتبت مقدمة هذا البحث في مدينة وخاتمته في مدينة أخرى وأرسلته من مدينة أخرى وكما قال الله عز وجل وهو يمتن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابة رسول الله فيقول (واذكروا إذ كنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأوآكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون).

وأنقل لقرائي الأخيار كلام الإمام ابن النحاس رحمه الله في خاتمة كتابه العظيم (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) يقول[1]:

(فممّا على كل مسلم من الحقوق أن يرى ما هو فيه من النعم ويشكر من كان السبب فيها. ويجتهد في الدعاء لمن بذل نفسه في سبيل الله حتى وصل هو مع ضعفه إليها. ويشهد وفور عجزه وقصور همته عن الاقتداء بهم في بذل ماله ومهجته. ويعلم يقيناً أنه لولا من أقامهم الله من الصحابة والتابعين ومن اقتفى سَنَنَهم من الغزاة والمجاهدين , أنصار الدين وحماته , وشجعان الإسلام وكماته رجال الطعن والضرب ، وفاتحو الشرق والغرب ، وما استنجدوه من جنودهم ، وحشدوه من حشودهم ، وما جمعوه من الجحافل الحافلة ، وأنفقوا من الحواصل المتواصلة ، وما دافعوه من القساور القاسرة ، وواقعوه من العساكر الكاسرة ، إلى أن ردوا المرتدين عن ملة الإسلام إليها ، واستنزلوا ملوك الروم والفرس عن أسِرّتهم وعلوا عليها ، واستلبوا ثياب عزهم عن أجسامهم واجتذبوا تيجانهم عن هامهم ، واستعذبوا شرب دمائهم بشفاه شفارهم وألسنة أسنتهم وسهامهم ، ومزقوا منهم الجسوم والرسوم ، وألحقوا الموجود منهم بالمعدوم ، وأدخلوا جموع الباقين منهم ، وإن كانوا ألوف الألوف كثرة في باب القلة ، وأنزلوا شم الأنوف العالين منهم على رغم الأنوف ، أرض الهوان والذلة ، وأقاموا على محصن حصونهم ومدنهم بالمجانيق ، حدود الرجم المشروع ، لَمَا كنا قاطنين في أطلال نعمهم بغمّهم فيها وهمّهم ، ولما عشنا آمنين في ظلال هممهم ، بجودهم بأنفسهم وكرمهم ، إلى أن جهلنا بمؤانسة العوائد اجتهدوا عليه ، وذهلنا عن مقايسة المعاند والخروج إليه ، واستغنينا بما أسدوا إلينا عن شرب كؤوس الحتوف ، في الاكتساب بالرماح والسيوف واستعنَّا بالرفاهية في ذلك والنعيم ، على منع ما أوجبه البيع القديم علينا من التسليم ، وقنعنا بما نحن فيه من الأنشاب والأسباب وغبطنا أنفسنا بالزائل من المنازل والأحباب ، وركنا إلى الدنيا ، ركون الظمآن إلى شراب السراب ، وسكنا إلى دار الغرور سكون من ليس له عنها انقلاب ولا مآب ، وأعرضنا عن الجهاد إذ لا فقر ولا فرق يدعو إليه ، وأخلدنا من أوج الجلاد إلى حضيض الكسل ، إذ لا أحد يذكر الغزو ، ولا يحض عليه ، فأخلق الجديد أن مع الأمان ثوب الجهاد ، بعد أن كان جديداً بهياً ، وذوى بالهوى والهوان غمنه بعد أن كان نضيداً زهياً ، وهوى نجمه

---

[1] (1087/2—1089).

من سماء عزة بعد أن كان مشرقاً سنياً ، وانمحى رسمه واسمه كأن لم يكن له من قبل سمياً ، فضعف الدين لذلك بعد أن كان أيداً قوياً ، ووهى ركن المسلمين بعد أن كان مؤيداً محمياً.

فصرنا نتخطف بأيدي العدو الغائر براً وبحراً ، ونلتقط كما يلتقط الطائر الحب سراً وجهراً ، ونؤخذ جمعاً وفرادى بالمواسط والسواحل ، فلا تتحرك القلوب لذلك ، كأنهم على الحق ونحن على الباطل.

فلا تنكر أيها الأخ ما بنا من فساد الأحوال ، وما إليه أمرنا من النقص آل بعد الكمال ، إذ تركنا من الدين شعيرته العظمى ، وأهملنا من أمور المشركين ما به كلفنا ، وأقبلنا على بناء المساكن والدور ، ورغبنا من دار الشرور في كل محذور ، فلا يمر بنا الجهاد أبداً على بال ، ولا نرى مندوحة عن الاجتهاد في طول الآمال ، وكنز الأموال والكتمان لما نحن فيه أولى من المقال ، ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فما لهم من دونه من وال.

اللهم: ببابك أوقفنا ركائب الذل والانكسار ، وبجنابك أنخنا نجائب العجز والافتقار ، ولعطائك مددنا يد الفاقة والاضطرار ، وبفنائك وقفنا وأنت عالم الأسرار. ربّ فلا تجعل ما ألّفَته قرائحنا مردوداً إلينا بالطرد والإبعاد ، ولا ما سطرته أناملنا شهيداً علينا يوم يقوم الأشهاد ، وارزقنا شهادة ننال بها أعلى رتب الزلفى لديك ، وبيِّض وجوهنا يوم تسودُّ الوجوه وتبيض بين يديك ، فأنت ذو الطول العظيم ، والفضل العميم ولا حول ولا قوة إلا بك يا الله ، اللهم وصل أفضل صلاة وأكملها ، وأشرفها قدراً وأجزلها ، على سيدنا محمد الذي أذهبت ظلم الشرك باجتهاده ، وأرهبت أمم الإفك بجهاده وجلاده ، وعلى آله الأعيان الأمجاد ، وصحبه الشجعان الأنجاد ما أومضت بوارق البوارق في ظلمات القساطل ، وركضت سوابق الفيالق في صدمات الجحافل ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً.

أعمال المؤلف:

أولاً: الاسطوانات:

1ـ طريق العزة1.

2ـ طريق العزة2.

3ـ طريق العزة3.

ثانياً: المؤلفات:

1ـ الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث.

2ـ تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال.

3ـ الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة.

4ـ نصوص الفقهاء حول أحكام الإغارة والتترس.

5ـ وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين.

وسيصدر قريباً بإذن الله:

1ـ وصايا للمجاهدين.

2ـ مجدد العصر وقاهر الكفر أسامة بن لادن.

الفهرس